شبه جزيرة العرب
والصراع الدولي عليها
منذ القرن الرابع حتى ظهور الإسلام

إعداد
د. شكران خربوطلي



شبه جزيرة العرب

والصراع الدولي عليها

منذ القرن الرابع حتى ظهور الإسلام

شبه جزيرة العرب

والصراع الدولي عليها

منذ القرن الرابع حتى ظهور الإسلام

د. شكران خربوطلي

/شبه جزيرة العرب والصراع الدولي عليها/

"منذ القرن الرابع حتى ظهور الإسلام"

د. شكران خربوطلي

الطبعة الأولى: ٢٠٠٧.

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

الإخراج الفني: بشار الحلبي

تصميم الغلاف: فيصل الحفيان

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار ومؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ـ تلفاكس: ٥٦٣٢٨٦٠

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

المقدمة

إذا كان موضوع التاريخ هو الجهد الإنساني في شتى مجالاته، فإن هدفه معرفة الإنسان بنفسه.

وهذه المعرفة لا تتم إلا بالكشف عن أصوله الممتدة عبر أحقاب التاريخ، فمن التقصير أن ننتمي إلى الأمة العربية، ولا نعرف شيئاً عن تاريخها الموغل في القدم قبل أن يستضيء بنور الإسلام، وهذا التاريخ ينبغي أن يشمل قدراً من التفصيل عن معتقداتها وعاداتها وأساليب حياتها، وعلاقاتها بالأمم القديمة المجاورة، وكل ما يتصل بوجودها الإنساني والحضاري.

من هنا تولّد لدي الحافز لأن أتجه إلى البحث في تاريخ العرب قبل الإسلام، لأن هذه الحقبة تشكل مرحلة أساسية وهامة في تاريخ العرب وتطورهم الصاعد، والتي تكونت فيها الأصول التاريخية للأشكال التي عبر بها سكان شبه جزيرة العرب عن تصوراتهم لظاهرات الكون والطبيعة وعن علاقاتهم الاجتماعية والسياسية، وأوضاع حياتهم.

وبالوقت نفسه تطلع المؤرخ، أو الباحث في كتابة تاريخ العرب العام على إنجازات أهل ما قبل الإسلام الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية التي مهدت لتطور العرب اللاحق.

وقد تهيب بعض الباحثين الخوض في حقبة ما قبل الإسلام[1] لبعد غورها، ووعورة مشاكلها، وضآلة الأضواء الكاشفة المسلطة على بعض جوانبها المعتمة نتيجة قلة الآثار، والمصادر ولعرقلة الصحارى لجهود علماء الآثار والباحثين.

ففترة ما قبل الإسلام لم تنل الاهتمام الكافي الذي تستحقه من قبل المؤرخين العرب، فهي تحتاج إلى التحقيق والتدقيق والغربلة، وأكثر ما ذكروه أن تاريخ هذه الحقبة هو

---

(١) زيدان: (جرجي) العرب قبل الإسلام ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان ص٨ مختصر إلى زيدان العرب قبل الإسلام.

أساطير وقصص شعبية، وأخبار أخذت من أهل الكتاب ولاسيما اليهود، وأشياء وضعها الوضاعون في الإسلام لمآرب اقتضتها العواطف، والمؤثرات الخاصة[1].

وظل الناس يتداولون هذه الأخبار على أنها تاريخ ما قبل الإسلام، حتى انتهت إلى المستشرقين، فتناولوها بالنقد استناداً إلى طرق البحث ومناهجه الحديثة، وتفتحت بذلك آفاق واسعة في عالم التاريخ لم تكن معروفة[2].

دفعني هذا النقص إلى توجيه عنايتي لدراسة هذا التاريخ، وقد وقع اختياري على "شبه جزيرة العرب والصراع الدولي عليها، منذ القرن الرابع حتى ظهور الإسلام" فهو أفضل ما يمكن البحث فيه.

فشبه جزيرة العرب هي المنبت الأول لحضارة العرب ومعرفتها تلقي الضوء على خلفية الأحداث، وتساعد على فهم ما وقع بعد ذلك.

إن دراسة الأوضاع الدولية في تلك الحقبة، وما آلت إليه محاولات تدخل الدول الكبرى في تلك الفترة بمنطقة شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، يساعد على فهم أسباب النجاحات الكبرى التي حققها النبي (ص) دون أن تتدخل أية قوة خارجية ضده.

من خلال البحث ربما سنتمكن من معرفة التحولات الكبرى في السياسة الدولية قبيل الإسلام، عندما توقف التدخل الخارجي في شبه الجزيرة، وجاء الإسلام، ومن ثم انطلق المسلمون نحو الخارج فاتحين محررين.

و تجولت من خلال المصادر على أرض جزيرة العرب جامعة كل معلومة قيلت عن هذه الفترة، لأخرج بدراسة متواضعة، أو بمحاولة لتناول هذا الموضوع بالدراسة والتحليل، لأتعرف على أهمية الجزيرة العربية، وأسباب الصراع على هذه المنطقة، ولأطّلع على ما نتج عن هذه الصراعات من آثار مختلفة، وفي كافة المجالات، وعند مبلغ علمي أنه لم يسبق أن بحث هذا الموضوع بشكل واف، ومستقل، وكل ما كتب حوله لا يتعدى أبحاثاً مقتضبة، ومقالات متناثرة، وهو لهذا يحتاج إلى دراسة علمية شاملة، يمكن أن تساعد على فهم مقدمات ظهور الإسلام، الأمر الذي لم يأخذ حقه الكافي بعد من البحث والدراسة.

---

(١) علي: (جواد) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - دار العلم للملايين - بيروت - مكتبة النهضة بغداد ط٣- ١٩٨٠ ج/ص ٤٢ يختصر إلى جواد: المفصل.

(٢) جواد: المفصل ١/ ٤٢.

ولعل مشروع دراستي هذه، يكون بمثابة الخطوة الأولى على طريق أتمنى أن يتابعه كل من يهمه هذا الميدان، لأن الوقوف على أحوال الجزيرة العربية، لا يزال في طور النشوء والتجديد، ولا يزال هذا الإقليم موضوع تحريات علمية، اكتشفت عدداً كبيراً من النقوش كانت في مجموعها ضئيلة الفائدة، ما عدا تلك التي عثر عليه في جنوب الجزيرة، لكنها مع ذلك لا تخلو من دلالة، ومغزى بإزاء المعلومات النادرة جداً التي نقلتها إليها المصادر المعروفة، وهي تقريبا كلها من خارج الجزيرة.

سلكت السبيل إلى غايتي منقبة في أشتات المصادر والمراجع الأجنبية والسريانية التي حصلت عليها أو على بعضها من الكنيسة البطركية في دمشق، وكتب الأدب ودواوين شعر ما قبل الإسلام مع شعراء العصبية القبلية، وعلى ما تم كشفه من آثار ونصوص حتى الآن مع كتب الأخبار، وكل مصدر مفيد.

وكان نهجي أن أقدم الحادث، وأتعرف على النواحي المتعلقة بالصراع لأقدم تفسيرا لذلك، حين أجد إلى ذلك سبيلاً.

إيماناً مني بأن التاريخ ليس سلسلة من الأحداث يأخذ بعضها برقاب بعض دونما مسوغ أو مسبب، ولا ينظمها ناظم.

فكم من كتب سكبت نور عيني على صفحاتها لأجتني منها ثمرة، لا تكافئ بعض ما بذلت، وكم من كتب عبرتها من المنبع إلى المصب أجوس خلالها وأجوب مابين ضفافها في يقظة، ولم يعلق منها بشباكي صيد، بسبب تشعب البحث، وشموله مناطق واسعة، حددها الجغرافيون والمؤرخون العرب، والمسلمون حدوداً طبيعية للجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام.

كما أنني واجهت صعوبة في تناثر مادة المصادر حول الجزيرة، وعدم شمولها كافة مناحي الحياة، والقصور الواضح في تسجيل عصر ما قبل الإسلام لكل من شرق الجزيرة، عمان وجنوبه، وغموض الكثير من المسائل التي تتعلق بتاريخ الأقاليم الأخرى الذي يعزى إلى قلة المعلومات، واضطراب المصادر، وتناقض المؤرخين في أيراد الحوادث مدفوعين بعوامل دينية ومذهبية[1]. ممزوجة بالخرافات والأساطير.

فالمصادر الأساسية تكاد تعز على الباحث، إلا في الزاوية الجنوبية الغربية من شبه

---

(١) ابن خلدون (عبد الرحمن) المقدمة - دار العودة - بيروت - ١٩٨١ ص ٢٧ - ٢٨ يختصر إلى ابن خلدون: المقدمة.

الجزيرة العربية. هذا الجزء بوجه خاص كان مسرحاً لحوادث جسام، وأثار ضخام، قام بها الأحباش، والفرس في هذه البلاد.

لهذا كان طبيعياً أن يختص دون سائر أجزاء الجزيرة العربية بالحديث.

لكن المشقات التي كانت تعترضني في الإعداد، والصعوبات التي احتملتها في التنقيب، كل هذه لا مندوحة منها لمن يتصدى للبحث، فيصبر، ويغالب ويدأب، ويثابر، ليخط في سجل المعرفة سطراً، يلبي به رغبة، أو يقضي به حقاً، أو ينال به ذكراً.

وأن كان في هذا البحث عيب، أو نقص، فأنا مسؤولة عنه، رغم أن ذلك يعود إلى أن المصادر والمراجع، لم توجهني إليه.

إنه جهد لم يبلغ مداه، فهذه طبيعة البحث في التاريخ متطورة متنامية غير متوقفة، والله من وراء القصد.

وقد قسم الكتاب إلى مقدمة، تتضمن أسباب تهيب بعض الباحثين الخوض في حقبة ما قبل الإسلام، مع أهمية هذه الحقبة، وأسباب اختيار الموضوع، والصعوبات التي عانيتها أثناء جمع المادة والإعداد.

- ثم أتبعتها بخمسة فصول:

* الفصل الأول: " وصف شبه جزيرة العرب "

شمل هذا الفصل البنية الطبيعية. تحدثت فيها عن جغرافية جزيرة العرب والخلاف لدى الجغرافيين الأوائل، في تعيين حدودها الشمالية قبل الإسلام، والاختلاف بين أجزائها الطبيعية والذي كان سبباً في اختلاف المناخ من جزء لأخر، وحتى في الاختلاف بين الليل والنهار في الجزء الواحد.

وكان طبيعياً أن يشمل الحديث النباتات التي تنوعت واختلفت باختلاف التضاريس والترب والمناخ، وكمية الأمطار.

وشمل الفصل الأول البنية الاقتصادية التي كانت الدعامة الأساسية الكبرى في وجود المجتمع واستمرار بقائه وارتقائه، وقد كان الإنتاج الاقتصادي رهين البيئة بكل تفاصيلها، بحيث نجد أن التجارة كانت أهم الموارد، وأسهمت في تطور البلاد وتقدمها، وأثارت إطماع الدول الكبرى فزاحموا العرب عليها واتبعوا كافة الوسائل للهيمنة على الطرق التجارية.

ولم تكن التجارة هي المورد الوحيد بل كان بجانبها في بعض المناطق الخصبة الزراعة، التي

تنوعت بتنوع التضاريس والمناخ والتربة إلا أنها تقدمت باليمن أكثر من أية منطقة أخرى.

وكان للصناعة دور إيجابي ساعد على وجودها، توفر المعادن في شبه جزيرة العرب فأصبحت كسلعة قائمة بذاتها موضوعة قيد التبادل، ولها أسواق خاصة بها. وقد ارتبطت بالزراعة في بعض الحواضر.

وشمل الحديث في هذا الفصل البنية الاجتماعية لأن الإنتاج يحدد نوع الحياة، ويتبدل شكل الحياة بتبدل شكل الإنتاج، فكان أعضاء المجتمع العربي، باستثناء سكان اليمن المتحضرين، مجتمعاً بدوياً انقسم فيه العرب إلى وحدات اجتماعية متعددة، عرفت كل منها باسم القبيلة التي توقفت قوتها ومكانتها بين القبائل على عدد أفرادها ومواردها.

وكان للقبيلة دستور عرفي عام يشترك فيه كل أفراد القبيلة يختصر في كلمة العصبية والثأر.

وقد كانت القبائل مثل الدول أنماطا ودرجات، ضمت الكثير من العناصر.

ولكن سكان اليمن المتحضرين كانوا أرقى من غيرهم وكانت أقدم الدول العربية في اليمن الدولة المعينية والسبئية والقتبانية، والحميرية التي انتهت بغزو الأحباش لليمن.

أما الممالك قامت في أطراف المنطقة الشمالية فالغساسنة في بلاد الشام، والمناذرة في العراق.

* الفصل الثاني : " سياسة دولة الأحباش تجاه جزيرة العرب "

استجاب الفصل الثاني لحملة أبرهة على اليمن. كانت الأولى لتأديب الحميريين الذين كانوا يتحرشون بالقوافل التجارية في البحر الأحمر، وهي بمثابة حملة استطلاعية مهدت السبيل للحملات التي أتت بعدها، والتي استغلت فيها الحبشة فرصة قيام ذي نواس بمهاجمة نجران واضطهاد المسيحية، وأرسلت بقواتها لليمن بالتعاون مع بيزنطة وانتصرت على ذي نواس وحكم البلاد أبرهة الأشرم الذي أرسل بحملته إلى مكة لهدم الكعبة فباءت هذه المحاولة بالإخفاق. فسببها كان سياسياً اقتصادياً، وذلك بالاتفاق مع البيزنطيين ليتصل ملك الروم بملك حلفائهم وأنصارهم الحبش في اليمن، وإحياء سياسة الهيمنة على قبائل وسط الجزيرة.

توفي بعدها أبرهة وخلفه ابناه يكسوم ومسروق فذاقت البلاد منهما الأمرين وقررت التخلص من حكم الأحباش وتحرير البلاد بظهور زعيم وطني اسمه سيف بن ذي يزن الذي استنجد بالفرس فانجدوه بقوات استطاعت أخذ اليمن والاستيلاء على البلاد.

* الفصل الثالث: "سياسة الإمبراطورية البيزنطية تجاه جزيرة العرب"

عالج الفصل الثالث أسباب اهتمام بيزنطة بالجزيرة العربية والتجارة عبر أجزائها واتخاذها قواعد لها برية وبحرية في أطرافها وكيف كانت علاقتها مع القبائل العربية، وما هي الصداقات

التي عقدتها مع رؤساء القبائل بهدف إخضاعهم لها إما عن طريق القوة، وإما بالطرق الدبلوماسية، وأنه كان لها محاولة سياسية لتمليك سيد من العرب على مكة يدين بالولاء لدولتها ولكن هذه المحاولة باءت بالإخفاق لأن مكة اتخذت موقف الحياد وعدم الميل لأحد المعسكرين المتصارعين الفرس أو الروم.

* الفصل الرابع: " البحار والصراع الدولي "

عرف الفصل الرابع البحار والصراع الدولي، فتعرض لأهمية البحر الأحمر الذي كون مع الخليج العربي وحدة ملاحية مرتبطة ومتكاملة فأثارا أطماع الدول الكبرى للسيطرة عليهما والتحكم في حركة المرور فيهما عبر الأراضي المجاورة لهما. وتعرض هذا الفصل أيضاً لتاريخ البحر الأحمر والصلات مع الشرق فقد كان منذ أقدم العصور الطريق الذي حمل إلى العالم القديم أول مبادئ الاتصال الفكري والتجاري[1] لأنه كان من أهم طرق التجارة البحرية وأقدمها وقد أنشئ عليه بعض الموانئ فأظهر أهل السواحل العربية الجنوبية والشرقية نشاطاً في ركوبه، وقد حاولت بيزنطة والحبشة الهيمنة عليه عن طريق الاستيلاء على اليمن، حيث أن الاستيلاء على اليمن كان بقدرته أن يمكنهم من السيطرة على الطرق التجارية في المنطقة، وتمرير التجارة البيزنطية بحرية تامة، وتتحرر بذلك من تحكم الساسانيين، ولكنها باءت بالإخفاق ونافسها الفرس في ذلك وهيمنوا على الكثير من الأطراف الشرقية حتى وصلوا إلى اليمن، فلم يأت القرن السادس الميلادي إلا وللفرس مكانة عالية وممتازة على الطرق التجارية البرية والبحرية الموصلة بين الهند والصين والإمبراطورية البيزنطية، حيث كونت فارس لها مراكز تجارية، وسيطرت عل جميع المياه الواقعة بين سيلان من جهة، وساحل شرق إفريقية من جهة أخرى.

* الفصل الخامس: " الدين والصراع الدولي "

كان لزاماً على الفصل الخامس أن يتطرق إلى الدين، فتعرض إلى المعتقدات البدائية، واليهودية في الحجاز والعربية الغربية، وفي اليمن، وباقي الجزيرة العربية، وتعرض إلى المسيحية وانتشارها ببلاد الشام، والعراق والجزيرة العربية وكيف دخلت اليمن والعربية الشرقية، وأنه وجدت ديانات أخرى كالمجوسية والصابئة في أرض الجزيرة العربية.

وقد دخلت اليهودية والمسيحية في صراع كانت من ورائه بيزنطة والحبشة وفارس.

وانتهى الأمر بالاحتلال الحبشي لليمن ومن بعده الاحتلال الفارسي لها أيضاً.

---

(١) فخري: (أحمد) اليمن ماضيها وحاضرها - جامعة الدول العربية ١٩٥٧- ص / ٦٠ / يختصر إلى فخري: اليمن ماضيها وحاضرها.

* الخاتمة: " آثار الصراع الدولي على شبه جزيرة العرب "

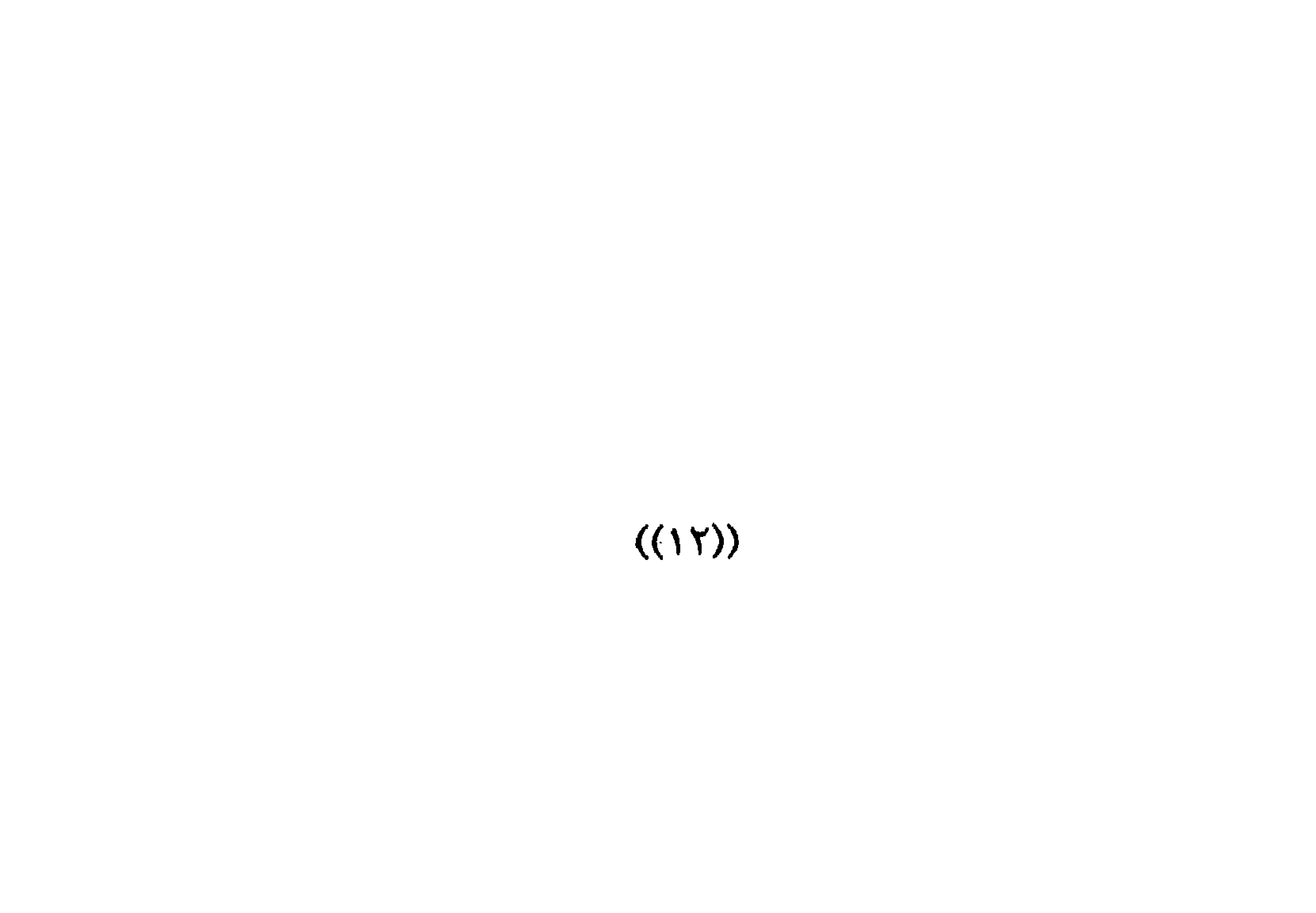
لابد في ختام البحث من ذكر الآثار المختلفة التي تركتها الصراعات على شبه جزيرة العرب. منها آثار اجتماعية ظهرت في الفروق بين فئات المجتمع وإدخال العادات والتقاليد إلى قلب المجتمع، وإيجاد مظاهر من الحضارة والفن وإدخال القيان إلى داخل المجتمع وظهور طبعة جديدة في المجتمع هي طبقة الأبناء.

أما الآثار الاقتصادية فقد كان للصراعات آثار اقتصادية منها سلبي كالدمار، وهجرات القبائل، ومنها إيجابي في بروز محطات تجارية هامة والتعرف على المكاييل والموازين، ودقائق علم الحساب التجاري، والتعامل بالنقود المختلفة، والأنظمة المختلفة.

وتركت الصراعات آثاراً سياسية أهمها تنبه العرب إلى ضرورة الوحدة، وصنع جبهة واحدة ضد الأعداء الطامعين بالبلاد، ظهر ذلك في موقعه ذي قار حيث انتصر العرب على الفرس لأول مرة في تاريخهم.

وكان للصراعات آثار ثقافية من حيث اللغة وذلك بتعلم فريق من العرب الكتابة، وفي هذا المجال مفيد تذكر دور الرقيق الأبيض الذي كان على درجة من حسن الفهم والمعرفة، وإتقان الكتابة والقراءةو أثر في المعارف كالفنون الحربية التي انتقلت عن طريق اليمن والحيرة وبتعلم فريق من العرب الطب من الحيرة.

وفي هذا المجال لا يمكن نكران أثر الظاهرات الدينية في ترقية الجمال ونشر لاخص فنونه بين العرب خاصة الديانة المسيحية.



((١٢))

مدخل....

"دراسة لأهم مصادر البحث ومراجعه"

نظراً لتعدد الموضوعات التي يعالجها هذا البحث فقد أصبح لزاماً على الباحث أن يعتمد في دراسته على المصادر السريانية واليونانية، والعربية، هذا بالإضافة إلى بعض النقوش وتحليل مادتها التاريخية لخدمة موضوع البحث، وبهدف الوصول إلى أهمية شبه جزيرة العرب، وأسباب الصراع الدولي عليها منذ القرن الرابع حتى ظهور الإسلام.

المصادر العربية

تم جمع مادة واسعة من المصادر العربية القديمة متعددة الأغراض والجوانب، سواء كانت دينية " كتب الشريعة من قرآن كريم، وحديث شريف، وكتب الفقه. "أو كتب تاريخية" أخبار وسير، معارف تاريخية، كتب في النسب. "أو كتب جغرافية"، "أو كتب أدبية".

أولاً: القرآن الكريم

مصدر تاريخي هام، وأقدم الموارد العربية المدونة لتاريخ العرب في الجاهلية، ولفترتها الأخيرة بخاصة، وهو أصدق المصادر المدونة على الإطلاق لأنه تنزيل من الله تعالى لا سبيل إلى الشك في صحة نصه[1].

يصور القرآن الكريم أحوال الحياة الجاهلية، ويتحدث عن تفكير أهل الحجاز، واليمن بشكل خاص. وردت فيه آيات تشير إلى نشاط العرب التجاري ورحلاتهم التجارية[2]. وآيات تشير

---

(١) فروخ (عمر) تاريخ الجاهلية. دار العلم للملايين ط٢ ١٩٨٤ ص ١٦ يختصر إلى فروخ: تاريخ الجاهلية.

(٢) سورة النمل الآية ١٤ ـ سورة الإسراء الآية ٦٦- سورة الرحمن الآية ١٩- ٢٤ ـ سورة الشورى الآية ٣١- ٣٣.

إلى التفاوت الاجتماعي[1]. وآيات تشير إلى ديانة عرب ما قبل الإسلام كالوثنية، وعبادة الأصنام، واليهودية والنصرانية والحنيفية وغيرها من الظاهرات والعقائد الدينية والصراع بين الديانات[2]. وكل ذلك أغنى البحث.

١. الحديث الشريف

وهو أصدق وأهم المصادر بعد القرآن الكريم يتضمن أحكاماً وقوانين للمجتمع الإسلامي المتطور، ويتحدث عن جوانب عديدة من أحوال أهل الجاهلية وحياتهم، وخاصة في الفترة المتصلة بظهور الإسلام ليست موجودة في مورد آخر[3].

تناولت كتب الحديث الحياة التي كانت جارية في ذلك الوقت، وعرفت كل ما كان قائماً من نظم الحياة الدينية والفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية فأقرت ما رأته صالحاً، وعدلت ما لزمه التعديل، ونهت عما رأته ضاراً أو فاحشاً في حياة الناس.

من أشهر كتب الحديث التي استفيد منها الجامع الصحيح للبخاري وشروحه بحيث أعطى صورة للواقع الاقتصادي والاجتماعي في ذاك الوقت، وفي ذلك غنى للبحث.

٢. كتب الفقه

مصدر آخر من المصادر لمعرفة تاريخ العرب قبل الإسلام تعد ثروة تاريخية قيمة تشرح بصورة مفصلة ما جاء مقتضباً في القرآن الكريم عن بعض الأحداث. ومظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في الجاهلية وعهد النبوة.

أشهر هذه الكتب التي تم الاعتماد عليها، والاستفادة منها كتب تفسير الطبري المعروف باسم " جامع البيان في تأويل آي القرآن " وهو تفسير تاريخي يحاول أن يفسر الآيات ويذكر الأحوال التاريخية التي رافقت نزولها. ثم يستعرض جميع الروايات الواردة في تفسير الآيات، روايات الحديث وروايات التاريخ وروايات الأدب.

بعدئذ يفاضل بين تلك الروايات، ويرجح ما يراه في نظره أقرب إلى الواقع مما لا يعارض نص الآيات.

استفيد منه في تفسير قصة أصحاب الفيل، وحملة أبرهة على مكة، وقضية اضطهاد المسيحية ومذبحة نجران.

---

(١) سورة المنافقين الآية ٨سورة هود الآية ٢٧ ـ سورة المائدة آية ٥٧.

(٢) سورة النمل الآية ٢٤- سورة فصلت الآية ٣٧ سورة النجم الآية ٢٩=٤٩، سورة نوح الآية ٢١-٢٣ ـ سورة البروج الآية ٤-٩.

(٣) جواد: المفصل ج١ ص٦٧

ثانياً: كتب تاريخية

١- كتب الأخبار والسير

وهي المؤلفات التي دونت في عهد الإسلام للبحث في سيرة النبي (ص) وغزواته، وقد تضمنت في ثناياها أخباراً متنوعة عن بعض مظاهر الحياة العربية الجاهلية ولذلك تعد من المصادر الهامة لتاريخ العرب قبل الإسلام.

أ.. أشهر هذه الكتب كتاب السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ) وهو كتاب يؤرخ لسيرة الرسول (ص) وللعرب قبل الإسلام، وقد اعتمد ابن هشام في سيرته على كتاب السيرة النبوية لأبي عبد الله محمد بن إسحاق[1].

تضمن الكتاب معلومات عن أخبار الجاهلية تناولت نسب العرب العدنانية، وشيئاً عن الغساسنة والمناذرة وتاريخ اليمن، وأخباراً عن أصنام العرب، وأوابدهم وعاداتهم وأحلافهم، وحروبهم، وبضعة فصول في عرب الحجاز وتاريخ مكة إلى بيت عبد المطلب بن هاشم وظهور النبي (ص) والإسلام، حتى وفاة محمد (ص).

استفيد من هذا الكتاب في معرفة استيلاء تبان اسعد على اليمن، وغزوة يثرب، إلى ملك ذي نواس وقصة أصحاب الأخدود كما قيل في نجران، واحتلال الحبش لليمن، وأصحاب الفيل، وطرد الحبش من اليمن ٥٧٥ م ودخول الفرس إليها وتمركزهم مكانهم.

واستفيد منه أيضاً في معرفة بعض الأخبار عن أهل الحجاز، وعن قصة حملة الفيل، وتاريخ مكة إلى ظهور النبي (ص) والإسلام.

ب.... الروض الأنف للسهيلي (أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي) توفي (٥٨١هـ).

" وهو كتاب جليل دون فيه السهيلي ما شاء وذكر في أوله أنه استخرجه من نيف وعشرين ومئة ديوان[2]"

ألف هذا الكتاب في مالقة قبل رحلته إلى مراكش، وقد دل فيه على إلمام واسع واطلاع غزير بمناح مختلفة، وتمكن في ألوان كثيرة من العلوم، فكان فيه المؤرخ واللغوي والأديب والنحوي والأخباري والعالم بالقراءات، وكان السهيلي فوق هذا شاعراً يؤثر له في هذا الباب

---

(١) ابن هشام: (ابي محمد عبد الملك بن هشام الحميري) السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وغيره - دار احياء التراث العربي - بيروت - ص ي، يختصر إلى ابن هشام: السيرة النبوية.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية ١/ق.

أبياته المشهورة في الفرج[1].

استفيد من هذا الكتاب في تصوير واقع حياة العرب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وقد سلط الأضواء على قبيلة قريش ذاكراً كل ما يتعلق بها، كما تمت الفائدة من هذا الكتاب في معرفة أخبار اليمن والديانة اليهودية والمسيحية والصراع بينهما.

٢ ـ كتب الأخبار والمعارف التاريخية

أ.... التيجان في ملوك حمير المنسوب (لوهب بن منبه) توفي (١١٤ هـ) هو كتاب قصصي أدبي تاريخي يمتلئ بالشعر والأساطير اليمانية الشعبية، ويظهر اليمن بمظهر السابقة في التوحيد وفي الشعر والفتوح والأدب والصنعة[2].

وقد بين فيه أخباراً عن اليمن والأقوام العربية البائدة، ونصارى نجران، وتعذيبهم، وقتلهم على أيدي ذي نواس، وقصة الراهب فيميون، وكل ذلك مطابق للروايات النصرانية، ولما جاء في كتاب شمعون الارشمي عن هذا الحادث.

تمت الاستفادة منه في معرفة أخبار ملوك حمير، والمسيحية واليهودية والصراع بينهما، وقصة أصحاب الأخدود كما قيل في نجران، فأعطى بذلك صورة واضحة عن اليمن القديم.

ب.... أخبار مكة للأزرقي (أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد) توفي (٢٢٣ هـ).

يشبه هذا الكتاب من بعض الوجوه كتاب ابن هشام في السيرة النبوية، وذلك باشتراك أشخاص عديدين في تأليفه، بيد أنه لا يشبهه من جهة كونه مختصراً من مجموعات كبيرة، فقد كان صغير الحجم، ثم زيد عليه علاوات كثيرة، وضم إليه مواد عديدة أدت إلى اتساعه[3].

والحقيقة التي لا ريب فيها أن واضع كتاب أخبار مكة، أو بعبارة صريحة جامعه ومرتبه، ومؤلفه هو محمد بن عبد الله الأزرقي، رواية عن جده أحمد بن محمد الأزرقي وغيره من الرجال المعروفين، وكانت روايته عن جده أكثر من روايته عن غيره مما يدعو للقول بأن المؤلف الأصلي للكتاب هو جده.

وقد اختط الأزرقي لنفسه خطة سهلة سلسلة في تدوين كتابه هذا، وقسمه إلى بحوث، وفصول مبوبة، وتوخى الإفاضة في ما يهم طلاب التاريخ والجغرافية والأدب.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ١/ر.

(٢) مصطفى شاكر (التاريخ العربي والمؤرخون) دار العلم للملايين بيروت ط٣، ١٩٨٣ ج١ ص ١٣٩ ـ يختصر إلى: شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون.

(٣) الأزرقي: (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ـ أخبار مكة تحقيق رشدي الصالح ملحس ـ دار الأندلس ـ أسبانيا ج١ ص١٥ ـ يختصر إلى الأزرقي أخبار مكة.

يتحدث الكتاب عن الكعبة والبيت الحرام، وإسكان إسماعيل ابن إبراهيم وأمه هاجر، وولاية خزاعة الكعبة، وولاية قصي بن كلاب البيت الحرام، وانتشار ولد إسماعيل وعبادتهم الحجارة ونصب الأصنام، وحج أهل الجاهلية، وأسماء الشهور وتواريخهم، ويتحدث عن حفر عبد المطلب بن هاشم لزمزم، وذكر أسماء أماكن كثيرة في مكة وسيولها في الجاهلية والإسلام، وأسماء بعض المساجد وصفاتها والآبار والعيون، وعرفنا على القبائل المتعددة التي سكنت مكة من خلال حديثه عن كل ذلك، وألحق الكتاب بملاحق خمسة تتحدث عن المسجد الحرام، وعمارته وقبابه وحدوده والتوسعة التي أجريت عليه.

لذا يعد في طليعة المصادر القيمة التي استفيد منها في المعلومات التي تناثرت هنا وهناك عن أسواق وتجارة العرب والتعرف على بعض الأماكن في مكة، ومنها تعرفنا على كل الأماكن في الحجاز التي دخلت إليها النصرانية.

ت.... المحبر (ابن حبيب أبو جعفر محمد) توفي (٢٤٥ هـ).

عبر هذا الكتاب عن ثقافة مؤلفه الموسوعية في الأنساب وأخبار العرب واللغة والشعر والأدب، فقد حدثنا عن ثقافته الموسوعية، ويظهر ذلك في تنوع المواضيع التي حواها، فقد حدثنا عن أخبار العرب في الجاهلية قبائلهم وأنسابهم، فئاتهم وأحلافهم، ووصف لنا ملوكهم وحكامهم وأجوادهم ودهاتهم، مواسمهم وأسواقهم، أديانهم وأصنامهم، كما أورد أخباراً خاصة بقبيلة قريش قل أن نجدها في مصادر أخرى، فقد ذكر لنا أشرافها، وأصحاب الإيلاف منها، وقريش الظواهر، كما توسع أكثر وحدثنا عن الإسلام، وخاصة النبوة، كما أورد أخباراً عن الخلفاء الراشدين والأيوبيين والعباسيين، وحوى بين طياته أيضاً أخباراً متفرقة عن الأنبياء ولم ينس ذكر المرأة، فحدثنا عن أخبارها في الجاهلية والإسلام.

إلا أنه كان يسوق معلوماته دون فصل بينها، فاختلط بعضها ببعض إذ كان منهجه أن يسرد الموضوع، ثم يدخل في غيره، ثم يعود إليه فيختلط الأمر على القارئ، ولكن ذلك لا يضعف من قيمته العلمية، فهذا التنوع في المعلومات أغنى الكتاب بالمعارف الهامة، فقد استفيد منه في معرفة تجارة قريش، وأصحاب الإيلاف، ومعرفة زنادقة العرب وأخبار متفرقة هنا وهناك اقتصادية ودينية وسياسية.

ولابن حبيب أيضاً كتاب "المنمق" وهو كتاب تاريخ قريش في الجاهلية وصدر الإسلام، ولكن معظم أخباره تتعلق بالجاهلية ولم يرد فيها ذكر القبائل الأخرى إلا ضمناً، وهذه الأخبار لا تتعدى خمسين سنة قبل ميلاد النبي (ص) ونحوها بعد الإسلام، وهي تتضمن نواحي مختلفة من حياة قريش ولكنها ليست مرتبة حسب السنين أو الحوادث بل هي مجموعة روايات عن غير واحد من الرواة حول حوادث متفرقة في حياة قريش أو شخصياتهم البارزة. والنواحي التي استغرقت

قسماً كبيراً من الكتاب هي حروب الفجار، وأحلاف قريش، وولاية الكعبة والصراع الذي جرى من أجلها بين الأسرتين وذكر عمائدهما.

ثم حروب بني عدي بن كعب بن لؤي في الإسلام، وهي الحروب التي جرت بين بني عمر بن الخطاب وبين بني جهم بن حذيفة وبني مطيع وجدهم واحد في منتصف القرن الأول. إذا أنه كتاب منفرد في أخبار قريش وقد تمت الفائدة منه في كل ذلك.

ث.... المعارف لابن قتيبة الدينوري (أبي محمد عبد الله بن مسلم) توفي (٢٧٠ هـ)

كتاب ثقافة رفيعة كدائرة معارف، وإحاطة بأسباب المعرفة على تعداد موضوعاتها في أخبار العرب وأنسابها وأديانها مستقاة من مختلف ينابيعها، مختارة أحسن الاختيار، مبوبة أجمل التبويب، تسوق الطرف والنوادر على نهج محبب شائق، وهو لا يلتزم الترتيب الهجائي في عرض موضوعاته إنما يتناول موضوعات واسعة، يقسم كل منها إلى أقسام أصغر متخذاً الوحدة الموضوعية أساساً بصرف النظر عن الترتيب الهجائي، وتتميز مادته التاريخية بالحياد، والتأكد من الحقائق[1].

فيه قوائم أحداث، وشيء من السيرة وجداول أسماء وانساب، وذكر للفرق، والرجال. ولعل ابن قتيبة وضعه لسد حاجة الكتاب والناس إلى تاريخ موجز يحوي المعلومات الأساسية، أو لعله وضعه مشروعاً لكتابة تاريخ عالمي يبدأ بالخليقة، وينتهي في عهد المعتصم، شاملا تاريخ الأنبياء، وأنساب العرب، والسيرة والصحابة، والتابعين والخلفاء، وأصحاب الرأي والنسب والأخبار والحديث، والشعر والولاة وصناعات الأشراف، وأخبار الملوك العرب والعجم. ومصادر ابن قتيبة في كتاب المعارف تعتمد على الكتب والروايات الشفهية.

فهو يروي عن ابن اسحق والواقدي، ويرجع في تاريخ الخلق والأنبياء رجوعاً مباشراً إلى العهد القديم، ولعله أول من رجع مباشرة إليه.

وهو لا ينقد المصادر فحسب، ولكن ينقد المعلومات أيضاً ويورد الآراء السائدة، وقد يعطي أحياناً بعض الأحكام الشخصية.

استفيد منه في معرفة الأنساب، وأديان العرب قبل الإسلام وأخبار ملوك العرب والعجم.

ج.... الأخبار الطوال (الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داوود) توفي (٢٨٢ هـ)

هو كتاب التاريخ الهام الذي تركه أبو حنيفة، تتناول خطة الكتاب الأحداث المستمرة الطويلة المدى، وينقسم إلى ثلاثة أقسام الأول منذ آدم حتى جميع الأنبياء.

والثاني تاريخ الفرس الساسانيين والروم، والثالث حروب العرب والعجم، وهو القسم الأهم،

---

(١) الدوري: (عبد العزيز) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٦٠ ص ٥٤ ـ يختصر إلى الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ.

ويشمل تاريخ الفتوح (دون التعرض لذكر تاريخ الراشدين إلا بقدر) و(قصة الفتنة الكبرى وصفين، والخوارج والحسين والعراق (دون ذكر تاريخ الأمويين) ثم مختصر التاريخ العباسي حتى موت المعتصم سنة ٢٢٧ هـ، وأهمل أبو حنيفة ذكر الحقبة التي عاشها بنفسه، إنما قصد أن يكتب نوعاً من التاريخ العالمي يبرز فيه خاصة التاريخ الفارسي وقصة الفرس في العهد الإسلامي.

راعى أبو حنيفة في الأخبار الطوال التسلسل الزمني في التاريخ، ولكنه انتقى الأخبار وفقاً لمفهوم خاص في التاريخ العالمي، فتوسع في الحوادث والحركات التي اختار، مما جعل كتابه أقرب إلى أن يكون سلسلة أخبار يلتصق بعضها ببعض لتتوازن مع التاريخ الإيراني الذي يحتل المكان الرئيسي. فهو قبل الإسلام يهتم بتاريخ الرسل كثيراً، ويقدم صوراً متوازية لتاريخ اليمن والجزيرة وبيزنطة.

ويتوسع في تاريخ الفرس. وبعد الإسلام يمر بفترة الرسالة المرور السريع ليركز اهتمامه على تاريخ العراق وإيران.

كان منهجه إهمال الأسانيد الطويلة، وإيثار السرد الروائي المتصل مقحماً فيه الكثير من الشعر حتى لقد تتبادل الفرق والأحزاب الرسائل عنده شعراً.

استفيد منه في القسم الذي يتحدث فيه عن فترة ما قبل الإسلام في تاريخ الرسل، وتاريخ فارس واليمن والجزيرة وبيزنطة والديانات وملوك اليمن والحيرة وذي نواس والأحباش.

ح.... تاريخ اليعقوبي: (أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح العباسي) توفي (٢٩٢ هـ)

هذا الكتاب موجز تاريخي منظم يتناول التاريخ العام منذ الخلق حتى سنة ٢٥٩هـ فقد كان فهمة للتاريخ العام يتناول بجانب تاريخ الأنبياء، وتاريخ الفرس والجاهلية، تواريخ الأمم الأخرى القديمة.

فهو من هذا الزاوية تاريخي عالمي حقيقي، وإن اصطبغ بعضه بالأسطورة بسبب ضيق المصادر وغلبة الخرافة فيها، وقد اهتم في هذه التواريخ بالجانب الحضاري أكثر من اهتمامه بالجانب السياسي، ولخص بقدر ما سمحت له معارفه ما كان متوفراً لدى الناس في عصره من معلومات عن الأمم الأخرى القديمة، كما عكس في مادته من ألوان امتزاج الثقافات في ذلك العصر.

وحين وصل إلى التاريخ الإسلامي اختط لنفسه أن يذكر التقاويم الفارسية والرومية، وأن يورد تفاصيل فلكية في مطلع كل عهد تعين الخبراء في النجوم على تتبع مجرى الأحداث[1]. ثم اختط أيضاً أن يسجل في ختام كل عهد أسماء الرجال الذين شاركوا فيه مع الخلفاء وأمراء الحج وقواد الحملات، ومشاهير القضاة حتى إذا قارب عصره أوجز في الأخبار جداً، فلا تأخذ ثورة الزنج من اهتمامه إلا ملاحظات بسيطة، وهذا ما جعله يظهر أكثر علماً بالعهدين الأموي

---

(١) شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ٢٥١

والعباسي الأول منه بعصره.

مصادر اليعقوبي في تاريخه متعددة تعكس انتباهاً بارعاً للمنهج التاريخي، فهو في قسم التاريخ القديم يرجع إلى المصادر الأصلية "الكتاب المقدس"، وحين يتحدث عن التاريخ الإيراني لا ينسى أن ينبه أن مادته أسطورية لا يوثق بها. وفي القسم الإسلامي ذكر مصا رده في مقدمة هذا القسم واتبع في هذه المصادر نهجاً انتقائياً لأنها كانت ذات ألوان عديدة فهي علوية تارة وعباسية أخرى، ومدينية حيناً، وعراقية حيناً آخر، وقد أخذ النسب عن ابن الكلبي، والفلك عن الخوارزمي.

أما منهجه في العرض فهو إهمال الأسانيد لأنها كانت قد استقرت في تلك الآونة، وقد أعان انتشار التدوين على ذلك الاستقرار، ثم أنه قلما يذكر المصدر لأنه اكتفى بذكر مصادره الأساسية في مطلع البحث ولكنه حين يقترب من عصره يذكر بين حين وآخر مصادره الشفوية والأشخاص الذين زودوه بالمعلومات.

وقد اتبع اليعقوبي في عرض مادته تسلسل العهود خليفة بعد خليفة واتبع في عهد كل خليفة توالي السنين، جامعاً بين أسلوبي العهود والحوليات، وأكثر من إيراد الرسائل والخطب كنصوص سياسية، ووثائق. وجاء أحياناً بمعلومات تاريخية تفرد بها.

وبالرغم من أن اليعقوبي كان متزناً في أخباره دقيقاً في تحري الحقائق والمعلومات التي يورد إلا أنه لم يستطع أن يمنع ميوله من الظهور في تضاعيف الأسطر. فهو واضح الميل العلوي حين يتحدث عن الراشدين والأمويين، كثير الإسهاب في أيراد أقوال الأئمة، وخطبهم وسيرهم عند ذكر وفياتهم.

استفيد منه في معرفة تاريخ العرب القديم، وأنساب القبائل وهجرتها من اليمن، واستفيد منه في معرفة نظام المخاليف، وأديان العرب، وأسواقها ومواسمها وحكامها.

خ.... تاريخ الرسل والملوك للطبري (محمد بن جرير) توفي (٣١٠ هـ)

يعد الطبري عمدة المؤرخين حتى عصره، ألف كتاب الرسل والملوك، واشتهر بذاكرته القوية، ودأبه الذي لا يكل في جمع الأخبار التي تتصل بالبشر منذ خلق آدم حتى عصره على ترتيب السنين سواء كان بالرواية الشفوية أو من كتب المتقدمين أمثال ابن إسحاق، وأبي مخنف والوا قدي، والمدائني. والطبري طالب علم دائم لا يعرف التعب مكثر في مادته ذلك أنه بقي أربعين سنة يكتب كل يوم ورقة[1].

ترجع قيمة الكتاب إلى أنه استطاع أن يجمع بين دفتيه جميع المواد المودعة في كتب الحديث والتفسير واللغة والأدب والسير، والمغازي، وتاريخ الأحداث والرجال ونصوص الشعر

---

(١) شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون ١ / ٢٥٣.

والخطب، والعهود، ونسق بينها تنسيقاً مناسباً وعرضها عرضاً رائعاً ناسباً كل رواية إلى صاحبها وكل رأي إلى قائله، مبدياً حياداً واضحاً اتجاه الروايات[1].

ولم يمل مع أي هوى في إيراد الأخبار التاريخية، وكان حياده في الغالب عن ورع ودقة علمية وقد أهمل عصره[2].

يقسم الطبري تاريخه إلى قسمين القسم الأول قبل الإسلام ذكر الخليقة والبدء وهبوط آدم وقصة قابيل وهابيل ثم عرض للأنبياء نوح وإبراهيم وإسماعيل وأيوب وشعيب ويعقوب ويوسف وموسى والياس وداود وسليمان وهود وصالح ويونس وعيسى ومحمد، وأرخ بعد ذلك للأمم فذكر تاريخ الفرس منذ عهده الأول أيام منوشهر إلى كسرى أبروز، وواقعة ذي قار ويزد جرد بن شهريار، ثم تحدث عن بني إسرائيل وأخبارهم ثم ذكر ملوك الروم منذ المسيحية، وعطف على عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم ثم ملوك اليمن، وبعض مشاهير الأسماء العربية كالوباء ثم تحدث عن أجداد الرسول تمهيداً لعهد الرسالة ولم يتبع في هذا القسم ترتيب السنين، ولكنه أورده على أساس المواضيع.

وتناول التاريخ الإسلامي منذ عهد الرسول حتى ٣٠٢هـ وفرغ من التأليف سنة ٣٠٣هـ.

تعتبر المادة التاريخية التي أتى بها الطبري في تاريخه من أوثق المواد لأنه كمحدث دقيق حاول انتقاءها جهد طاقته، وأوردها دوماً بالنصوص عن أصحابها الرواة الأولين.

وقد كان همه موجهاً بصورة خاصة إلى التاريخ السياسي وحده، وإن ظهرت في بعض الأحيان بعض اللمحات الحضارية.

على أنه ذكر في تاريخ الفرس كثيراً من الحقائق لا نجدها عند غيره وكان دقيقاً في تاريخ الروم دقة تدعو إلى العجب مع قلة المصادر حوله في هذا الموضوع.

كان منهجه التعويل على الروايات والحرص على السند، وأهم ما يؤخذ على الطبري في منهجه ضمور النقد عنده، وقطع الأحداث بالروايات المتعددة، وبالسنين على السواء، ويسرد في الحديث إلى أخبار عارضة تقطع الخبر الأصلي. مما جعل تاريخه يفتقر إلى الوحدة وارتباط السياق.

وقد أسرف في قبول الإسرائيليات والأوهام الخرافية فيما يتعلق ببدء الخلق، وقصص الأنبياء دون تمحيص، وكان فهمه للتاريخ محصوراً بالأمور السياسية خاصة، وبالمشاكل الداخلية للدولة أخص، ومفهوم التاريخ عنده متأثر بالنظرة الدينية أكثر من تأثره بالنظرة التجاربية.

أفاد البحث من المعلومات السياسية والاجتماعية والدينية، والاقتصادية التي وردت عن

---

(١) الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ ص ٥٦

(٢) شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون ١/٢٥٦

الجاهلية العربية المتأخرة في الحجاز واليمن، والمنطقة الشرقية من شبه جزيرة العرب وعن تاريخ الفرس والروم وملوكهم.

د.... العقد الفريد لابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد) توفي (٣٢٧ هـ)

الكتاب عبارة عن موسوعة أدبية علمية اجتماعية تاريخية، ينقسم إلى خمسة وعشرين باباً، يتناول كل منها موضوعاً من المواضيع كالسلطان والحروب والنسب. وتواريخ الخلفاء وأيام العرب، والمواعظ والتعازي والمراتب، وفضائل الشعر وعلل القوافي، والطبائع والنساء والأطعمة والأشربة والفكاهات، والملح وغيرها، وفي كل باب من هذه الأبواب يختلط التاريخ بالأدب واللغة والنحو والعروض، والتقاليد والعادات الاجتماعية، والظاهرة الهامة في هذا الكتاب حذف الإسناد طلباً للتخفيف وهرباً من التطويل.

استفيد منه في المعلومات الواردة عن اليمن القديم وتاريخ القبيلة اليمنية في الجاهلية، وأيام العرب، وذكر أهم الصراعات بين القبائل العربية على الطرق التجارية، يضاف إلى ذلك الفائدة من المعلومات الهامة التي قدمها عن الأنساب.

ذ.... الإكليل ـ للهمداني (أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) وتوفي (بعد ٣٤٥ أو بعد ٣٦٠ أو سنة ٣٣٤هـ).

هو موسوعة الهمداني في أمور اليمن وضعه في عشرة مجلدات، ولكن من المؤسف أن القسم الأوفى من هذه الأجزاء مفقود. فليس بين الأيدي منها سوى أربعة الأول والثاني والثامن والعاشر.

ويبدو أن ضياع هذه الثروة الفكرية لم يكن اعتباطاً، وأن التعصب ضده سواء بسبب مذهبي، أو بسبب قبلي قد أضاع كتبه، وعفى على آثارها.

والباقي من أجزاء الإكليل وإن كان الطابع الغالب عليه هو الأنساب، إلا أنه مملوء بالأحداث التاريخية والإشارات الحضارية والأدبية، إننا نعرف من خلاله حضارة اليمن الأولى في قصورها ومبانيها وكتاباتها وفي نحتها الدقيق وسدودها الزراعية، ما كان منها قبل الهمداني، وما شهده بنفسه باقياً حتى القرن الرابع.

وفي الإكليل قطع أدبية وشعرية لشعراء ورجال مجهولين، وفيه الكثير من مصطلح لغة اليمن، وهي ثروة للبحث اللغوي.

على أن الهمداني رغم كل ميزاته " يتكشف عن مؤرخ قليل البصر في النقد، يتقبل حتى الخرافات المرفوضة أحياناً، ويعتمد بعض الرواة المعروفين بأوهامهم الوعظية.

كما يسجل ترجمات مكذوبة على نصوص المسند[1] "و يبدو أن تعصبه اليمني هو الذي

---

(١) شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون ٢/ ٣٣٦

كان يدعوه لتقبل كل ذلك انطلاقاً مع هواه للموطن.

ويمكن أن نضيف أنه كان أكثر انحرافاً إلى الأنساب منه إلى التاريخ وملاحقة الأحداث، لكن ذلك كله لا يمنع من اعتباره أب المؤرخين في اليمن وشيخهم الأول.

عثر على الجزء الأول منه في أخبار المبتدأ، وأنساب العرب والعجم ونسب مالك بن حمير.

والجزء الثاني في أنساب ولد الهميسع من ولد حمير، ونوادر من أخبارهم، والجزء الثامن القبوريات، وعجائب ما وجد في قبور اليمن وشعر علقمة بن ذي جدن، وأسعد تبع، والجزء العاشر في معارف همدان، وأنسابها وعيون أخبارها، وقد تمت الاستفادة منه في معرفة أنساب القبائل خاصة اليمنية وحمير، وفي معرفة الآثار المعمارية في اليمن، من قصور وسدود وقلاع ومعابد ومدن وصفها الهمداني وصفاً دقيقاً حياً اعتمد فيه على الفحص والمشاهدة والمعاينة الميدانية، وبما أنه حوى الكثير من المعلومات الثقافية والأدبية وبعض الأشعار، فقد عرفتنا هذه الأشعار على ما كانت عليه الحضارة في اليمن قبل الإسلام.

ر.... مروج الذهب ـ المسعودي (علي بن الحسن) توفي (٣٤٦ هـ)

نموذج لتآليف المسعودي التاريخية، فقد وضع فيه تاريخاً عاماً في (١٣٢) باباً تدخل في أربعة مجلدات أولها في ذكر المبدأ والخليقة وآدم وإبراهيم وأخرها في ذكر من حج من الناس من أول الإسلام إلى سنة ٣٣٥، ومن هذا وذاك ذكر المسعودي تاريخ بني إسرائيل والفترة ما بين السيد المسيح ومحمد (ص)، وجمل من أخبار الهند وملوكها وعباداتها، ثم الأرض والبحار، والأقاليم، ثم أخبار الصين، وأمم الخزر والترك والبلغار والسريان والنبط والفرس، واليونان والروم ومصر والسودان والصقالبة والفرنجة والنوكبرد، وذكر عاد وثمود ومكة واليمن وملوكها والحيرة وغسان، وبوادي العرب ودياناتها، وأساطيرها وعاداتها ثم تقاويم الأمم في التاريخ وسنيها وشهورها والبيوت المعظمة لدى الأمم المختلفة، حتى يصل بعد ذلك كله، وقد مضى نصف الكتاب أو يزيد، إلى السيرة النبوية، ثم الخلفاء الراشدين فالأمويين فالخلفاء العباسيين حتى خلافة المطيع لله.

ويسرد في مقدمة كتابه أكثر من مائة مصدر من مصادره التاريخية تمثل أبرز ما أنتجه الفكر الإسلامي حتى عهده، وأهم ما تميزت به طريقة المسعودي التاريخية الموسوعية والاستجابة لتداعي الأفكار والاستطراد والاستسلام للطرائف والغرائب والخوارق، وعدم التنقيح والتنظيم، إلا أنه يستوفي في تاريخه العالمي ذكر مختلف الأمم ويمنحها في نوع من التوازن نصف الكتاب، ويؤكد على أنه أنهى الكتاب (٣٢٢ هـ) وأعاد النظر فيه (٣٤٥)[1] هـ، استفيد منه في معرفة أخبار اليمن وملوكها

---

(١) المسعودي (ابي الحسان علي بن الحسين علي) مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ دار الأندلس بيروت لبنان ط٦ ١٩٨٤ ج ١ ص١ يختصر إلى المسعودي: مروج الذهب. وينظر حاطوم (نور الدين)، المدخل إلى التاريخ دمشق ١٩٦٤ ص٢٩٨ على خلاف في تاريخ الانتهاء من كتابته فقد ذكر حاطوم انه انتهى من كتابته ٣٣٠ هـ.

وديانات العرب وقصة أصحاب الفيل وسيل العرم وأثاره الاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية.

ز.... ملوك حمير وأقيال اليمن. للحميري (أبي سعيد نشوان بن سعيد) توفي (٥٧٣هـ)

يتحدث الكتاب عن ملوك حمير، وأقيال اليمن، وقد تمت الفائدة منه في معرفة التاريخ السياسي للنظم اليمنية القديمة، ونشوء نظام الأذواء والمقاومة اليمنية للاحتلال الحبشي في القرن السادس الميلادي.

س.... الكامل في التاريخ لابن الأثير (أبي الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني) توفي (٦٣٠هـ).

وهو المؤرخ الذي تحرى الأخبار. مرتباً إياها، ملخصاً التاريخ الكبير للإمام أبي جعفر الطبري. مشيراً إلى ذلك كيف عدله بالزيادة والنقصان إلا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب الرسول (ص) فإنه لم يضف إلى ما نقله أبو جعفر شيئاً[1].

إن كتاب الكامل في التاريخ هو تاريخ عام منذ بدء الخليقة حتى عصره، ذكر ابن الأثير في مقدمته سبب تأليفه وأن ذلك يرجع إلى ولعه بالتاريخ وإلى أنه وجد في التواريخ المطول الممل، والمختصر المخل.

جعل ابن الأثير منهجه التسجيل الحولي، وقد ذكر الأحداث الصغرى وبعض الوفيات في نهاية كل سنة، وأما الأحداث الهامة فأعطاها عناوينها ضمن السنة، فلم يخرج بالأحداث من سنة إلى أخرى إلا عند الحاجة إلى الربط، وخوف تفرق الخبر. وأقام بين هذا وذلك، وبقدر استطاعته، توازناً في الحجم بين أخبار المشرق والمغرب، وبين أخبار الدول والملوك المختلفين مما أعطى كتابه طابع التاريخ العام أكثر من أي تاريخ عام لغيره، وهو في الوقت نفسه لم يهمل الحوادث المحلية في كل أقليم وأخبار الظواهر الجوية، والأرضية من غلاء ورخص وقحط وأوبئة وزلازل.

وحرص ابن الأثير بقدر علمه - على تعليل بعض الظواهر التاريخية وعلى نقد بعض الأخبار بل ونقد بعض السلوك من الناس، ونجد لديه النقد السياسي والحربي والأخلاقي والعلمي يدرج عفواً بين ثنايا الأحداث مما جعل شخصيته التاريخية واضحة على الدوام في الكتاب لاسيما حين أرخ لأحداث عصره، وتحدث عن الأيوبيين والزنكيين والصليبيين والمغول.

أن الكتاب متفاوت القيمة التاريخية بين أجزائه فالقسم الأول المتعلق بالخليقة وبدء العالم يعتمد فيه الاعتماد الكلي على الطبري، ولا ينجو من السطحية ومن تقبل الأحاديث الواضحة الوضع رغم استخدامه المنطق في رد بعض الأخبار. وتتخلل أخباره عن الفرس الخرافات والأساطير

---

(١) ابن الأثير (عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم) الكامل في التاريخ دار صادر بيروت ١٩٧٩ ص٣ من مقدمة الكتاب يختصر إلى ابن الأثير: الكامل في التاريخ.

والمبالغات كما أنه في تاريخه للسيرة النبوية قبل الكثير من الأخبار الموضوعة والأسطورية عن التنبؤ بميلاد الرسول وببعثته، لكن أكثر أقسام الكتاب اتزاناً وجدية وشأناً، والأقسام التي أعطته قيمته هي ما اتصل بالتاريخ الإسلامي.

استفيد منه في معرفة الأوضاع الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الحجاز واليمن والمنطقة الشرقية من جزيرة العرب وفي معرفة بعض أيام العرب وأسبابها ونتائجها.

ش.... شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام- للفاسي (أبي الطيب تقي الدين محمد ابن أحمد بن علي) توفي (٧٧٥ هـ).

دون هذا الكتاب أخبار مكة بتفصيل كثير وإحاطة شاملة، واستيعاب دقيق، وهو من المصادر الهامة عن مكة بعد كتاب الأزرقي في أخبار مكة، فيه أربعون باباً، ألم فيه بجميع ما يتصل بتاريخ مكة من قريب أو بعيد منذ الجاهلية حتى عصره، استفيد منه في عرض أخبار قريش قبل الإسلام وفي معرفة الاتصالات التجارية التي كانت قائمة والوضع الاقتصادي آنذاك.

ص.... العبر وديوان المبتدأ والخبر- لابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) توفي (٨٠٨ هـ).

يحتوي الكتاب على أخبار العرب والشعوب الأخرى، وبخاصة البربر، وتحتل مقدمة الكتاب مكانة خاصة في تاريخ الدولة العربية، فقد فلسف ظروف المجتمع العربي منذ نشأته، وتتبع تطوره، وقد كتب مقدمته بالأصل كمقدمة لكتابه التاريخي، ولتكون شرحاً، وتمهيداً لفهم حوادث التاريخ على ضوئها، وقد وصف بحثه الجديد أنه علم مستقل بذاته، له موضوع خاص، وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني[1].

تمت الفائدة منه في معرفة سكن القبائل وأخبارها وتاريخ اليمن القديم السياسي والحضاري وأوضاع القبائل الاجتماعية والسياسية، ومعرفة انساب هذه القبائل، وبعض من أخبارها.

ض.... صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: للقلقشندي (أبي العباس أحمد بن علي) توفي (٨٢١ هـ).

كتاب جليل عظيم النفع، كبير الفائدة، بين فيه القلقشندي حالة اللغة العربية، وكيف كانت في العصور الأولى قبل الاسلام، إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه من الانتشار بعد أن صارت لغة القرآن الكريم، ولغة الشريعة الإسلامية والدين الحنيف، وكيف زهت في عصور الخلفاء من بني أمية، وبني العباس وغزرت مادتها واتسع نطاقها ودنا قطافها.

وبين أحوال الكتابة العربية في البلاد والممالك الإسلامية، وما بلغته من درجات الرفعة والارتقاء، ثم ما آلت إليه بعد ذلك من الضعف والوهن تبعاً لضعف اللغة العربية باستيلاء المغيرين على بلاد الخلفاء. وممالكهم ممن ليسوا من أهلها في اللغة والدين، كما بين طبقات الكتاب

---

(١) حاطوم ورفاقه: المدخل إلى التاريخ ص٣١٤.

وأهل الأدب، وما كان لهم عند الملوك من الرعاية وعظيم الاحترام.

ويبين فيه الخلافة الإسلامية، وشروطها ورسومها، ومن وليها، والممالك الإسلامية في المشرق والمغرب، وما بلغته من درجات المجد والحضارة، وحدودها، وأنظمتها، ورسومها وآثارها، وأخبر عن البلاد المصرية، وفضائلها ومحاسنها وخواصها وعجائبها، وما فيها من الآثار، فهو دائرة معارف.

استفيد منه في معرفة جغرافية البلاد العربية القديمة، والتاريخ السياسي والحضاري لليمن القديم وفي دراسة الأوضاع الاقتصادية لليمن.

٣ـ كتب النسب

الأنساب سلاسل أسماء تدعو لها الحاجة الاجتماعية القبلية للتعارف والتمايز. إنها كالأعمدة تنسج من حولها بعض القصص التي يحفظ تكوينها، هي في الواقع التاريخ الانتروبولوجي التقليدي، والهيكل العظمي للفكرة التاريخية، وبالرغم من أنها أكثر تاريخية من القصص باعتبارها شكلاً من أشكال التعبير التاريخي يسجل إطار التكون القبلي، إلا أن المعلومات النسبية الجاهلية بقيت شفهية فترة طويلة بعد الإسلام وتحوم حول شكلها المسجل لدينا من بعد شكوك كثيرة.

** أهم كتب النسب:

أ....جمهرة النسب لابن الكلبي (هشام بن محمد بن السائب أبو المنذر) توفي (٢٠٤ هـ)

اقتفى ابن الكلبي خطوات والده محمد بن السائب توفي (١٤٦ هـ) فقد كان عالماً بالأنساب، غير أنه تفوق على والده، وصار في طليعة الباحثين في الدراسات الآثارية عند المسلمين برجوعه إلى الأصول، واعتماده على المراجع التاريخية، وقد نهج في طريقة كتابته نهجاً قريباً من منهج المؤرخين في تدوينهم التاريخ[1].

تعود أغلب المعارف عن فترة الجاهلية الأخيرة إليه، فهو يتناول أنساب العرب والقبائل العربية وتفرعاتها وأحلافها والمآثر والبيوتات والمنافرات، وله كتب متعددة أهمها: كتاب الأصنام وجمهرة النسب الذي يحوي مع الأنساب بعض الملاحظات عن الرجال وبالرغم من أن الهمداني اعتبره ناقصاً في أنساب اليمن إلا أنه أضحى المرجع الأساسي للمؤلفين من بعد.

استفيد منه في معرفة من عمل لآل كسرى من العرب وتاريخ سنيهم في بيع الحيرة.

ب.... نسب قريش ـ للمصعب الزبيري (عبد الله المصعب بن عبد الله) توفي (٢٣٦ هـ)

يقع الكتاب في اثني عشر جزءاً على أطوال متباينة بعض الشيء ولكن هذا التقسيم مصطنع فلا يكاد الباحث يجد فيه جزءاً مستقلاً بنفسه، وكل جزء يبدأ بالأسانيد نفسها.

---

(١) جواد المفصل ٨٨/١.

استفيد منه في معرفة أخبار قريش، وذلك من خلال ذكر حكايات تتعلق بالجوانب التاريخية والاجتماعية المتعلقة بها.

ت.... أنساب الأشراف: للبلاذري (أحمد بن يحيى) توفي (٢٧٩ هـ)

وهو موسوعة ضخمة ما يزال في معظمه مخطوطاً، ويظهر في هذا الكتاب تلاقي طريقة الخبر بالأنساب في الطبقات بالتاريخ، وتلاقي طريقة الرواية المنفصلة والخبر المفرد مع الرواية التاريخية المتصلة والتاريخ المطرد. فقد كتب التاريخ، ولكن على أساس عمود الأنساب لا الزمن التاريخي، ثم جعل لكل موضوع عنواناً فرعياً خاصاً به كأنه وحدة مستقلة تماماً على ما عرفنا من عناوين كتب الإخباريين، فهو ليس مؤلفاً تاريخاً متصل الحلقات ولكنه مجموع روايات في إطار الأنساب توسعت حتى احتوت الأخبار والشعر والتراجم فهو كتاب نسب من جهة وكتاب أخبار وتاريخ واستقصاء وشرح من جهة أخرى.

اعتمدت مصادر البلاذري في أنساب الأشراف على المؤلفات المكتوبة والرواية الشفهية. أفاد البحث من الأخبار الاقتصادية ـ والاجتماعية والسياسية التي وردت في ثنايا الكتاب.

ث..جمهرة أنساب العرب (لابن حزم الأندلسي محمد علي بن أحمد بن سعيد) توفي (٤٥٦ هـ).

و هو كتاب واسع في النسب. أشار فيه المؤرخ إلى انساب العرب وأهم الأحداث التاريخية والقبلية والأدبية وأيام العرب المشهورة، والمشهور من أمثالها، وأنبائها، مع التحقيق في ذلك كله، وبيان الخلاف فيه مع الحكم الصادق، وبذلك نأى في كتابه عن الجفاف واليبوسة التي يعانيها الناظر في كتب النسب[1].

وعقد فصلاً في نهاية كلامه عن النسب تحدث فيه عن ديانات العرب وأصنامها[2].

استفيد منه في أنساب القبائل المختلفة، وهجرتها، وأيامها، وديانتها.

ج.... سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ـ للبغدادي السويدي (أبي الفوز محمد أمين) (توفي ١٢٤٦ هـ)

أوصل البغدادي في كتابه آخر القبائل بأوائلها بخطوط تمتد من الآباء إلى الأبناء، واضعاً كل اسم ضمن دائرة تحيط به، وقد ابتدأ الأنساب من آدم أبي البشير، ورتبه على ثلاثة عشر باباً ذاكراً فيها علم الأنساب، وفائدته وطبقات الأنساب، ومساكن العرب القديمة التي درجوا منها إلى سائر الأقطار، وعرفنا على بعض أنساب العرب، والترك والروم والسودان، وبعض القبائل

---

(١) ابن حزم الأندلسي: جمهرة انساب العرب ـ دار المعارف بمصر ١٣٨٢- ١٩٦٢ م ص١٣ من مقدمة الكتاب يختصر إلى الأندلسي: جمهرة انساب العرب.

(٢) الأندلسي: جمهرة انساب العرب ص ٤٩١ ـ ٤٩٤.

التي اختلف فيها هل هي من العرب أو من غيرهم، ولم ينسَ ذكر ديانات العرب قبل الإسلام، وفي نهاية الكتاب عقد فصلاً تحدث فيه عن نيران العرب في الجاهلية، وفصلاً ذكر فيه أسواق العرب المعروفة قبل الإسلام[1].

استفيد منه في معرفة ديانات العرب وأسواقها.

ثالثاً: كتب جغرافية

أ.... المسالك والممالك (لابن خرداذبة عبد الله بن عبد الله) توفي (٣٠٠ هـ)

افتتح الكتاب في صفة الأرض. وقبلة أهل كل بلدة. والسواد وكوره والجانب الشرقي من سقي دجلة. والجانب الغربي من سقى الفرات ومبلغ جباية السواد وملوك الأرض في أول الزمان ومملكتهم، وألقابهم وخبر المشرق وطرقه وتفرعاتها وألقاب ملوك خراسان والمشرق، ثم انتقل إلى العراق وطرقه، وعندما انتهى من المشرق انتقل إلى المغرب ذاكراً طرقه ومدنه وأقاليمه وكوره وسككه.

ولم ينس ذكر عجائب الدنيا ـ وبلاد الشمال وطرقه ومدنه وكوره، وانتقل إلى بلاد الجنوب ذاكراً فيها كل ما يتعلق بتلك البلاد.

وكان يذكر من خلال ذلك طريق البادية، وأعراض المدينة والطرق فيها، ومخاليف مكة ونجد وتهامة، والطرق وتفرعاتها، واليمن ومخاليفها، والسكك والبنيان فيها ....الخ.

استفيد منه في معركة سكن القبائل، و أعطى معلومات هامة عن الزراعة والطرق التجارية والمخاليف.

ب.... صفة جزيرة العرب للهمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد) توفي (٣٣٤ هـ)

أشهر مؤلفات الهمداني بعد الإكليل[2].

ذكر فيه جزيرة العرب ذاكراً أسماء بلادها، وأوديتها وجبالها، والكثير من معالمها الجغرافية وما اشتهرت به هذه المواضع.

وكان ينقل أسماء القبائل التي أقامت في تلك المواضع، إلا أنه عندما كان يكتب عن اليمن، فإنه كان يكتب عن رؤية ومعرفة[3]. أما عندما يكتب عن الأجزاء البعيدة عن اليمن فيكتب عن نقل ولهذا جاءت أخباره عن اليمن أقرب للواقع.

---

(١) البغدادي السويدي (ابي الفوز محمد امين) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ط١ ١٤٠٦هـ١٩٨٦ ص٥ ـ٦.

(٢) الهمداني (أبو محمد الحسن بن احمد ـ صفة جزيرة العرب ـ دار اليمامة الرياض ١٣٩٤هـ١٩٧٤ م ص٣١ من المقدمة. يختصر إلى الهمداني الصفة.

(٣) الهمداني: الصفة: ص١٨ من المقدمة.

استفاد البحث من هذا الكتاب، من المعلومات الاقتصادية عن الزراعة والتجارة والمعادن، والصناعات والحرف والثروة الحيوانية بأنواعها، ساعدت في إغناء البحث لاسيما فيما يتعلق بالتاريخ الاقتصادي لليمن وبعض المناطق الأخرى، كما أفاد البحث ببعض المعلومات التي وردت في ثنايا المعلومات الاقتصادية تذكر بعض عبادات القوم والمعتقدات التي اعتنقها السكان هناك.

ت.... معجم ما استعجم للبكري (عبد الله بن عبد العزيز) توفي (٤٨٧ هـ)

ذكر أسماء البلاد والمواضيع، حديثاً وخبراً وتاريخاً وشعراء. وتحدث عن المنازل والديار والقرى والأمطار والجبال والآثار والمياه والآبار والدارات والحرارة، منسوبة محددة ومبوبة على حروف المعجم. استفيد منه في معرفة جغرافية بعض الأماكن، ومناطق سكن القبائل وقدم معلومات متناثرة عن اقتصاد بعض الأماكن وأوضاعها الاجتماعية، كما أورد معلومات هامة عن الأنساب وهجرة القبائل إلى خارج اليمن. وفي كل ذلك فائدة عظيمة أغنت البحث.

ث.... معجم البلدان لياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله) توفي (٦٢٦ هـ)

قسم ياقوت كتابه إلى ثمانية وعشرين كتاباً على عدد حروف المعجم ثم قسم كل كتاب إلى ثمانية وعشرين باباً للحرف الثاني للأول، والتزم ترتيب كل كلمة منه على أول الحرف. وثانيه وثالثه، والغرض من هذا الترتيب ـ تسهيل طريقة الفائدة مع غير مشقة، وقبل أن يفعل ذلك عقد خمسة فصول في ذكر صورة الأرض، وفي وصف الاختلاف في الاصطلاح على معنى الإقليم، وفصل في ذكر ألفاظ يكثر تكرار ذكرها في الكتاب يحتاج إلى معرفتها كالبريد ـ والفرسخ والميل والكورة.

ثم فصل في بيان حكم الأرضين. والبلاد المفتتحة في الإسلام ومن ثم جمل من أخبار البلدان.

أفاد الكتاب البحث في معرفة مواقع البلدان المطلوبة، ومن المعلومات التي وردت أثناء حديثه عن البلد وذكر فيها اسم القبائل، وبعض المعلومات التاريخية والأدبية، وبما أنه أيد بعض المعلومات ببعض الأشعار فقد أفادت هذه الأشعار البحث فائدة كبيرة.

رابعاً: كتب الأدب

في ثنايا بعض كتب الأدب ثروة تاريخية قيمة لانجد لها مثيلاً في كثير من الأحيان في المؤلفات التاريخية، وإن ماجاءت به كتب الأدب عن ملوك الحيرة وعن الغساسنة وملوك كندة وعن أخبار القبائل العربية هو أكثر بكثير مما جاءت به كتب التاريخ، بل أحسن منها عرضاً، وأكثر منها دقة، ويدل عرض نصوصها بالأسلوب الأدبي المعروف على أنها مستمدة من موارد عربية خالصة ومأخوذة من أفواه شهود عيان شهدوا ما تحدثوا عنه. يأتي في طليعة الكتب الأدبية:

١) دواوين الشعر المختلفة:

آ- ديوان امرئ القيس توفي ٨٠ ق.هـ.

ب- ديوان الأعشى توفي ٧هـ.

ج- ديوان سلامة بن جندل توفي مطلع القرن السابع الميلادي.

د- ديوان حسان بن ثابت توفي ٥٤هـ..... ودواوين أخرى.

٢) **الأغاني**: الاصبهاني (أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد) توفي (٣٥٦ هـ)

وهو من أشهر كتب الأدب في القرن الرابع الهجري وأحفلها بالمعارف، فهو موسوعة أدبية قيمة تعتز بها مكتبتنا العربية، غزيرة المادة، متنوعة الموضوعات.

وهو أوسع مصدر نملكه في تراجم شعراء العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري.

وقد كان غرض المؤلف الأول من كتابه إنما هو تثبيت أشهر أغاني عصره بكلماتها وألحانها، ومن هنا جاء العنوان الذي أختاره المؤلف لكتابه.

ولكن ذلك لا يخفي حقيقة ما تنطوي عليه مادته من قيمة وفائدة خاصة في ميدان الأخبار والشعر، ففي هذا الكتاب ما يقرب من خمسمائة ترجمة لخمسمائة شاعر وشاعرة ، عاشوا في الجاهلية وصدر الإسلام، والعصر العباسي الأول، وهذه التراجم غزيرة المادة تحتوي قسطاً وافراً من الأخبار.

روى الاصبهاني أخباره مرفقة بالأسانيد المطولة مشيراً إلى مصادره المكتوبة في كثير من الأحيان، وكل من يتصفح هذا الكتاب لا بد له أن يقدر الجهد الذي بذل في تصنيفه، ويقتنع بأن مؤلفه لم يكن يغالي كثيراً حين زعم أنه انفق خمسين عاماً من حياته في جمع مادة كتابه، وأنه كتبه مرة واحدة في عمره، وهي النسخة التي أهداها إلى سيف الدولة بن حمدان فأعطاه ألف دينار[1].

استفيد منه في معرفة جغرافية بعض المواقع، وأوضاع بعض القبائل الاجتماعية وبعض الحوادث الدينية والتاريخية المتعلقة باليمن والحجاز والمنطقة الشرقية، وأخبار الروم والفرس وبعض أيام العرب. وأخبار بعض الشعراء وتراجم بعض الرجال حيث قدمت هذه الترجمات مادة تاريخية غزيرة أفادت البحث.

٣) **لسان العرب لابن منظور** (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري) توفي (٧١١ هـ) كتاب لغة ونحو وصرف وفقه وأدب، وشرح للحديث الشريف وتفسير للقرآن الكريم[2].

---

(١) الأصبهاني (أبو الفرج علي بن الحسين) الأغاني ـ مؤسسة جمال للطباعة والنشر ـ بيروت لبنان ج١ ص٣٢ تصدير.

(٢) ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) لسان العرب ـ دار صادر ـ بيروت ج١ ص٦ يختصر

استفيد منه في شرح بعض المفردات اللغوية ومن المعلومات التاريخية الواردة أثناء الشرح.

٤) **تاج العروس للزبيدي** (محمد مرتضى الحسيني) توفي ١٢٠٥ هـ.

جاء الكتاب واضح المنهج سهل السلوك، وهو وإن كان قد نقل عن اللسان، والكثير من الكتب إلا أنه انفرد ببعض الشواهد والأقوال، وقد ذكر " ولم آل جهداً في تحري الاختصار، وسلوك سبيل التنقية والاختيار وتجريد الألفاظ من الفضلات التي يستغني عنها في حط اللثام عن وجه المعنى عند ذوي الأفكار[1] ".

استفيد منه في شرح بعض الألفاظ، ومن المعلومات التاريخية الواردة أثناء الشرح، يضاف إلى ذلك بعض المعلومات الدينية.

المصادر السريانية واليونانية

حفظت المصادر السريانية كثيراً من الحقائق عن تاريخ العرب القديم حتى ظهور الإسلام، خفيت عن المؤرخين الإسلاميين[2]. ومن هنا تأتي أهمية المصادر السريانية.

ـ أشهر الكتاب الذين أسهموا في هذا المجال:

١) **شمعون الأرشمي:** صاحب رسائل الشهداء الحميريين التي تبحث عن تعذيب الملك ذي نواس للنصارى في نجران، وقد ادعى أنه جمع أخبارها من بلاط الحيرة أيام أوفده إليه إمبراطور الروم في مهمة رسمية[3].

تمت الاستفادة من هذه الرسائل في البحث عن أهل نجران ومذبحتهم، وقد اطلعنا على الرسالة الثانية لشمعون من خلال كتاب الشهداء الحميريين العرب لاغناطيوس يعقوب الثالث، هذه الرسالة تميط اللثام بنوع خاص عن ارثوذكسية مارشمعون الأرشمي، والشهداء والمؤمنين الحميريين والأحباش، وملكهم كالب ومدى علاقة هؤلاء بالحميريين أولاً وبأرثوذكسيي بلاد الفرس ثانياً، وتصحح أخطاء بعض المؤرخين المتأخرين الذين احتطبوا في ليل بهيم، وخبطوا خبط

إلى ابن منظور: لسان العرب.

(١) الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني) تاج العروس ـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ـ مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٥ ج١ ص٩ المقدمة ـ يختصر إلى الزبيدي: تاج العروس.

(٢) العزيز (حسن قاسم)، موجز تاريخ العرب والإسلام ـ منشورات مكتبة النهضة ـ بيروت ـ بغداد ١٩٧١ ـ ومطابع دار العلم للملايين ١٩٧١ ص١٦ يختصر إلى العزيز: موجز تاريخ العرب والإسلام.

(٣) جواد: المفصل ٦٣/١.

عشواء لأمر في نفس يعقوب، وتثبت بالتالي أن مارشمعون نفسه هو مؤلف كتاب الحميريين[1].

٢) **الشهداء الحميريون العرب ـ لاغناطيوس يعقوب الثالث.** وهو عدة أشكال من الروايات، والرسائل الرسمية الكهنوتية تروي قصة الأخدود، وتحريق المسيحيين في اليمن من قبل اليهود، فهو من هذا الوجه يشبه كتاب استشهاد الحارث بوجه من الوجوه، وإن اختلفا أحياناً في بعض التفصيلات كعدد السفن، ومكان تجمع الجيش وعدد الشهداء النجرانيين.......... الخ.

حوى الكتاب ستة أبواب، الباب الأول في النصرانية في البلاد الحميرية، والثاني في الوثائق السريانية، أما الباب الثالث والرابع والباب الخامس ففي الوثائق عن الشهداء الحميريين دراسة وتحليل، والباب السادس في النصرانية في البلاد الحميرية بعد الفتح العربي الإسلامي.

أفاد هذا الكتاب البحث خاصة في معرفة تغلغل النصرانية إلى اليمن واضطهاد نصارى نجران، واستيلاء الأحباش على اليمن، ويفهم من هذا الكتاب أن اليمن كان بها يهود ونصارى بالإضافة إلى بقاء الوثنية.

٣) **حولية حنا مالا لاس:** بدأ حنا حوليته منذ بداية العالم حتى موت جستنيان سنة ٥٦٥ م[2].

وهذه الحولية من المصادر المهمة لفترة البحث، وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات الشرقية لإمبراطورية البيزنطية مع شعوب حدود القسم الشرقي للإمبراطورية سواء مع شعوب شرق البحر الأسود أو الفرس أو الحبشة أو اليمن، هذا فضلاً عن دراسة الأحوال الداخلية للإمبراطورية، وبخاصة ثورتي السامريين في عصر جستنيان.

أفاد البحث من المراسلات التي دارت بين ملك الحبشة، وذي نواس ملك اليمن، ومن السفارة التي أرسلها جستنيان إلى ملك الحبشة وحيث قدم وصفاً شيقاً للقاء الذي تم بين ملك الحبشة والوفد الروماني، مؤكداً على نجاح هذا الوفد في مهمته، وذاكراً أنه استقى هذه المعلومات من أحد أعضاء الوفد الرومي الذي زار الحبشة.

لم أستطع العودة إلى هذه الحولية رغم ما بذلت من جهود وذلك لندرتها فاطلعت عليها من خلال ثنايا بعض الكتب كالمفصل لجواد علي ـ وإيران في عهد الساسانيين لكريستنسن، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية لمحمد فتحي الشاعر.

٤) **تاريخ الحروب لبروكوبيوس القيساري:**

بروكوبيوس القيساري من رجال القرن السادس للميلاد، وكان أمين سر القائد بليزاريوس

---

(١) يعقوب الثالث (اغناطيوس) الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية بطركية السريان ـ دمشق ١٩٦٦ ص٣-٤ توطئة، يختصر إلى الشهداء الحميريون.

(٢) شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون ج٢ ص٤١٣

أعظم قواد جستنيان، وقد رافقه عدة سنين في بلاد فارس وشمال أفريقيا وجزيرة صقلية[1].

وردت في كتابه عن الحروب أخبار ذات أهمية بالنسبة لبلاد العرب أفادت البحث.

لم نستطع أن نطلع على هذا الكتاب إلا من خلال بعض الكتب التي وجدت نقول عنه في ثناياها ككتاب المفصل لجواد علي، وكتاب السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية لمحمد فتحي الشاعر وغيرهما من الكتب ككتاب إيران في عهد الساسانيين لكريستنسن والشمال الشرقي الإفريقي لكوبيشانوف.

٥) كتاب استشهاد الحارث:

يتحدث الكتاب عن شهادة القديس الحارث، وجماعته بمدينة نجران على يد ذي نواس، ويتحدث أن ذا نواس لم يكن متمسكاً باليهودية بل إنه وجماعته كانوا يكرمون الأوثان. ويشير إلى أن اليمن كانت تابعة لملك الحبشة، وتدفع له الخراج والهدايا.

ويذكر أن ذا نواس جمع النصارى، وحنث بيمينه الذي قطعه على نفسه وقتلهم. وقتل القديس الحارث، ثم يذكر عدد من قتل، وكيف أبلغ ملك الحبشة بالمذبحة، ويتحدث عن الاستعداد للقتال، وتجميع السفن في ميناء غبزا، إلا أنه لا يعين تبعية هذه السفن التي تم جمعها، وينتقل إلى خطة القتال وكيف أبطلت خطة الحميريين بالسلسلة التي مدوها، لإيقاف الغزو الأثيوبي بأن أتت أمواج عالية قذفت بالسفن فوق السلسلة، وعبرت وانتصر الأحباش، وبذلك انتقم الأحباش من ذي نواس بقتله وأصبحت حمير تابعة للحبشة.

وكل ذلك أفاد البحث وأغناه بمادة مهمة، وإن كان الملاحظ أن النص دُوِّن باللغة العربية الدارجة دون مراعاة لقواعد النحو أو الكتابة، وقد تم الإطلاع على كتاب استشهاد الحارث بفضل كوبيشانوف فقد نشره كملحق في نهاية كتابه الشمال الشرقي الأفريقي.

النقوش الكتابية

تعد النقوش الكتابية الأثرية في طليعة المصادر التي تكون التاريخ بوجه عام. والتاريخ العربي القديم بوجه خاص، وهي وثائق ذات شأن، لأنها الشاهد الناطق الحي الوحيد الباقي من تلك الأيام.

أغلب الكتابات قبل الإسلام، والتي عثر عليها ويا للأسف في أمور شخصية وغير مؤرخة (أي لا تحمل تاريخاً) ولذلك انحصرت فوائدها في نواح معينة، إلا أنها بما تتضمنه من أخبار تضم

(١) جواد: المفصل ٦٣/١.

مادة أساسية لتاريخ العرب السابق على ظهور الإسلام، وتاريخ حضارتهم، لاسيما ما يختص منها بالدراسات اللغوية.

وهي لهذا السبب تعد وثائق أصلية، يستند عليها المؤرخ في تاريخه للأحداث.

لأنها كتابات محايدة غير مغرضة، بالإضافة إلى كونها معاصرة لهذه الأحداث التي تسجلها، لم تشوهها الروايات والنقول.

ومعظم ما وصل إلينا من النقوش العربية القديمة، يرجع إلى بلاد العرب الجنوبية، وقليل منها يرجع إلى العربية الشمالية.

الكتابات الجنوبية

١ـ نقش شمريهرعش (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت)[1].

٢ـ نقش شر حبيل يعفر (ملك سبأ وذو ريدان وحضر موت ويمنت وإعرابها في الجبال والسواحل[٢].

٣ـ نقش عبد كلال الذي ذكر فيه اسم الرحمن.

وقد تمت الفائدة من النقوش الثلاثة في الدلالة على توسع ملك الحميريين حيث أن ألقابهم تعتبر في معظم الأحوال على مناطق نفوذهم في بلاد اليمن، ومن ثم أن ذكر اسم الرحمن في النقش الثالث إشارة إلى ظهور فكرة التوحيد على لسان ملوك اليمن وزعمائها.

٤- نص حصن الغراب الذي أمر بكتابته السميفع اشوع وأولاده تخليداً لذكرى انتصار الأحباش على اليمانيين عام ٥٢٥م. منه عرفنا تبعية حمير لأكسوم وجلوس سميفع اشوع على العرش قبل قليل من مغادرة ملك أكسوم للجنوب العربي، ذلك أن اسمه يرد دون اللقب الملكي برقيم حصن الغراب.

٥- نص أبرهة الذي أمر أبرهة حاكم اليمن في عهد الأحباش بوضعه على جدران سد مارب لما قام بترميم السد وإصلاحه عام ٥٤٢ م وهو كتابة مهمة تتألف من (١٣٦) سطراً عرفنا من خلاله اللقب الرسمي لملوك حمير، وثورة يزيد ابن كبشة وتصدع السد، وترميمه، ومن ثم قدوم الوفود للتهنئة بذلك وسرد أسماء والوفود والسفارات، أمكن الاستدلال منه على مكانة كل منها في ذاك الوقت.

تم الإطلاع على كل هذه النصوص من خلال بعض الكتب ككتاب كويشانوف الشمال الشرقي الإفريقي ـ وكتاب جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام وكتاب مطهر الإرياني نقوش مسندية، وكتاب عبد العزيز سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية، وأحمد فخري: اليمن ماضيها وحاضرها. وغير ذلك من الكتب.

---

(١)جواد، المفصل ج١ ص ٥٠.

أما الكتابات الشمالية: فأهمها النقش الذي يعرف بنقش النمارة الذي عثر عليه رينيه ديسو على جبل الصفا الواقع إلى الجنوب الشرقي من دمشق، وهو شاهد قبر الملك اللخمي امرئ القيس بن عمرو ابن عدي (٢٨٨- ٣٢٨ م).

وهو نقش مكتوب بحروف نبطية في لغة عربية[1].

أفاد هذا النقش في معرفة علاقة الروم بالعرب واتساع ملك امرئ القيس حتى أصبح قوة يحسب لها حساب.

المراجع الحديثة

كان لابد من العودة إلى المراجع الحديثة. خاصة لأنها تعتمد في كتابتها على التحليل والتفسير، واتباع قواعد المنهج الحديث للتاريخ. وذلك للاطلاع على أهم الآراء والنظريات والأفكار التي قيلت في الصراع الدولي على الجزيرة العربية ولاستقراء نصوص لم تتوفر لي مباشرة. على أنه لم يكن هناك مراجع متخصصة بالموضوع مباشرة، إنما كانت قريبة منه، أو تبحث في أحد جوانبه، أو تلقي ضوءاً هاماً على إحدى زواياه وفقراته مثل كتاب:

١) **جواد علي:** المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.

هذه الموسوعة التي تحوي (١٦٨) باباً، تسهل على الباحثين العرب التعرف على المعلومات الأساسية اللازمة للبحث سواء في المصادر العربية القديمة والحديثة أو في الكتب والمجلات العلمية الأوربية الحديثة.

هذا الكتاب مرجع ولكن يمكن أن يعتبر بحق بمثابة مصدر من المصادر الهامة التي لا يمكن الاستغناء عنها، اختص الجزء الأول في جغرافية البلاد وطبقات العرب وأنسابهم ـ والجزء الثاني في ممالك اليمن القديمة وقوائم بأسماء الملوك والقبائل.

والجزء الثالث في ممالك النبط وتدمرو الصفويين ـ الحيرة كندة غسان ـ العرب والحبشة.

والجزء الرابع في مكة ويثرب والطائف، والأحوال السياسية قبل الإسلام، المجتمع ـ القبائل ـ الحياة اليومية.

والخامس في البيوت والمستوى الاجتماعي ـ الدول، حقوق الملوك والقبائل، الحروب، الأحوال

---

(١) ديسو (رينيه) العرب في سوريا قبل الإسلام - ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد مصطفى زيادة ـ دار الحداثة ط٢ ١٩٨٥ م ص٣ يختصر إلى ديسو: العرب في سوريا قبل الإسلام.

الشخصية، حكام العرب.

أما الجزء السادس فكان موضوعه الديانات والعادات والأساطير.

وكان السابع يبحث في الحياة الاقتصادية.

والثامن في العمارة والخط العربي والعلم والحكمة والطب والهندسة والتوقيت واللسان العربي.

وقد تمت الاستفادة من الجزء الأول والثاني والسادس والسابع في أغلب موضوعاتها حيث حاول المؤلف أن يجمع فيها كل ما قاله العرب قديماً وحديثاً في تاريخ الجاهلية في اليمن ونجد والحجاز والعراق والشام، ويضيف إلى ذلك ما قاله المستشرقون في ذلك.

ولا ريب في أن هذا الكتاب يغني عن مراجعة عدد من أصول التاريخ ومراجعه.

والمؤلف واسع الإطلاع فعندما كان يسوق الخبر لم يترك شيئاً يتعلق به إلا ويورده ويناقش روايات المصادر والمراجع ويقارن بينها ويرجح بعضها على بعض، فهو من أجل ذلك أوفى ما كتب في تاريخ العرب قبل الإسلام.

٢) **محمود شكري الألوسي:** بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب.

الكتاب عبارة عن ثلاثة أجزاء تبدأ بتعريف الجاهلية وتتحدث عن شجاعة العرب ووفائهم ومساكنهم التي درجوا منها وأشراف قريش في الجاهلية والإسلام والأعياد والأفراح والأحزان والأسرة، وأديان العرب.

تمت الفائدة منه في معرفة هجرة القبائل ومساكنها وأديانها.

٣) **عبد العزيز سالم:** في تاريخ العرب في عصر الجاهلية.

قسم الكتاب على أبواب متعددة والباب الأول دراسة تمهيدية، والباب الثاني عن عرب الجنوب، والثالث في الدويلات العربية على تخوم الشام والعراق، أما الباب الرابع فيبحث في حواضر الحجاز مكة والمدينة والطائف.

والخامس خصص للحياة الاجتماعية والدينية، واختتم الكتاب بالتمهيد لظهور الإسلام.

تمت الفائدة منه في التعرف على عرب الجنوب واحتلال اليمن من قبل الأحباش، والفرس ثم التعرف على الديانات المختلفة.

٤) **جرجي زيدان:** العرب قبل الإسلام.

قسم جرجي زيدان الكتاب إلى طبقات ثلاث، العرب البائدة ودول اليمن أو الجنوب والعدنانية أو الإسماعيلية. وقد بذل المؤلف جهداً في إيراد أخباره وكانت مصادره متنوعة، مصادر كتابية وكتب مدونة ومصادر منقوشة على الآثار.

أفاد البحث في التعرف على دول اليمن اجتماعياً وحضارياً واقتصادياً، والتعرف على قبائل الشمال واستقرارهم، والتعرف على أيام العرب والوقائع بينهم.

٥) **العرب على حدود بيزنطة وإيران:** نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم.

يتحدث الكتاب عن القبائل العربية على حدود بيزنطة في القرنين الرابع والخامس وعن مملكة عرب الفرس اللخميين وسيادة قبيلة كندة. ويتحدث عن الغساسنة عمال البيزنطيين وعن العرب ومشكلة الدفاع عن الحدود البيزنطية.

ويبحث في تركيب المجتمع العربي وأوضاعه الاقتصادية قبل الإسلام ويتحدث عن العرب والنصرانية.

تعود قيمة الكتاب لمعرفة المؤلفة الجيدة باللغتين الكلاسيكيتين للعالم القديم، فقد استطاعت أن تغوص في المصادر المدونة باليونانية واللاتينية لتستخرج منها أخبار القبائل العربية وعلاقاتها مع الإمبراطورية الرومانية ثم بالتالي مع وريثتها بيزنطة.

واستفادت من المادة المدونة بالسريانية لمعرفة المؤلفة باللغات السامية، وأفادت من الحوليات البيزنطية المدونة باللغة اليونانية واستخرجت مادتها التي تمس العرب وتمس سياسة بيزنطة مع دول المنطقة.

يضاف إلى ذلك أن المؤلفة كانت متمرسة جيداً بمنهج البحث التاريخي.

لذا فقد أفاد البحث كثيراً في معرفة قبائل الشمال والحيرة وسياسة إيران الخارجية، والكنديين وسيادتهم في وسط الجزيرة العربية، وكيف تم الصراع على البحر الأحمر ثم معرفة الأوضاع الاجتماعية في الجنوب العربي...... وأخيراً فإن الكتاب من المراجع الهامة للبحث لا يمكن الاستغناء عنه.

٦) **الشمال الشرقي الإفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقاته بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف السابع.** لبوري ميخايلوفتش كوبيشانوف ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم.

يبحث هذا الكتاب في النصرانية واليهودية في الجنوب العربي خلال القرن الخامس وبداية السادس.

ثم يتابع الحديث عن الأثيوبيين والحميريين والحرب بينهما، وخضوع حمير للسيادة الأثيوبية. ويتحدث عن أكسوم وبيزنطة وتملك أبرهة الحبشي بحمير، ثم انهيار الأسرة الأثيوبية الحاكمة ببلاد حمير وحملات الفرس في الجنوب العربي وكيف أصبحت حمير ولاية ساسانية.

والحركات المعادية لبيزنطة بمصر وصلاتها بممالك النوبة والفرس في مصر والبحر الأحمر، ويتابع الحديث عن آخر الوقائع بين بيزنطة والفرس وكتب النبي إلى الملوك والزعماء ومعارك المسلمين الأولى مع الحبش والنوبة ومجتمعات ودول إفريقيا الشمالية الشرقية في القرنين السادس والسابع والعلاقات التجارية لأكسوم والنوبة مع العالم الخارجي في القرنين السادس والسابع وحضارة أكسوم والنوبة في القرنين السادس والسابع، وذلك في نطاق حضارات القرون الوسيطة المبكرة.

وقد وجدنا من تنوع الموضوعات معلومات فريدة وجديدة عن منطقة مهمة من مناطق العالم التي شهدت سيرة الرسالات السماوية الثلاث ابتداء باليهودية التي حاولت أن تجد مكاناً لها في الشمال الشرقي الإفريقي وجنوب الجزيرة العربية، ومروراً بالنصرانية التي وجدت مكاناً لها في القارة الإفريقية، وانتهاء بالإسلام.

تتميز نظرة المؤلف بالإحاطة والشمول، فهو إلى جانب سرده للأحداث التاريخية يفصل القول في التركيب الاجتماعي للشعوب والقبائل الإفريقية. ويبين أهمية الحضارة المادية والتبادل التجاري في علاقاتها مع الشعوب الأخرى.

كما يولي اهتماماً كبيراً للصراع الدائر بين الأديان والمذاهب في منطقة الشرق الأدنى في تلك اللحظة الحاسمة من تاريخ البشرية، ويلقي ضوءاً ساطعاً على بزوغ فجر الإسلام في بداية القرن السابع الميلادي وانتشاره في الشرق الأوسط والشمال الإفريقي.

وبما أن المؤرخ عالم لغوي موهوب يجيد عدداً من اللغات بين سامية وأفريقية وهندية ـ أوربية لذا استطاع أن يغوص في المصادر الأصلية ويعتصر مادتها، هذا إلى جانب معرفته بعدد من اللغات الأوربية الحديثة. وكل ذلك جعل للبحث مادة مفيدة وهامة.

يضاف إلى هذه المراجع العامة مراجع اختصت بناحية معينة من البحث ككتاب عبد المجيد عابدين بين الحبشة والعرب، والإرياني نقوش مسنديه، والجارم أديان العرب، والحوفي تيارات ثقافية بين العرب والفرس، وحوراني العرب والملاحة، ومراجع كثيرة أخرى سيرد ذكرها في قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.

الفصل الأول

وصف جزيرة العرب

أولاً : البنية الطبيعية

جغرافية جزيرة العرب

لابد لفهم تاريخ أمة من الأمم من فهم بيئتها الطبيعية حيث أن البيئة من الأسس الهامة في تكوينها، فهي تؤثر في طباع السكان ونشاطهم، وتكوين أجسامهم، وتوجيه فعالياتهم.

ونقصد هنا بالبيئة الطبيعية، الظروف الجغرافية، والجيولوجية والمناخية. ففي الوضع الجغرافي لجزيرة العرب يستوقفنا خلاف لدى الجغرافيين الأوائل في تعيين حدودها الشمالية قبل الإسلام كما يفهم من قول ياقوت الحموي: "قد اختلف في تحديدها. وإنما سميت جزيرة لأنها تقطع الفرات ودجلة ثم تقطع في البر..."[1].

والهمداني، وهو متقدم على من سواه، يقرر أن مجرى الفرات الأسفل حدها الشمالي

(١) الحموي (ياقوت) معجم البلدان ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ١٩٧٩ م مادة جزيرة يختصر هذا الكتاب في المرات القادمة إلى ياقوت معجم البلدان.

الشرقي، وشواطئ فلسطين على البحر المتوسط حدها الشمالي الغربي، حيث يقول:

" وإنما سميت بلاد العرب الجزيرة لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها وأطرارها وصار منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر".

وذلك أن الفرات القافل الراجع من بلاد الروم يظهر بناحية قنسرين ثم انحط على الجزيرة وسواد العراق[1] حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والأبلة، وامتد البحر من ذلك الموضع مغرباً مطيفاً ببلاد العرب ومنعطفاً عليها، فأتى منها على سفوان وكاظمة، ونفذ إلى القطيف وهجر، وأسياف (البحرين) وقطر وعمان والشحر، ومال عنه عنق إلى حضرموت وناحية أبين وعدن ودهلك، واستطال ذلك العنق فطعن في تهائم اليمن بلاد فرسان وحكم والأشعريين وعك، ومضى إلى جدة ساحل مكة والجار وساحل المدينة وساحل الطور، وخليج أيلة وساحل راية ـ كورة من كور مصر البحرية ـ حتى بلغ قلزم مصر وخالط بلادها، وأقبل النيل من غربي هذا العنق من أعلى بلاد السودان مستطيلاً معارضاً للبحر معه حتى دفع في بحر مصر والشام، ثم أقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين فمر بعسقلان وسواحلها وأتى على صور ساحل الأردن وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق ثم نفذ إلى سواحل حمص وسواحل قنسرين حتى خالط الناحية التي أقبل منها الفرات منحطاً على أطراف قنسرين والجزيرة إلى سواد العراق[2] ".

أما الاصطخري ويؤيده ابن حوقل فقد استبعدا من التحديد المتقدم شبه جزيرة سيناء، وعللا ذلك بقوليهما: ويتصل بأرض العرب بناحية آيلة برية تعرف بتيه بني إسرائيل وهي برية، وان كانت متصلة بديار العرب فليست من ديارهم وإنما هي برية من أرض العمالقة واليونانية، وارض القبط، وليس للعرب بها ماء ولا مرعى، فلذلك لم ندخلها في ديار العرب[3].

---

(١) القافل الراجع، وسواد العراق رستاق أي مخلاف، وسمي بذلك لشدة خضرته بالأشجار والغلال.
الهمداني: الصفة ص٥٧ حاشية. وينظر أيضاً ياقوت: معجم البلدان، مادة سواد.

(٢) الهمداني: الصفة ص٥٧- ٥٨.

(٣) ابن حوقل (أبو القاسم محمد النصيبي البغدادي) صورة الأرض مكتبة الحياة بيروت بلا تاريخ ص٢٩. يختصر في المرات القادمة إلى ابن حوقل صورة الأرض. وينظر الاصطخري (إبراهيم بن محمد) المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر الحيني. القاهرة ١٩٦١ ص ٢٠ يختصر في المرات القادمة إلى الاصطخري: المسالك.

وحدد المقدسي جزيرة العرب بقوله: "اعلم أن بين أقاليم العرب غير المغرب بادية ذات مياه وغدران وآبار وعيون وتلال ورمال وقرى ونخيل قليلة الجبال كثيرة العرب مخيفة السيل خفية الطرق طيبة الهواء، ردية الماء ليس بها بحيرة ولا نهر إلا الأزرق ولا مدينة إلا تيماء، ومن الناس من يعدها من الجزيرة وليست منها ، ومنهم من يجزئها على الأقاليم ومنهم من يجعلها من الشام، وقد رأينا نحن أن نفرزها ونفرد صورتها(١)".

وأضاف قائلا: " وتخوم هذه البادية تأخذ من ويلة على مدائن قوم لوط، وتصعد إلى مآب ثم على تخوم عمان وأذرعات ورساتيق دمشق وتدمر وسلمية وأطراف حمص إلى بالس، ثم ترجع إلى الفرات، وتعطف على الرقة والرحبة والدالية إلى هيت والأنبار ثم على الحيرة والقادسية ومغارب البطائح ثم على سواد البصرة إلى عبادان، ومنهم من أضاف الشراة إليها. وأدخل مدنها فيها وهذا أصح، وليس في هذه البادية مدينة إلا تيماء(٢)".

مما سلف يمكن القول إن هناك فرقاً بين السبب الذي سميت من أجله ديار العرب بالجزيرة، وبين الحد الجغرافي الحقيقي لديار العرب، وبما أنه لا يوجد فروق تضاريسية واضحة من جهة الشمال، فقد تعسر على الجغرافيين العرب تحديد حدود ديار العرب اعتماداً على مظاهر السطح. (ينظر مصور رقم "١")

ويمكن القول أيضاً إن عدم وجود الفواصل التضاريسية جعل العرب يختارون مدلولين في تحديد الجزيرة: هما المدلول السياسي فجزيرة العرب ما لم يبلغه ملك فارس والروم، والمدلول العمراني إذ استبعد كل الجغرافيين معظم المناطق المعموري في أطراف جزيرة العرب(٣).

بل إن المقدسي استبعد في ذكره لبادية العرب بعض المدن الواقعة وسط تلك البادية.

وعلى ذلك فان بلاد العرب وأن كانت تحيط بها البحار من ثلاث جهات فقط وهي الشرق والغرب والجنوب، فان نهر الفرات يحفها من الشمال الشرقي إلى الشمال منعطفاً عليها إلى مسافة من البحر المتوسط عند جند قنسرين حتى يصب في الخليج العربي عند الأبلة(٤).

---

(١) المقدسي (محمد بن احمد) احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ ليدن ـ مطبعة بريل ص٢٤٨ يختصر في المرات القادمة إلى المقدسي: أحسن التقاسيم.

(٢) المقدسي: احسن التقاسيم ص٢٥٢.

(٣) غنيم (عبد الله يوسف) اقاليم جزيرة العرب ـ الكويت ١٩٨١ ص ٢٣ يختصر في المرات القادمة إلى غنيم: اقاليم.

(٤) الهمداني: الصفة ص٥٧- ٥٨ وينظر ايضا الخضري (محمد بك) محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية المكتبة التجارية ـ مصر ط٣، ج١ ص٧ يختصر إلى خضري: تاريخ الأمم.

أي يعد حداً طبيعياً شمالياً لها مما يمكن تسميتها جزيرة. (ينظر مصور رقم ١-٢).

وبناء على ذلك فإن العرب يدخلون في جزيرتهم كلاً من سورية ولبنان وفلسطين كما يتضح ذلك من تفسير ابن الكلبي عند ياقوت[١] وغيره[٢].

ولا يشك المستشرق السوفياتي باليابيف أن بادية الشام كانت في عصر ما قبل الإسلام جزءاً من الجزيرة العربية، وأن الحدود السياسية بين الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية في القرنين الخامس والسادس الميلاديين كانت مرسومة على نحو يبقى بادية الشام في حوزة سكانها الأصليين[٣].

بعد هذا العرض نستطيع أن نرسم حدود الجزيرة العربية عند العرب بالقول يحدها من الشرق الخليج العربي وبحر عمان ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الجنوب المحيط الهندي ومن الشمال الفرات.

تختلف بلاد العرب من حيث طبيعتها باختلاف أجزائها، فبعضها تغطيه كثبان الرمل وبعضها تكسوه الصخور وبعضها منخفض وبعضها مرتفع، وتمتد على طول ساحل البحر الأحمر سلسلة جبال السراة[٤]، وتمتد من وسط الجزيرة سلسلتا جبال أجا وسلمى جبلي شمر[٥].

وفيها الحرات والدهناء والنفوذ[٦]. ينظر مصور (١-٢)

فالحرة وهي أرض من الحجارة الرملية يعلو سطحها حمم البراكين القديمة الخفانية المنخرة[٧]، والدهناء أرض رملية حمراء تمتد من النفوذ شمالاً إلى الربع الخالي جنوباً... وقد تميز الجانب الغربي من الدهناء باسم الأحقاف وهي كثبان مستطيلة من الرمال[٨].

---

(١) ياقوت: معجم البلدان مادة جزيرة العرب.

(٢) القلقشندي: (ابي العباس أحمده صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ـ وزارة الثقافة الموءسسة المصري العامة ج٥ ص٥ يختصر إلى القلقشندي صبح الأعشى.

(٣) بلياييف.ي. ام. العرب والإسلام والخلافة العربية في القرون الوسطى ترجمة أنيس فريحة الدار المتحدة للنشر بيروت ١٩٧٣ ص٥٣ يختصر إلى بلياييف العرب والإسلام.

(٤) السراة أعلى كل شيء. وإنما سمي السراة لعلوه. ياقوت: معجم البلدان ـ مادة سراة.

(٥) ياقوت معجم البلدان مادة أجا وسلمى.

(٦) حتي: (فيليب) تاريخ العرب ـ دار غندور ط/ ٧/ ١٩٨٦ ص ٤٢- ٤٣ يختصر إلى حتي: تاريخ العرب.

(٧) ياقوت: معجم البلدان مادة حرة وينظر حتي: تاريخ العرب ص ٤٣.

(٨) ياقوت: معجم البلدات مادة أحقاف ودهناء وينظر حتي: تاريخ العرب ص ٤٢- ٤٣.

والنفوذ وهي قفار متسعة ذات رمال بيضاء أو محمرة[1].

والجدير بالملاحظة والذكر أن العرب فرقوا في تقسيمهم لجزيرة العرب بين الأقسام الإدارية، والنواحي المتصلة بها، وبين الأقاليم الموروفولوجية[2] القائمة على أساس طبيعي.

فالأقسام الطبيعية لجزيرة العرب عند الجغرافيين اليونان والرومان القدماء تختلف عنها لدى غيرهم، فقد قسمها الأولون انطلاقاً من الوضع السياسي لبلاد العرب في القرن الأول للميلاد إلى أقسام ثلاثة:

١. بلاد العرب السعيدة اليمن.

٢. القسم الصخري في الشمال، جنوب غربي بادية الشام حيث مملكة الانباط.

٣. القسم الصحراوي حيث القبائل الغالبة عليها حياة البداوة[3].

ويتفق هذا التقسيم مع الناحية السياسية التي كانت عليها البلاد العربية في القرن الأول للميلاد فالقسم الأول مستقل لاسلطان عليه والقسم الثاني قريب من الرومان ثم فيما بعد سيطروا عليه وأصبح تحت نفوذهم والقسم الثالث هو البادية الممتدة إلى نهر الفرات[4].

أما جغرافيو العرب فقد قسموا بلادهم إلى خمسة أقسام كبرى وهي: الحجاز وتهامة واليمن والعروض ونجد[5].

---

(١) حتي: تاريخ العرب ص٤٢.

(٢) مورفولوجية: علم الهيئة أو الشكل وكذلك البنية وتطورها الذي يؤثر على الهيئة أو الشكل. توني (يوسف) معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربي ١٩٦٤ ص ٥٠٥ يختصر إلى توني: معجم المصطلحات الجغرافية.

(٣) زيدان: العرب قبل الإسلام ص٣٩، علي: جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام مطبعة التفيض ١٣١٩ ح١ ص١١٧ يختصر إلى جواد: تاريخ العرب، حسن (إبراهيم حسن) تاريخ الإسلام السياسي ط ٦، ١٩٦١ مكتبة النهضة المصرية ح١ ص٢٤ يختصر إلى حسن تاريخ الإسلام، مروة (حسين) النزعات المادية، دار الفارابي بيروت ١٩٧٨ ص١٨٨ يختصر إلى مروة نزعات، نافع (محمد مبروك) عصر ماقبل الإسلام ط٢ ١٩٥٢ مطبعة السعادة مصر ١٨-١٩ يختصر إلى نافع عصر ماقبل الإسلام، هبو (أحمد رحيم) تاريخ العرب قبل الإسلام ١٩٧٩ - ١٩٨٠ ص٥٣ -٥٤ يختصر إلى هبو: تاريخ العرب قبل الإسلام، جميلي (رشيد) محاضرات في تاريخ العرب ط١ و١٩٧٢ بيروت لبنان ص٤٢ - ٤٣ يختصر إلى جميل: محاضرات.

(٤) جواد: تاريخ العرب ح١ ص١١٨، جواد: المفصل ١/١٦٣.

(٥) الهمداني: الصفة ص٥٨، البكري (أبي عبيد) معجم ما استعجم تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب بيروت ح١ ص٧ يختصر إلى البكري: معجم ما استعجم، أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن

وزاد ابن حوقل بادية العراق وبادية الجزيرة بين دجلة والفرات وبادية الشام[1].

الحجاز: ويقع شمالي اليمن وشرقي تهامة، ويتكون من عدة أودية تتخلل سلسلة جبال السراة[2] الممتدة من الشام إلى نجران في اليمن، سمي حجازاً لأنه يحجز بين الغور[3] وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر[4] فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما أو لكثرة الحرار فيه واحتجاز أهله من العدو فهو من الفعل حجز، والحجز.. الفصل بين الشيئين، والحجاز الاسم[5].

قسم البكري الحجاز إلى حجازين، الحجاز الأسود وحجاز المدينة[6]، ويبدو أن المقصود من هذا التقسيم هو التفريق بين جبال السراة الجنوبية أو الحجاز الجنوبي وبين الحجاز الشمالي، ولهذا التقسيم من الوجهة الجغرافية دلالة مورفولوجية، إذ يعتبر كل قسم منهما إقليماً مورفولوجياً له خصائصه المتميزة من حيث الارتفاع والمناخ والحياة النباتية[7].

وقد قسمه الجغرافيون المحدثون إلى قسمين[8]: سراة عسير وهي المرتفعات الجنوبية، وسراة الحجاز وتمتد شمال المرتفعات المتقدمة إلا أنها أقل ارتفاعاً من مرتفعات عسير.

محمود) تقويم البلدان دار الطباعة السلطانية باريس ١٨٤ ص ٧٨- ٨٠ يختصر إلى أبو الفدا تقويم البلدان. ياقوت: معجم البلدان مادة جزيرة ومادة حجاز القلقشندي: (ابي العباس احمد بن علي) قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان تحقيق إبراهيم الأبياري ط١، ١٩٦٣ دار الكتب الحديثة القاهرة ص١٨ يختصر إلى القلقشندي: قلائد الجمان، الوسي (محمود شكري) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب صححه محمد بهجة الأثري، دار الشرق العربي - بيروت - لبنان ح١ ص١٧٨ يختصر إلى الوسي: بلوغ الأرب، جواد: تاريخ العرب ح١ ص ١٢٨ خضري: تاريخ الأمم الإسلامية ص١٠ - ١١ غنيم: اقاليم ص٢٧ - ٢٨ عوض الله (احمد ابو الفضل) مكة في عصر ما قبل الإسلام ط٢ ١٩٨١ مطبوعات دار الملك عبد العزيز ص١٧ يختصر إلى عوض الله: مكة، حسن: تاريخ الإسلام ص٤-٥ يافع عصر ماقبل الإسلام ص١٨- ١٩.

(١) ابن حوقل: صورة الأرض ص٢٩، القلقشندي: صبح الأعشى ح٤ ص٢٤٥.

(٢) ياقوت: معجم البلدان مادة سراة.

(٣) الغور ما تداخل وما هبط وغور، كل شيء قعره. ياقوت: معجم البلدان مادة غور .

(٤) الهمداني: الصفة ص٥٨، ياقوت معجم البلدان مادة حجاز، حسن: تاريخ الإسلام ص٤ جميلي: محاضرات في تاريخ العرب ص٤٢.

(٥) لسان العرب: مادة حجز.

(٦) البكري، معجم ما استعجم ح١ ص١٢.

(٧) غنيم: اقاليم ص٣٦.

(٨) غنيم: اقاليم ص٣٦.

فالسراة هي العمود الفقري لجزيرة العرب[1].

تهامة: وهي الأرض الواطئة الممتدة بمحاذاة البحر الأحمر من ينبع إلى نجران في اليمن، وسميت بهذا الاسم لشدة حرها وركود ريحها من التهم وهو شدة الحر وركود الريح، وقيل سميت بذلك لتغير هوائها، وقيل أن التهمة هي الأرض المنصوبة نحو البحر[2].

ولانخفاض أرض تهامة سميت بالغور[3] " فصار ماخلف ذلك الجبل في غربية إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعك وحكم وكنانة وغيرها ودونها إلى ذات عرق والجحفة وما صاقبها، وغار من أرضها الغور غور تهامة، وتهامة تجمع ذلك كله[4] ".

وأكثر أجزاء تهامة رملي شديد الحرارة قليل الإنبات وتقع فيه كثير من المرافئ العربية مثل جدة وينبع والجار والحديدة والمخا في بلاد اليمن. ويقع في شمال هذه المنطقة ميناء صغيرة يعرف باسم الوجه، وهو عبارة عن بلدة صغيرة تشتمل على عدد قليل من البيوت الحجرية[5]. وجعل الهمداني عدن من مدن تهامة الجنوبية[6]، وهذا يعني أن أقليم تهامة عنده يبدأ من ساحل عدن، ويمتد غربي جبال الحجاز إلى أطراف بوادي الشام.

نجد: " النجد قفاف الأرض وصلابها وما غلظ منها وأشرف وجمعه نجاد، ولا يكون ذلك إلا قفاً أو صلابة من الأرض في ارتفاع من الجبل معترضاً بين يديك يرد طرفك عما وراءه[7]، وليس بالشديد الارتفاع، وهو عدة نجود: نجد برق واد باليمامة ونجد خال ونجد عفر ونجد كبكب ونجد مريع[8].

ويمتد أقليم نجد شرقي الحجاز أي الناحية التي بين الحجاز والعراق[9] والحد بين

---

(١) شريف (احمد إبراهيم) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول - دار الفكر العربي - مطبعة مخيمر ص١٣ يختصر إلى شريف مكة والمدينة.

(٢) ياقوت: معجم البلدان مادة تهامة.

(٣) ياقوت: معجم البلدان مادة غور، البكري: معجم ما استعجم ح١ ص٧.

(٤) الهمداني: الصفة ٥٨.

(٥) عوض الله: مكة ص١٨.

(٦) الهمداني: الصفة ص٧٠.

(٧) ياقوت: معجم البلدان مادة نجد.

(٨) ياقوت: معجم البلدان مادة نجد.

(٩) الألوسي: بلوغ الأرب ح١ ص١٨٧.

الإقليميين ليس واضحاً في الكتابات العربية، فالهمداني يقول:

" فالعرب تسميه نجداً وجلساً وحجازاً والحجاز يجمع ذلك كله"[١].

وأما البكري فيقول: " وأما نجد فما بين جرش إلى سواد الكوفة". وآخر حدوده مما يلي المغرب الحجازان: حجاز الأسود وحجاز المدينة، والحجاز الأسود وسراة شنوءة، ومن قبل المشرق بحر فارس ما بين عمان إلى بطيحة البصرة، ومن قبل يمين القبلة الشامي: الحزن حزن الكوفة، ومن العذيب إلى الثعلبية إلى قلعة بني يربوع بن مالك من يسار طريق المصعد إلى مكة، ومن يسار القبلة اليمني ما بين عمل اليمن إلى بطيحة البصرة ونجد كلها من عمل اليمامة[٢].

ويطلق العرب على الأجزاء الشرقية المنخفضة من نجد اسم السافلة، أما المناطق الغربية فيطلقون عليها اسم العالية أو عالية نجد[٣].

العروض: وهو الشيء المعترض والعرض الجانب[٤] وهو يشمل اليمامة والبحرين[٥] سميت عروضاً لأنها تعترض بين اليمن ونجد والعراق.

أغلب أرض العروض صحارى وسهول ساحلية ترتفع في الجهات الغربية على ساحل البحر[٦] تشمل العروض اليوم البحرين والأحساء وقطر واليمامة.

اليمن: القسم الخامس من أقسام الجزيرة العربية عند جغرافيي العرب هو القسم الجنوبي منها أي بلاد اليمن، كانت تطلق اليمن في النصوص العربية الجنوبية على منطقة صغيرة بالقياس إلى التقسيم العربي المتأخر إذ كانت تذكر إلى جانب مناطق سبأو ذي ريدان وحضرموت وغيرهما[٧].

---

(١) الهمداني: الصفة ص٥٩.

(٢) البكري: معجم ما استعجم ج١ ص١٣.

(٣) ياقوت: معجم البلدان مادة نجد لعدة (الحسن بن عبد الله الأصفهاني). بلاد العرب تحقيق حمد الجاسر وصالح العلمي الرياض ١٩٦٨ ص٣٨٣ يختصر إلى بلاد العرب جواد: تاريخ العرب ج١ ص١٤٧ غنيم: اقاليم ص٥٠.

(٤) ياقوت: معجم البلدان مادة عروض

(٥) الهمداني: الصفة ص ٥٩، ياقوت معجم البلدان مادة عروض، الوسي: بلوغ الأرب ج١ ص١٨٧ جواد: تاريخ العرب ج١ ص١٣٩.

(٦) جواد: تاريخ العرب ج١ ص١٣٩

(٧) جواد: اريخ العرب ج١ ص ١٣٥ عوض الله:: مكة ص٢٦، عاقل (نبيه) تاريخ العرب القديم والعصر

أما اليمن عند علماء الجغرافية المسلمين فهي منطقة واسعة تمتد حدودها من تهامة إلى العروض[1] " اليمن ما اشتمل عليه حدودها بين عمان إلى نجران ثم يلتوي على بحر العرب إلى عدن إلى الشحر حتى يجتاز عمان فينقطع من بينونة، وبينونة بين عمان والبحرين وليست بينونة من اليمن، وقيل حد اليمن م وراء تثليث وما ساقبها إلى صنعاء، وما قاربها إلى حضرموت والشحر، وعمان إلى عدن أبين وما يلي ذلك من التهائم والنجود، واليمن يجمع ذلك كله....."[2].

وقال الهمداني: " سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها والبحر مطيف بها من المشرق إلى الجنوب فراجعاً إلى المغرب ويفصل بينها وبين باقي جزيرة العرب خط يأخذ من حدود عمان ويبرين إلى حد ما بين اليمن واليمامة فإلى حدود الهجيرة وتثليث وأنهار جرش وكتنة منحدراً في السراة على شعف عنز إلى تهامة على أم جحدم إلى البحر حذاء جبل يقال له كد مل بالقرب من حمضة وذلك حد ما بين بلد كنانة واليمن من بطن تهامة[3] ".

فاليمن والخير والبركة وهي حضرموت وعمان وما بينها وفيه التهائم والنجد[4].

واليمن من " قولهم تيامن الناس فسموا اليمن فيه، نظرا لأن الكعبة مربعة فلا يمين ولا يسار فإذا كانت اليمن عن يمين قوم كانت عن يسار آخرين[5] ".

فاليمن من اليمن مقابل الشمال (الشام) وذكرها القرآن الكريم وأشار إلى ما كانت عليه من حضارة وعمران بقوله تعالى: " لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور، فأعرضوا، فأرسلنا عليهم سيل العرم، بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خط وأثل، وشيء من سدد قليل[6] "، والجدير بالذكر أن للجزيرة العربية التي تقع بين آسيا وأفريقيا من الأتساع والصفات المميزة، والخصائص ما يجعلها جديرة بأن تكون قارة لوحدها، فرغم أنها جزء من آسيا

الجاهلي ١٩٨٠ جامعة دمشق ص٩٤ يختصر إلى عاقل: تاريخ العرب.

(١) عوض الله: مكة ص٢٦

(٢) ياقوت: معجم البلدان مادة يمن.

(٣) الهمداني: الصفة ص٦٥، ياقوت: معجم البلدان مادة يمن.

(٤) البكري: معجم ما استعجم ح١ ص ٩.

(٥) الخضري: تاريخ الأمم ح١ ص١١

(٦) ياقوت: معجم البلدان مادة يمن

فهي تتصل بأفريقيا عن طريق صحراء سيناء، وفي الماضي، وقبل أن يشق البحر الأحمر مجراه فيعزل آسيا عن أفريقيا كان القسم الغربي من جزيرة العرب جزءاً من الأرض الأفريقية، وحتى اليوم نلاحظ أن النصف الجنوبي من القسم الغربي من الجزيرة يشترك في كثير من الصفات مع مقاطعات أفريقيا الشرقية كالصومال والحبشة وهو أقرب إلى هذه الأصقاع الأفريقية منه إلى القسم الشمالي من الجزيرة أو بقية أصقاع آسية في كثير من الخصائص، هذا ونرى من جهة أخرى أن القسم الشمالي من الجزيرة يتشابه إلى حد كبير مع الأقسام العربية في آسيا، وأن مرتفعات عمان تشابه سلاسل إيران الجبلية[1].

تبلغ مساحة الجزيرة العربية، حدود ثلاثة ملايين كيلو متر مربع تقريباً[2] وهي عبارة عن هضبة متوسطة الارتفاع، ويمكن تقسيمها إلى المناطق التضاريسية التالية:

أولاً: المنطقة الغربية وتمتد على طول البحر الأحمر وتشمل الحفرة والمنطقة الساحلية المنخفضة والجبال والهضاب الناهضة.

فالحفرة هي التي تغطيها مياه البحر الأحمر، والمنطقة الساحلية المنخفضة تهامة ذات المناخ الحار الضار بالصحة[3].

وقد سكن تهامة في الفترة الأخيرة من عصر ما قبل الإسلام قبائل خولان وحمدان وعك والأشعر والحكم وغيرها[4].

تنحدر هذه الهضبة انحدارين أحدهما نحو الغرب والآخر نحو الشرق[5].

يبدأ الانحداران بسلسلة جبال السراة التي تمتد على موازاة البحر الأحمر في غربي الجزيرة في الشمال بجبال مدين وتشمل جبال الحجاز وعسير وهضبة اليمن وهي نهاية سلسلة الجبال الغربية، تتخللها وديان عميقة هي بمثابة منافذ ينفذ منها المسافرون من الساحل إلى

---

(١) سورة سبأ، الآيتان ١٥-١٦

(٢) الأصمعي (عبد الملك بن قريب) تاريخ العرب قبل الإسلام تحقيق محمد حسن آل ياسين، المكتبة العلمية ط١ مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٩ ص (س ك) يختصر إلى الأصمعي: تاريخ العرب قبل الإسلام. وينظر دلو (برهان الدين) جزيرة العرب قبل الإسلام - الفارابي ١٩٨٩ ح١ ص٢٧ يختصر إلى دلو (جزيرة العرب).

(٣) ياقوت: معجم البلدان مادة تهامة، لسان العرب: مادة تهامة: تاج العروس مادة تهامة

(٤) كحالة (عمر رضا) معجم قبائل العرب، المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٤٩ م ح١ ص٣٠-٣١-٢٨٦ - ٣٦٥ - ح٣ ص١٢٢٤ يختصر إلى كحالة: معجم قبائل العرب.

(٥) عاقل: تاريخ العرب ص١٦

داخل الجزيرة العربية. سكن هذه المنطقة هذيل في الحجاز[1] وحمير والأبناء في اليمن[2].

ثانياً: المنطقة الجنوبية وتشمل حضرموت ومهرة وظفار تمتد واجهتها على خليج عدن، وبحر العرب، وتكثر في هذه المنطقة الوديان وسكنتها قبائل كنده والصدف، وبطون من السكون وهمدان وغيرها[3].

ثالثاً: المنطقة الجنوبية الشرقية وتشمل منطقة عمان وعمودها الفقري الجبل الأخضر وما حوله من مرتفعات حيث يحيط بنجد عمان حزام متصل من الواحات عند سفوح الجبال وعلى كلا جانبي الساحل البحري وحافة الصحراء العربية الكبرى[4].

ويخترق المرتفعات أودية بعضها جاف وبعضها الأخر خصيب. وقد كانت عمان في نظر الجغرافيين العرب جزءاً من المنطقة الجنوبية التي تشمل اليمن وحضر موت ومهرة وظفار وعمان[5].

أغلب سكانها من قبائل الأزد وبها من غيرهم بشر كثير في البوادي، وأناس آخرون من العجم[6].

رابعاً: المنطقة الشرقية وتشمل العروض واليمامة والبحرين وما والاها[7].

وهي أكثر أجزاء الجزيرة العربية انخفاضاً ذكر ياقوت أن اليمامة كانت أحسن بلاد الله أرضاً ومن أكثرها خيراً وشجراً ونخلاً، غزيرة المياه، ذات عيون وآبار ومزارع ومراعٍ، من أوديتها وادي حنيفة[8]، ومن أقسام العروض شبه جزيرة قطر، التي تمتد من

---

(١) قال أمية بن ابي عائذ الهذلي:

هذيل حموا قلب الحجاز وإنما ... حجاز هذيل يفرع الناس من عل

(٢) الهمداني: الصفحة ص٦١. وأمية هذا أحد بني عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ومداحهم وله في عبد الملك بن مروان وأخيه عبد العزيز غرر القصائد.

(٣) الهمداني: الصفحة ص ١٦٨

(٤) بليابيف: العرب والإسلام ص٦٣

(٥) ياقوت: معجم البلدان مادة جزيرة ومادة يمن، أبو الفدا: تقويم البلدان ص ٨٠

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ص٨٧

(٧) ياقوت: معجم البلدان مادة عروض

(٨) ياقوت: مادة عروض، ياقوت: مادة يمامة

عمان إلى حدود الأحساء ـ سميت الأحساء قديماً هجر والبحرين[1].

قال ياقوت نقلاً عن أبي منصور: "في أعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير قرية يقال لها قطر[2]، وبلاد البحرين هي وتشمل المنطقة الممتدة بين البصرة وعمان[3].

كان ينزل البحرين وباديتها قبائل عبد القيس وبكر بن وائل وتميم وبعض العجم. وكانت جماعات من هذه القبائل تدين بالوثنية وجماعات أخرى يهود ونصارى وجاليات فارسية يعبد أفرادها النار[4].

خامساً: المنطقة الداخلية وتشمل نجد والصحارى وهي أوسع أجزاء الجزيرة العربية تمييزاً لها عن الغور أو تهامة وتعني الأرض المنخفضة[5].

أطلق العرب على الجزء المرتفع لهضبة نجد مما يلي الحجاز اسم العالية وعلى الجزء المنخفض مما يلي العراق أسم السافلة، في حين سموا شرقيها إلى اليمامة الوشوم، وشماليها إلى جبل طيء القصيم وهو عندهم الرمل الذي ينبت الغضى ـ شجر من الأثل ـ وإليه ينسب أهل نجد فيسمون أهل الغضى لكثرته[6].

من القبائل التي كانت تنزل أواسط الجزيرة في فترة ما قبل الإسلام طيء وسليم وهوازن وعامر بن صعصعة وغيرها[7].

أما الصحارى فهي أجزاء كثيرة من أراضي الجزيرة التي تستحيل عندما تسقط عليها الأمطار الغزيرة إلى سهوب تصلح للمراعي مدة من الزمن[8].

---

(١) وهبة (حافظ) جزيرة العرب في القرن العشرين ـ القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٧ ص ٦٢ يختصر إلى وهبة: جزيرة العرب.

(٢) ياقوت مادة قطر

(٣) ياقوت: معجم البلدان مادة بحرين

(٤) البلاذري (أبي الحسن) فتوح البلدان ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٩٧٨ ص ٨٩ ـ ٩٠ ـ ٩١ يختصر إلى البلاذري فتوح البلدان.

(٥) ياقوت: معجم البلدان مادة نجد.

(٦) الأصمعي (عبد الملك بن قريب) النبات والشجر، باعتناء هفند ـ المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٨٠ ص٣١ يختصر إلى الأصمعي: النبات والشجر.

(٧) كحالة: معجم قبائل العرب ٢/٥٤٣ ـ ٦٩٩ ـ ٧٠٨ والجزء ٣/ ١٢٣١

(٨) بلياييف: العرب والإسلام ص٦٦ ـ ٦٧

وصحارى الجزيرة هي: (ينظر مصور رقم (٢))

١ـ **الربع الخالي**: ويطلق عليها اسم الصحراء العربية الكبرى: وفي الوقت ذاته سمى أهل كل قطر ما يليهم اسماً خاصاً فطرفها الغربي صهيد والشرقي وبار، والشمالي يبرين، والذي يمتد شمال حضرموت وشرقيها الأحقاف[١].

٢ـ **الدهناء أو النفوذ الصغرى** وتعنى الفلاة كثيرة الكلأ ليس في بلاد العرب مربع مثلها، وإذا أخصبت ربعت العرب جمعاء[٢]، ففيها ينمو العشب كما تنمو الشجيرات القصيرة على متون التلال الرملية مما يجعله مرعى سائغاً لدى البدو القاطنين هناك[٣].

ومن الطبيعي أن تحتوي الدهناء على مناطق لا تصلح لرعي الماشية بسبب انعدام الماء[٤]، وقد أشير إلى الدهناء في بيت شعر للأعشى بقوله[٥]:

يمـــرون بالـــدهنا خفافـــاً عيـــابهم ويخـــرجن مـــن داريـــن بجـــر الحقائـــب

٣ـ **صحراء النفوذ الكبرى**: وكانت تعرف قديماً باسم عالج[٦] تكسو وجهها شجيرات، وأحياناً أشجار، فإذا سقط المطر تحول أديم الأرض إلى مراع خضر تسرح فيها الإبل والأغنام وكان ينزل في هذه الصحراء قبائل تميم وضبة[٧].

إذا الجزيرة العربية عبارة عن هضبة تغلب عليها صفة الصحارى والدارات باستثناء اليمن وعمان وبعض الوديان الواقعة في سلسلة الجبال الغربية وفي نجد والأحساء.

وتستحيل أراضيها الصحراوية إلى سهوب تصلح للمراعي فترة من الزمن إذا هطلت

---

(١) ياقوت: معجم البلدان مادة أحقاف ـ مادة صهيد ـ يبرين ـ وبار.

(٢) لسان العرب مادة دهن.

(٣) بليابيف: العرب والإسلام ص ٧٥

(٤) بليابيف: العرب والإسلام ص ٧١

(٥) الأعشى: هو ميمون بن قيس ولد في قرية منفوحة من اليمامة في قومه بني قيس بن ثعلبه وهم بطن من بطون بكر بن وائل بن ربيعة.

ديوان الأعشى: دار صادر بيروت ص ٥.

(٦) ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني) الصبح المنير في شعر أبي بصير طبع في مطبعة دولف هلزهوسن ـ فينا ١٩٢٧ ص٣١٧ يختصر إلى ثعلب: الصبح المنير.

(٧) كحالة: معجم قبائل العرب ١٢٦/١ ـ ٦٦١/٢

عليها الأمطار الغزيرة[1].

- **المناخ**

في مجال الوضع المناخي لجزيرة العرب يرجع الأمر إلى وضعها الجغرافي فالمناخ مختلف باختلاف الأقسام الجغرافية، وبما أن معظم أراضيها بادية، كان الغالب عليها الجفاف، وعدم انتظام مواسم الأمطار مع عدم الاحتفاظ بمياه الأمطار في مجار منتظمة ودائمة، وشدة الحرارة بوجه عام، وعلى الرغم من أحاطه البحار بها من ثلاث جهات، فإن الجو البحري لم يخفف من حدة الحرارة فيها، أو يتغلب على جفافها، فالأبخرة المتصاعدة من البحر لا تكاد تصل إلى أواسط الجزيرة العربية، إذ أن الرياح السمائم الشديدة الحر تقاومها مقاومة شديدة، وتمنعها في الغالب من الوصول إلى أواسط الجزيرة[2]. والحرارة في الجزيرة العربية عرضة للتقلبات، ليس بين الصيف والشتاء وحسب، بل وفي اليوم الواحد بين النهار والليل، وكان الرحالة الغربيون يتذمرون من برد الليل أكثر مما كانوا يشكون من حر النهار[3].

وفي الشتاء تنخفض درجة الحرارة، ويتساقط الثلج ويتجمد الماء في جبل غزوان الذي تقع عليه مدينة الطائف، وصنعاء في اليمن[4].

ولعل برد الليل في شهري كانون الأول وكانون الثاني ظاهرة طبيعية يشكو منها الرعاة إذا افتقروا إلى الوقود ليلاً حيث تنخفض الحرارة إلى ثماني درجات وتبقى على هذا المستوى أسبوعاً كاملاً[5].

تهب على الجزيرة العربية أنواع مختلفة من الرياح، عامة وموسمية ومحلية، باردة وحارة، ممطرة وجافة، وقد نسب العرب أمهات الرياح إلى الجهات الأربع[6] وكل ريح من هذه الرياح انحرفت فوقعت بين ريحين فهي نكباء[7].

---

(١) بليابيف: العرب والإسلام ص ٦٦- ٦٧.

(٢) حتي: تاريخ العرب ص ٤٣ وشريف: مكة والمدينة ص٩

(٣) بليابيف العرب والإسلام ص ٧٦- ٧٧

(٤) ياقوت: معجم البلدان، مادة طائف، أبو الفدا: تقويم البلدان ص ٩٥

(٥) بليابيف: العرب والإسلام ص ٧٧

(٦) ابن قتيبة الدينوري (أحمد محمد عبد الله بن مسلم) الأنواء - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيد، أباد الدكن والهند ١٩٥٦ ص ١٥٨ يختصر إلى الدينوري الأنواء

(٧) الدينوري: الأنواء ص١٥٨ ابن سيدة: (ابو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلس) المخصص

" رياح المشرق القبول وهي الصبا، ويقابلها من المغرب الدبور، والجنوب تهب من اليمن، ويقابلها الشمال من قصد الشام ويسمى حيز الجنوب التيمنا، وحيز الشمال الجربياء، وماهب بين الجنوب والقبول النكباء وما بين الجنوب والدبور الداجن، وما بين الشمال والدبور وهي مقابلة النكباء أريب، وما بين الشمال والقبول في مقابلة الداجن الحرجف، وبين القبول والنكباء، الباذخش وهي الريح الميتة، وبين الداجن والدبور..... وبين الدبور والأيب الصاروف، وبين الشمال والحرجف الريح القصيم اثنتا عشرة ريحاً لاثني عشر برجاً[1] ".

فالرياح الشمالية باردة تقشع الغيم، وتذهب بالحياة والخصب[2] تهب على الحجاز وشمال الجزيرة بعد أن تكون قد اجتازت هضاب الأناضول المغطاة بالثلوج، وتهب رياح شمالية غربية قادمة من البحر المتوسط تجلب المطر إلى الحجاز وأواسط نجد الشمالية، وإلى بلاد عمان يسميها العرب بالدبور (الغربية) لأنها في زعمهم تأتي من المغرب من دبر الكعبة وتعرف بالذاريات والمعصرات[3]. وتهب على أطراف جزيرة العرب الجنوبية رياح موسمية جنوبية غربية قادمة من شرقي إفريقية تيمنوا بها وجعلوها علامة للخصب والخير، وهي محملة بالسحب الآتية من المحيط تسقط مطراً غزيراً فوق الهضبة اليمنية وعلى ظفار ومهرة يغيثهم وينفعهم[4].

وتهب من المشرق رياح تحبها العرب، وتدعوها الصبا لرقتها ويقال لها أيضاً القبول[5] وهي ريح طيبة مقبولة، والنفس تصبو إليها، وأكثر هبوبها على إقليم نجد، وأحبها العرب لأنها تجيء بالسحاب والمطر، وفيها الري والخصب، وقد مدح العرب ريح الصبا، و تغزلوا بها كقول امروء القيس[6]:

ـ المطبعة الكبرى الأميرية ـ ببولاق مصر ١٣١٦هـ ومطبعة المكتب التجاري بيروت بلا تاريخ ج٩ ص ٨٤ يختصر إلى ابن سيدة: المخصص.

(١) الهمداني: الصفة ص ٣٠٠

(٢) الدينوري: الأنواء ص ١٦٢

(٣) الألوسي: بلوغ الأرب ج٣ ص ٣٦٠ - ٣٦١

(٤) الدينوري: الأنواء ص١٦٤ ـ ١٦٥

(٥) ابن سيدة: المخصص ج٩ ص ١٥٩

(٦) امرؤ القيس بن محمد الكندي ولد في أوائل القرن السادس في نجد كان ذكياً متوقد الفهم فلما

إذا قامتـــا تـــضوع المـــسك منهمـــا نـــسيم الـصبا جـاءت بريـا القرنفـل[1]

أما رياح السموم فهي اللهب الذي تنفثه الصحراء العربية، وما أن تهب حتى تجف مصادر المياه وتيبس القرب التي يجمع فيها البدوي ماء شربه وهي حارة وباردة، فالسعاد والسهام والبارح والحرور والمعمعان حارة والإصرار والحرجف والصر والحريف والشعان وحارم والعرية باردة[2].

تشغل هذه الرياح باستثناء ريح السموم التي تؤذي الإنسان والحيوان والنبات دوراً هاماً نافعاً حيث ترتبط حياة سكان البوادي العربية بالمطر ارتباطاً وثيقاً، حتى لقد سموه غيثاً وربما حبس الماء سنوات حتى يضطر السكان إلى الارتحال، ويطلقون على هذه السنوات الجافة الرمادية أو السنوات الشيب لأن لون سطح السهوب يستحيل إلى لون رمادي أو أشيب[3].

ويحدثنا الاصبهاني أن بطوناً " من خزاعة خرجوا جالين إلى مصر والشام لأنهم أجدبوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق رأوا البوارق خلفهم وأدركهم من ذكر لهم كثرة الغيث والمطر وغزارته[4] " فرجع فريق منهم إلى مواطنهم، واستمرت قلة في هجرتها بحثاً عن الكلأ والماء.

وفي بعض الأحيان يسقط المطر وابلاً فيشكل سيولاً تغمر السهول وتملأ الوهاد، وتجرف مضارب البدو، وتأخذ معها أنعامهم، وتقتل منهم خلقاً كثيراً فها هو امرؤ القيس يصف وصفاً دقيقاً مثل هذه السيول الجارفة بقوله[5]:

فأضحى يسح الماء حول كتيفة يكب على الأذقان دوح الكنهبل[6]

ترعرع أخذ يقول الشعر. ديوان امرؤ القيس ـ دار صادر ـ بيروت ص ٥-٨ وينظر زوزني: شرح المعلقات السبع دار صادر بيروت ص ١٠ يختصر الى زوزني شرح المعلقات.

(١) ضاع المسك تضوع إذا انتشرت رائحته. الريا الرائحة الطيبة، زوزني: شرح المعلقات ص ١٠ ـ حاشية.

(٢) ابن سيدة: المخصص ج٩ ص ٨٥، دلو: جزيرة العرب قبل الإسلام ج١ ص٤١

(٣) بليابيف: العرب والإسلام ص ٨٠

(٤) الاصبهاني: الأغاني ١٤ /١٥٤

(٥) زوزني: شرح المعلقات ص ٣٩ـ ٤٠ـ ٤١

(٦) الكب إلقاء الشيء على وجهه ـ الذقن مجتمع اللحيين والجمع الأذقان الدوح جمع مفرد دوحة الشجرة العظيمة الكهنبل ضرب من شجر البادية زوزني: شرح المعلقات ص ٣٩ حاشية.

ومــر علــى القنــان مــن نفيانــه ... فأنزل منه العصم من كل منزل[1]

وتيمــاء لم يــترك بهــا جــذع نخلــة ... ولا إطمــاً إلا مــشيداً بجنــدل[2]

كــأن تــبيراً في عــرانين ويلــه ... كبير أنــاس في بجــاد مزمــل[3]

كــأن ذرى رأســي المجيمــر عــدوة ... من السيل والإعشاء فلكة مغزل[4]

كــأن مكــاكي الجــواء غديــة ... صبحن سلافاً من رحيق مفلفل[5]

كــأن الــسباع فيــه عزقــي عــشية ... بأرجائه القصوى أنابيش عنصل[6]

وأغلب الظن أن هذا الوصف غير مبالغ فيه، ألم يجرف أحد هذه السيول سد مأرب المشهور كما حدثنا القرآن الكريم بقوله:

" فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنيتهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل[7]".

وفي كتب الأخبار ذكر لكثير من هذه السيول منها سيل وادي مكة الذي كسا ما بين الجبلين[8].

---

(١) القنان اسم جبل بني أسد، النفيان ما يتطاير من قطر المطر وقطر الدلو ومن الرمل عن بياض من الأوعل وغيرها، المنزل موضع الإنزال زوزني شرح المعلقات ص ٣٩ حاشية.

(٢) تيماء قرية عادية في بلاد العرب، الاطم:القصر- مشيد من الشيد الجص والشيد الرفع وعلو البنيان- الجندل الصخر- زوزني: شرح المعلقات ص٣٩ حاشية.

(٣) العرنين الأنف استعيرت لأوائل المطر- البجاد كساء مخطط - التزميل التلفيف بالثياب- زوزني: شرح المعلقات ص ٤٠ حاشية.

(٤) المجيمر اكمة بعينها - زوزني: شرح المعلقات ص٤ حاشية

(٥) إلقاء ضرب من الطير- الجواء الوادي - سلاف أجود الخمر زوزني: شرح المعلقات ص ٤٧ حاشية.

(٦) انابيش أصول البنت العنصل البصل البري زوزني: شرح المعلقات ص٤١ حاشية.

(٧) سورة سبأ آية ١٦

(٨) الأزرقي: اخبار مكة ٢/ ١٦٦ - ١٦٧، الفاسي (أبي الطيب تقي الدين بن أحمد بن علي) شفاء الغرام تحقيق عمر عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي ط١ ١٩٨٥ ج٢ ص ٤١٥ يختصر لفاس شفاء الغرام البلاذري: فتوح البلدان ص٦٥

ـ المياه

الجزيرة العربية على العموم من البلاد الفقيرة بالمياه لغلبة الجفاف عليها، فلا نستطيع أن نجد فيها نهراً واحداً دائم الجريان يصب ماؤه في البحر، وليس في أنهارها الصغيرة ما يصلح للملاحة وقد عوضت عن الأنهار بشبكة من الأودية تجري فيها السيول حين تفيض مياه الأمطار، فالوادي في أكثر الأحيان كل مفرج بين جبال وآكام وتلال يكون مسلكاً للسيل أو منفذاً[1].

ففي الحجاز وادي إضم وهو واد عظيم تغززه أودية كثيرة[2] ويسمى أيضاً الحمض، وقد ورد اسمه في أشعار الجاهليين قال سلامة بن جندل[3]:

يا دار أسماء بالعلياء من أضم بين الدكادك من قو فمعضوب[4]

يرفد هذا الوادي، وادي القرى شمال المدينة وكان يمر به طريق القوافل القديم وقد أصبح في الجاهلية الأخيرة يعج بالقرى ويزخر بالواحات[5]، ووادي العقيق في جنوب المدينة الذي يعتبر أعظم أودية الحجاز، فهو عبارة عن مجموعة أَعِقَّة أودية شقتها السيول ـ أحدها العقيق الأصغر وفيه بئر رومة، والأخر العقيق الأكبر وفيه بئر عروة[6].

وأما وادي الرمة وهو أعظم وديان الجزيرة يتكون من التقاء بضعة شعاب ومسيلات يمتد من فداك إلى القصيم في الشرق[7] يبلغ طوله ٩٥٠ كم[1] وهو غني بالمياه الجوفية

---

(١) ياقوت: معجم البلدان مادة وادي.

(٢) الهمداني: الصفة ص ٣٢٠

(٣) سلامة بن جندل شاعر جاهلي من عشيرة الحارث من بطن الغزر من بني تميم وهو معدود من شعراء الجاهلية المجيدين، ديوان سلامة بن جندل، محمد بن الحسن الأحوال تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ـ دار الكتب العلمية بيروت ط٢ ص ١٩٨٧ - ٨٧ ـ ٨٨ يختصر إلى ديوان سلامة بن جندل، دائرة المعارف الإسلامية ج١٢ ص ٥٣.

(٤) ياقوت: معجم البلدان مادة أضم شريف، مكة والمدينة ص ١٤

(٥) ياقوت: معجم البلدان مادة قرى جواد: المفصل ج١ ص ١٦٨ ، ١٦٩
شريف: مكة والمدينة ص ١٦.

(٦) الفيروز ابادي (مجد الدين ابي الطاهر محمد بن يعقوب) المغانم المطابة في معالم طابة تحقيق حمد الجاسر ط ١٩٦٩ ص ٢٦٦ يختصر إلى الفيروز ابادي: المغانم المطابة ياقوت: معجم البلدان مادة عقيق

(٧) ياقوت: معجم البلدان مادة رمة شريف، مكة والمدينة ص١٥ بيضون (إبراهيم) الحجاز والدولة الإسلامية ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان ط١ ١٩٨٣ م ص٣٣ ـ ٣٤ يختصر إلى بيضون: الحجاز

التي تظهر أحيانا على شكل عيون ماء[٢].

وفي اليمن أودية كثيرة أقيمت على بعضها السدود لتخزين مياه الأمطار الموسمية والاستفادة منها لري الحقول والبساتين على مدار السنة مثل وادي زبيد[٣] ووادي مور[٤] وغيرهما وتتلقى وديان حضرموت مياهها من جبال اليمن وحضرموت أشهرها الوادي الكبير أو وادي حضرموت ويعد أطول واد في الجزيرة بعد وادي الرمة[٥].

ويخترق سطح نجد واليمامة أودية أشهرها وادي العرض أو وادي اليمامة الذي ينصب من مهب الشمال ويفرغ في مهب الجنوب[٦]. وكان وادي العرض قبيل الإسلام غنياً بمزروعاته يؤيد ذلك قول الأعشى:

ألم تر أن العرض أصبح بطنها ... نخيلاً وزرعاً نابتاً وفصافصا[٧]

من كل ذلك نرى أن الجزيرة العربية من البلدان الفقيرة بالمياه ولكن رغم فقرها بالمياه فيها مناطق ذات تربة خصبة ومناخ معتدل كاليمن وحضرموت في الجنوب وجبال الطائف قرب مكة ومدينة يثرب في الشمال واليمامة في الجنوب الشرقي.....

- النبات

من الطبيعي أن تتنوع النباتات الطبيعية في الجزيرة العربية وتختلف باختلاف التضاريس والترب، وكمية الأمطار، فتتركز الغابات والأحراج على سفوح جبال السراة وحضرموت وظفار وفي وديان الجبل الأخضر في عمان حيث تتلقى كميات غزيرة من الأمطار الصيفية أو الشتوية. وكلما توغلنا إلى الداخل باتجاه الصحارى تقلص الغطاء النباتي وتبعثرت بقاعه وطالت فترة نمو الشجيرات والأعشاب والحشائش.

وتحدثت المصادر ومن ضمنها الشعر الجاهلي أنه كان ينمو على متون الجبال السدر

---

(١) شريف مكة والمدينة ص١٥ دلو: جزيرة العرب ٤٥/١

(٢) بليايف: العرب والإسلام ص ٦٤

(٣) الهمداني: الصفة ص ١٢٠

(٤) الهمداني: الصفة ص ١٢٣ ـ٢٥٨ ـ٢٥٩

(٥) دلو: جزيرة العرب ح١ ص٤٥

(٦) ياقوت: معجم البلدان مادة عرض

(٧) ديوان الأعشى ص ١٠١

والشوحط[1] والضال والسمر[2] والكتم والظيان والتين البري والعرعر[3].

وفوق هضبة نجد وفي أوديتها تنمو صنوف عديدة من الشجيرات والأعشاب والحشائش البرية ذكرها الهمداني نذكر منها السمر والطلح والعرقصان والأقحوان والخزامى والخلة[4].... وأفرد أيضاً باباً لذكر نبات اليمن[5].

وقد أفاد العرب في تلك الفترة من بعض أصناف الشجر في بناء بيوتهم، وإقامة الحظائر لأنعامهم[6] واتخذوا من بعضها القسي والسهام[7] والرماح حتى أن اسم بعضها كشجر الوشيج غلب اسم الرماح نفسها قال الأعشى[8]:

وترى الجياد الجرد حول بيوتنا موقوفة وترى الوشيج مسندا

واتخذوا من شجر الميس الرحال قال الأعشى[9]:

زيافة بالرحل حظارة تلوي بشرحي ميسة فاتر

وملئت المخاد بثمار شجرة الجعدة للينها وثخنها وطيب رائحتها[10] واستعمل بعضها في صبغ الأقمشة، فاشتهرت اليمن والطائف بدباغة الجلود، فصعدة في اليمن " بلد الدباغ في الجاهلية وهي في وسط بلاد القرظ[11].

---

(١) الأصمعي: النبات والشجر ص ٣٣ حاشية.

وينظر الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داوود) النبات باعتناء محمد خير الله نشر المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة ١٩٧٣ ح٢ ص٣٢- ٣٣- ٧٣ يختصر إلى الدينوري: النبات.

(٢) ديوان عروة بن الورد - دار صادر بيروت ص٢٣- ٢٣ الدينوري النبات ٢/ ٤٦ - ٩٣

(٣) ديوان عروة بن الورد ص ٣٨، الدينوري: النبات ٢/ ١٢٣

(٤) الهمداني: الصفة ص ٣٠١ - ٣٠٢ وما بعد

(٥) الهمداني: الصفة ٢٧٦ وما بعد.

(٦) القيسي (نوري) الطبيعة في الشعر الجاهلي، مطبعة دار الإرشاد بيروت ١٩٧٠ ص٧٩ يختصر إلى القيس: الطبيعة في الشعر الجاهلي.

(٧) الدينوري: النبات ٢/ ٢٨٩ ابن سيدة: المخصص ١١/ ١٤٢

(٨) ديوان الأعشى ص٥٧

(٩) ديوان الأعشى ص ٩٦

(١٠) دينوري: النبات ٢/ ٢٠٧

(١١) الهمداني: الصفة ٢٤٩ وينظر ابن خرداذبة (أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله) المسالك والممالك، دار

والطائف بلد الدباغ يدبغ بها الأهب الطائفية المعروكة[1]، وكانت النساء تطلين ووجوههن بالورس للزينة وتثبتن شعورهن بالصمغ[2]. واستخدموا بعض النباتات في معالجة عدد من الحالات المرضية[3]، وكوقود للتدفئة وللمصابيح[4]. والجدير بالذكر أنهم عظموا الأشجار وقدروها لفوائدها الجلّى بالنسبة إلى الإنسان والحيوان معاً فاتخذت بعض القبائل من الشجرة معبوداً لها وتصورت وجود قوى روحية كامنة فيها. فقد ذكر عن أهل نجران أنهم كانوا " يعبدون نخلة لهم عظيمة بين اظهرهم لها عيد في كل سنة، فإذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه، وحلي النساء، فخرجوا إليها يوماً وعكفوا عليها يوماً[5].

وكان في الكعبة وثن العزى ومن حوله شجرات يقدسونها[6]، وتعبدت قريش ذات أنواط، وهي شجرة عظيمة خضراء قريبة من مكة كانوا يحجون إليها كل سنة تعظيماً لها، ويعلقون أرديتهم عليها ويذبحون عندها ويقومون يوماً[7].

ثانياً: البنية الاقتصادية

هي الدعامة الأساسية الكبرى في وجود المجتمع واستمرار بقائه وارتفاعه وقد فسرت هذه الدعامة على إنها الفعاليات الزراعية والصناعية والتجارية فيه.

وقد ترتبط الفعالية الرعوية وتربية المواشي بتلك الفعالية.

ولعلنا نجد أن لكل فترة زمنية خصوصيتها، وباعتبار أننا ندرس الفترة المتقدمة على ظهور الإسلام فسنظهر ما لهذه الفترة من مميزات.

كان الإنتاج الاقتصادي في الجزيرة العربية رهين البيئة بكل تفاصيلها، وبسبب

المدينة مطبعة بريل ١٨٨٩ ص١٣٥ - ١٣٦ يختصر إلى ابن خرداذبة - المسالك والممالك.

(١) الهمداني: الصفة ص٢٦٠ ياقوت: معجم البلدان مادة طائف

(٢) الهمداني: الصفة ص٢٦٠ ياقوت:معجم البلدان مادة طائف.

(٣) ابن سيدة: المخصص ١١/١٤٤

(٤) ابن سيدة: المخصص ١١/١٤٢

(٥) ياقوت: معجم البلدان: مادة نجران

(٦) ابن الكلبي (هشام بن محمد بن السائب) الأصنام. تحقيق احمد زكي مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٢٤ ص ١٨ - ١٩ - ٢١ - ٢٧ يختصر إلى ابن الكلبي: الأصنام. وينظر ياقوت مادة عزى لسان العرب مادة عزز.

(٧) ياقوت: معجم البلدان مادة أنواط لسان العرب مادة نوط

الجفاف وشح المياه والسيول تداخلت البداوة مع التحضر وتشابكت المصالح عند نهاية خط موحد ليؤلفا معاً ظاهرة حضارية متميزة، ولم يبق سكان الجزيرة العربية أسرى بصورة مطلقة لهذه التبعية فقد استفادوا من الأهمية التي يتمتع بها موقع الجزيرة العربية الجغرافية كطريق تجارية تصل أطراف العالم المعمور آنذاك بعضه ببعض.

وتحولت هذه الاستفادة إلى موارد خدمات متنوعة على طرق القوافل التجارية وإلى مبادلات تجارية تسرب خلالها التعامل النقدي.

فتوفرت الظروف لنمو العمل الإنتاجي، وظهور الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج المتيسرة تاريخياً في تلك المرحلة.

فاستخدمت موارد المياه، وقابليات التربة حيث توجد هذه الموارد للسقي الاصطناعي، ولتنويع المزروعات من الفواكه والحبوب، فكان المزارعون يستخدمون الحيوان في جر المحراث، وفي متح الماء من الآبار معتمدين في ذلك كله على وسائل وآلات حديدية[1]. وظهرت صناعات يدوية استهلاكية إنتاجية وانفصلت هذه الصناعات عن الزراعة.

ففي المجال التجاري: كانت التجارة أهم الموارد التي شغلت دوراً أساسياً في تشكيل الحياة الاقتصادية بما لها من تداخلات أخرى اجتماعية سياسية دينية في مجتمع جزيرة العرب قبل الإسلام، وكان المقومان الأساسيان لهذا المورد الطيوب والتوابل التي تنبت في جنوبي الجزيرة، ومنها الورس واللبان اللذان لا يكونان في غير اليمن[2].

ولقد اشتهرت حضرموت وهي بين اليمن وعمان بأنها كانت أرض البخور واللبان[3]. أضف إلى ذلك بعض السلع والبضائع الأخرى.

كانت البضائع تمر عبر الطرق التجارية البرية والبحرية[4] وكان التجار يسلكون الطرق البرية بقدر المستطاع للمتاجرة الدائمة عبر أسواق متواصلة.

استغل عرب الجنوب موقع بلادهم على طرق التجارة العالمية الرئيسية البحرية

---

(١) بليابيف: العرب والإسلام ص ١١٣.

(٢) الهمداني: الصفة ص٣٦٠

(٣) حتي: تاريخ العرب ص ٦٤

(٤) ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص ١٣٤ ـ ١٣٦، وينظر: جواد المفصل ح٢ ص ٥٧٦ شكري (محمد سعيد) الأوضاع القبلية في اليمن ـ مكتب الدراسات الطلابية ١٩٨٦، رسالة ماجستير ص١٣٢ يختصر إلى شكري: الأوضاع القبلية.

والبرية، وأن بلادهم موطن الخيرات واللبان والطيوب ومواد أخرى مطلوبة، وأنشؤوا علاقات تجارية وحضارية مبكرة مع بلدان وأقوام الشرق الأوسط والهند وجنوب شرقي آسية المعاصرة لها.

واكتشفوا مواعيد هبوب الرياح الموسمية، وتبدل اتجاهاتها بين الصيف والشتاء، وسيروا سفنهم الشراعية إلى الهند مدفوعة بقوة هذه الرياح تبعاً لأوقاتها التي تتبدل اتجاهات هبوبها حسب المواسم، وأرسلوا القوافل من جوف اليمن عبر الحجاز إلى سورية وفلسطين شمالاً وإلى منطقة الخليج العربي والعراق شرقاً وإلى مصر غرباً. (ينظر مصور رقم ٤-٥)

كل هذا كان بسبب وجود عدة مناطق جغرافية ولكل منها منتوجاتها الزراعية وإنتاجاتها الحرفية مما هيأ في اليمن حاجة اقتصادية دائماً إلى التبادل التجاري (المقايضة). وقد تحققت إمكانيات مثل هذا التبادل التجاري بفضل وجود المدن، المراكز التقليدية للتجارتين الخارجية والداخلية، والأسواق الدائمة القائمة في الأرياف، وكذلك بفضل حركة المرور المنتظمة الجارية في الطرق التي تقدم الخدمات للتجارتين الخارجية والداخلية[١].

فهيمن اليمنيون على طرق الملاحة البحرية، واحتكروا تجارة الهند التي كانت تأتيهم بأرباح طائلة، واستقرت جاليات منهم في مستوطنات خارج اليمن[٢].

وبالوقت نفسه حرص عرب الجنوب على تمكين قبضتهم على طرق التجارة والاحتفاظ بأسرار حرفتهم، فكثرت ثرواتهم حتى أصبح غنى الأرستقراطية والتجار مضرب الأمثال[٣].

حتى أمكن القول: " فاقت السبأي الجميع ثروة بما يتوافر في أرضها من أدغال ذات عطور ومناجم ذهب وامواه للري وهي تنتج العسل والشمع بكثرة......... فلو تحريت هذه الأقطار تماماً علمت أنها أغنى بلدان الأرض قاطبة بما يتوارد إليها من كنوز دولة الرومان ودولة الفرثيين[٤] ".

وطار صيت ثراء هذه الطبقة حتى بلغ مسامع اليونان والرومان فذكر أن السبئيين

---

(١) بيوتروفسكي (م. ب) اليمن قبل الإسلام تعريب محمد الشعيبي دار العودة بيروت ط١ ١٩٨٧ ص ١١٣ يختصر إلى بيوتروفسكي: اليمن قبل الإسلام.

(٢) حتي: تاريخ العرب ص٨٨.

(٣) حتي: تاريخ العرب ص ٧٨

(٤) حتي: تاريخ العرب ص ٧٨ نقلاً عن غيره.

فينيقيو البحر الجنوبي[1].

أسهمت التجارة في تطور اليمن وتقدمها وكان لها حظ من رفاهية العيش والتنعم والتفنن في المأكل " إذ كان يطبخ في بيت الرجل منهم عدة ألوان.

ويعمل فيها السكر والقلوب وتطيب أوانيها بالعطر والبخور ويكون لأحدهم الحاشية والغاشية، وفي بيته العدد الصالح من الإماء جملة من الخدم والعبيد والخصيان من الهنود والحبش، ولهم الديارات الجليلة والمباني الأنيقة[2] ".

ولم يقتصر أمر التجارة على التجار المحترفين بل تعاطاها الملوك وسدنة المعابد، وأصحاب الأملاك ورؤساء العشائر، حتى أن بعض الطرق سميت باسم أحد ملوك حمير في بداية القرن الخامس الميلادي أسعد كامل وهو طريق يصل إلى شمال الطائف ويتصل بطريق الحجاز[3].

أثارت أرباح التجار من العرب من التجارة الشرقية أطماع اليونان والرومان والبيزنطيين من بعدهم فزاحموا العرب وأنزلوا سفنهم التجارية الضخمة والقوية وذات الصفوف الأربع من المجاذيف إلى مياه البحر الأحمر، ومنه إلى المحيط الهندي وصولاً إلى الهند، وبالطبع كان هذا نذير خطر لحياة اليسر والرخاء في بلدان الجزيرة العربية فمال نجم دول الجنوب إلى الأفول. يقول حتي: فلو تصفحنا " كتاب الطواف حول البحر الإريتري، وهو أول ما وصلنا من مدونات العلاقات التجارية المنظمة بين الشرق والغرب التي أنشأها الغربيون وابتنوا لها السفن وقاموا على إدارتها لرأينا بوادر جديدة تشعرنا بانقلاب عظيم في ميدان التجارة، ولكن الخط البحري الجنوبي الذي ينتهي إلى الهند ظل في أيدي العرب حتى القرن الأول للميلاد [4]....."

أدى هذا التحول إلى التدهور الاقتصادي تلاه تدهور سياسي كما هو مألوف في مثل تلك الأحوال، ثم غزا الأحباش البلاد العربية وتصدع سد مأرب وتدهورت الزراعة وتلتها الصناعة[5].

---

(١) حتي: تاريخ العرب ص ٢٨

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى ج٥ ص٧

(٣) جواد: المفصل ج٢ ص ٥٧٦

(٤) حتي: تاريخ العرب ص ٩٣ نقلاً عن كتاب الطواف حول الإريتري.

(٥) ينظر فيما بعد من فصول

ثم تصارع الرومان والفرس على اليمن، فزادت التجارة ضعفاً، وحينئذ فقدت اليمن سيادتها على التجارة، لأن الحبش لم يستطيعوا تدبير شؤونها مما هيأ ظروفاً ملائمة لنمو حركة التجارة في الحجاز ومكة بخاصة، فقد كان يشقها شريان رئيس من شرايين التجارة العالمية تتفرع منه شرايين تتجه باتجاه الشرق والشمال الشرقي، وفي موازاته شريان رئيسي آخر كان له دوره في عالم تجارة ذلك الزمن[1].

وتشير المصادر العربية إلى تزايد من كان يتعاطى التجارة ويعمل فيها، ويعيش منها، وكان لذلك أعظم الأثر في قيام محطات تجارية أهمها مكة على الطريق البري وثغور تجارية بحرية كالشعبية مرفأ مكة القديم[2]، والجار فرضة المدينة على شط البحر، وجدة فرضة أهل مكة[3].

هيأت الظروف لمكة القيام والنهوض بالتجارة وذلك بسبب تغير طرق التجارة واحتلال الحبشة لليمن كما سلف القول وتصدع سد مأرب ونشوب اضطرابات سياسية وتدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية لعرب الجنوب، فنمت حركة التجارة في الحجاز، ومكة بشكل خاص، وأصبح الحجاز جسراً ربط بلاد الشام وحوض المتوسط باليمن والحبشة والصومال والسواحل المطلة على المحيط الهندي[4].

فبرزت مكة برغم طبيعة أرضها الجرداء الخالية من الزرع والأنهار والماء، ونشطت فيها قبيلة قريش نشاطاً ملحوظاً في التجارة الداخلية والخارجية، وأصبح لدى المكيين في هذا المجال عدد من القواعد والأصول شكلت عرفاً تجارياً متبعاً.

وأصبحت التجارة تؤثر تأثيراً ملحوظاً في تحديد الاتجاه الذي كان يتخذه التطور الاجتماعي آنذاك من حيث منحى الروابط القبلية والأسرية، والتوجهات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والأيديولوجية في السير على طريق الوحدة، وتفسخ معنى العصبية، وظهور عصبيات أخرى تتعلق بالعمل الذي مارسه السكان، فكان مفتاح

---

(١) جواد: تاريخ العرب ح٤ ص١٦١، سالم تاريخ العرب ص٣٤١

(٢) الازرقي: اخبار مكة ١٥٧/١ ـ ١٦٠، ياقوت: معجم البلدان مادة شعيبة جواد: المفصل ١١٥/٤

(٣) الأصطخري: المسالك ص٢٣

(٤) سالم (عبد العزيز) تاريخ العرب في عصر الجاهلية ـ دار النهضة العربية ١٩٧١ ص ٣٤١ يختصر إلى سالم: تاريخ العرب وينظر أيضاً دلو: جزيرة العرب ١٣٠/١

التحول الكبير الذي حققت مكة معه انطلاقتها العالمية هو نظام الإيلاف[1].

وذلك في سبيل توفير الأمن من اعتداءات القبائل على القوافل التجارية التي تريد بلاد الشام أو العراق أو اليمن والعربية الجنوبية أو العائدة منها.

فعندما أصابت مكة سنوات من الجدب، ذهبت بالأموال، خرج هاشم إلى الشام وقابل قيصراً، وطلب منه أن يكتب له أماناً بدخول بلاده، وكان له ما أراد حيث كتب الحاكم الروماني أماناً لمن يقدم من التجار القرشيين إلى بلاده، وأقبل هاشم بذلك الكتاب، وجعل كلما مر بحي من العرب بطريق الشام يأخذ من أشرافهم إيلافاً، والإيلاف أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف، وإنما هو أمان الطريق، وهو العهد والذمام[2].

فإن دل هذا على شيء فإنه يدل على ضخامة المهمة التي كان يقوم بها زعماء قريش الأثرياء في مجال الوساطة التجارية والاتجار مع بلدان العالم الخارجي والأسواق الداخلية، مما فرض أشكالاً من التنظيمات التجارية المتطورة بالقياس لعصر ما قبل الإسلام، وإن هذه التنظيمات إنما كانت بوحي من ضرورات الإفادة المطلقة العائدة لصالح الفئات العليا من قريش وصالح المتعاملين معهم من أمراء ووجهاء القبائل داخل بلاد العرب، ومع الحكومات والجماعات التجارية خارج بلاد العرب، فقد نظموا الأسواق الموسمية، فكان الناس يخرجون في موسم الحج في شهر ذي الحجة فيصبحون بعكاظ بين مكة والطائف يوم هلال ذي القعدة فيقيمون به عشرين ليلة تقوم فيها أسواقهم بعكاظ، فإذا مضت العشرون انصرفوا إلى سوق مجنة التي تقع قرب مكة في أرض كنانة مدة العشرة أيام الأخيرة من ذي القعدة[3]، ثم يرتحلون إلى ذي المجاز في الأيام الأولى من ذي الحجة حتى الثامن منه[4]، وهذه السوق تلي عكاظ في الأهمية، وهي من أسواق العرب الكبرى وهي

---

(١) البلاذري (احمد بن يحيى) انساب الأشراف تحقيق محمد حميد الله ـ دار المعارف بمصر ج١ ص٥٩ يختصر إلى البلاذري: انساب الأشراف.
الطبري: (ابي جعفر محمد بن جرير) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ـ دار المعارف ط٤ ج٢ ص٢٥٢ يختصر إلى الطبري: تاريخ الرسل والملوك، المسعودي: مروج الذهب ج٢ ص٣٣.
جواد: المفصل ج٤ ص٦٧، ج٧ ص٣٠٢

(٢) لسان العرب: مادة الف.

(٣) الأزرقي: اخبار مكة ١/١٨٨ ـ ١٩٠ وينظر ياقوت مادة مجنة ـ افغاني: سعيد أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ـ دار الفكر ط ٣، ١٩٧٤، ص٣٤٥ يختصر إلى الأفغاني: أسواق. هبو: تاريخ العرب ٣٢٣.

(٤) الأزرقي: أخبار مكة ١/١٨٨، ابن حبيب (ابي جعفر محمد) المحبر ـ مكتبة المثنى بغداد ١٩٤٢ م ص٢٦٧

لهذيل على يمين الموقف من عرفة قريبة من كبكب على فرسخ من عرفة[1].

كانت هذه الأسواق قسماً من أعمال الحج حتى أن قريشاً وغيرها من العرب تقول:

لا تحضروا سوق عكاظ ومجنة وذي الحجاز إلا محرمين بالحج، وكانوا يعظمون أن يأتوا شيئاً من المحارم أو يعدو بعضهم على بعض في الأشهر الحرم وفي الحرم[2]، أكسبت هذه التنظيمات الداخلية والخارجية الفئات التجارية العليا في قريش من تعاملها، ومن خلال الاضطرابات والحروب التي كانت تحدث في الجزيرة أو حولها خبرات تجارية ودبلوماسية وسياسية دفعها لاتخاذ موقف سياسي يمكن أن تسميه بالحياد أي الابتعاد عن استخدام القوة كوسيلة لحل المشكلات المتنازع عليها واللجوء إلى المفاوضات السلمية، وإقامة علاقات ودية أو حسنة، أو على الأقل تطبيع علاقات مكة مع أمراء العرب والحكومات الأجنبية، وعدم التورط في الانضمام إلى معسكر الساسانيين. أو معسكر الروم البيزنطيين اللذين كانا يتنازعان السيطرة على المنطقة العربية.

وكان من مصلحة الروم البيزنطيين أن يحسنوا علاقاتهم مع سادات العربية الغربية وترضيتهم ليؤمنوا بذلك على سلامة تجارتهم في البحر الأحمر، وعلى وصول السلع الأفريقية والهند واليمن إليهم عند تعسف الساسانيين بالتجارة البرية التي كانت تأتي من الهند والصين عبر العراق لتباع في بلاد الروم والأسواق الأوربية وعند نشوب الحرب وهي مستمرة بينهما، فينقطع وصول سلع الترف والمنسوجات الحريرية والقطنية والبخور، أما التجارة عن طريق العربية الغربية فلم تكن تتأثر بأذى الحروب وبالنزاع المستمر بين الساسانيين والروم. وقد يكون للبيزنطيين أيضاً من وراء عقد الاتفاقات مع العرب أهداف أخرى سيأتي ذكرها في مكان آخر.

أضف إلى ذلك أنه كان لقريش رحلتان. رحلة الشتاء إلى الشام، ورحلة الصيف إلى اليمن[3].

قال تعالى: ((لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من

يختصر إلى ابن حبيب المحبر، هبو: تاريخ العرب ٣٢٣.

(١) الأزرقي: اخبار مكة ١٩٠/١، ياقوت: مادة حجاز، الأفغاني: أسواق ٣٤٧ وكبكب جبل خلف عرفات - ياقوت مادة كبكب.

(٢) الأزرقي: اخبار مكة ١٩٢/١

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية ٥٧/١ ـ ١٤٣

جوع وأمنهم من خوف[1])).

وبهذا عظمت قوافل قريش، وكثرت أموالها كما ذكر عن قافلة ابي سفيان أثناء الحديث عن وقعة بدر الكبرى[2].

حملت هذه القافلة أموالاً لمعظم بطون قريش، وهذا دليل واضح على نشوء تضامن وتعاون اجتماعي جديد مبني على أساس المصلحة التجارية، وكان نتيجة ذلك أن وظفت قريش أموالها في مشاريع استثمارية خارج الحجاز، وكان لها معاملات تجارية كالشراكة[3] والمضاربة[4] مما كان له أثر في تعريف أهلها الكتابة والحساب والمكاييل والموازين فدرت هذه المعاملات عليهم أرباحا عظيمة جعلتهم أثرياء نعموا بالحياة وغرقوا بالترف واتخذوا الرقيق الذي راجت تجارته آنذاك وتنافسوا فيما بينهم بما يملكون منه.

ولعل الحج كما سبق القول شغل دوراً كبيراً في ازدهار تجارة قريش جعلها تنظمه وتعقد له الأسواق لتبيع وتشتري في ظروف آمنة فأجرت له ترتيبات تكفل لها ذلك كالسقاية والرفادة....... الخ[5].

وظهر الربا[6] نتيجة لهذا الوضع الاجتماعي والاقتصادي وكان في نظر القوم مصدراً لثراء الفئات العليا، وإعلاء كلمتها ولكنه كان في الوقت نفسه أحد أسباب سخط الناس عليه وعلى من يتعاطاه لأنه كان فاحشاً جداً.

شارك في ذلك وجهاء من ثقيف كأبي مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف[7] وتوثقت العلاقات الاقتصادية بين الحاضرتين، وارتبطت مصالح وجهاء القبائل بمصالح كبار التجار في مكة حتى أن بعض المكيين أمثال العباس بن عبد المطلب كان لهم

---

(١) سورة قريش آية ١-٢

(٢) ابن هشام: السيرة ١/٢٥٧، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/٤٢١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/١١٦.

(٣) الشراكة مخالطة الشريكين للمال ـ لسان العرب مادة شرك وخلط.

(٤) المضاربة أن تعطي إنساناً من مالك ما يتجر فيه على أن يكون الربح بينكما او يكون له سهم معلوم من الربح لسان العرب مادة / ضرب

(٥) ابن هشام: السيرة ١/١٤٣، الأزرقي: أخبار مكة ١/١١٠ ـ١١١ وما بعد.

(٦) الربا الزيادة على أصل المال من دون عقد تبايع لسان العرب مادة ربا.

(٧) ابن هشام: السيرة ١/٣٨٧

أراض في الطائف[1].

أما المواد التي تاجروا بها فالأدم[2] من اليمن والطائف إلى بلاد الشام، وكان بعضها مصقولاً معتنى به مزخرفاً بالذهب عرف بالمذاهب[3]، ونقلوا العطر من اليمن إلى مكة[4] وتاجروا بالزبيب من الطائف، ومعادن الحجاز ورقيق أفريقية وقمح مصر في بعض الأحيان، والزيت الركابي من بلاد الشام، وعرف بالزيت الركابي لأنه كان يحمل على الإبل من الشام[5].

والجدير بالذكر أنه عمل بعض أهل الحيرة بالتجارة حيث أتاح قرب الحيرة من نهر الفرات للعاملين بالتجارة أن يركبوا السفن الصغار في الفرات حتى الأبلة، ثم يركبوا السفن الضخام من هناك فيطوفون بالبحار إلى الهند والصين من جهة الشرق، وإلى البحرين وعدن من جهة الغرب. وكانت تتوارد على الحيرة المتاجر العظام لأنها كانت من ظهر البرية على مرفأ سفن البحر من الصين والهند وغيرها[6].

ومن الحيرة كانت القوافل تحمل تجارة الهند والصين وعمان والبحرين وفارس والعراق والجزيرة العربية إلى تدمر وحوران، وترتب على هذه الحرفة تدفق الثروات على أهل الحيرة[7].

ومارس ملوك الحيرة التجارة في أسواق الحيرة الداخلية وأرسلوا لطائمهم إلى أسواق الجزيرة العربية الموسمية وخاصة إلى سوق عكاظ، فقد كان النعمان ابن المنذر يبعث إلى سوق عكاظ في كل عام لطيمة فتباع له بسوق عكاظ ويشترى له بثمنها العصب والبرود

---

(١) الأزرقي: اخبار مكة ١/١١٤ ـ البلاذري فتوح البلدان ص٦٨

(٢) الأدم الجلد المدبوغ: لسان العرب مادة أدم

(٣) تاج العروس: مادة ذهب

(٤) الاصبهاني: الأغاني ١/٦٤ـ٦٥ . جواد: المفصل ٧/٢٩٣
دلو: جزيرة العرب ١/١٣٦.

(٥) تاج العروس مادة ركب، جواد: المفصل ٧/٢٩٣ ـ ٢٩٤
شريف: مكة والمدينة ص٢٠٥ ـ ٢٠٦

(٦) البكري: معجم ما استعجم ٢/٤٧٨، سالم: تاريخ العرب ص ٣٠٠

(٧) سالم (عبد العزيز) دراسات في تاريخ العرب، عصر ما قبل الإسلام،دار المعارف بمصر ١٩٦٨ ج١ ص٣٨٤
يختصر إلى سالم: دراسات في تاريخ العرب.

والأدم وغير ذلك من طرائف اليمن[1].

وقد تعرضت بعض لطائم النعمان إلى النهب برغم حمايتها[2]، كما كانت الحيرة نفسها سوقاً مقصودة[3].

وعقد ملوك الحيرة عهوداً (اتفاقات أمان) مع عدد من أقوياء سادات القبائل التي تمر القافلة التجارية عبر أراضي قبائلهم تتضمن تعهدهم بالمحافظة على سلامتها ذهاباً وإياباً.

والجدير بالذكر أنه كانت التجارة بنوع خاص من أهم مرافق الحياة عند اليهود، فقد عرفت خيبر وسوقها الشهيرة نطاة خيبر بأنها واحدة من أهم مراكز التجارة وأسواقها الموسمية ليس في بلاد الحجاز، وعند الحجازيين فحسب بل في جزيرة العرب وعند العرب قبل الإسلام، فها هو ابن حبيب يصنفها ضمن (أسواق العرب المشهورة ومبايعتهم فيها)[4].

ويرى غوستاف لوبون أن خيبر كانت مقر تجارة اليهود في بلاد الحجاز قبل الإسلام[5]. فقد أعدها اليهود لتكون واحدة من أهم المحطات التجارية التي تحط عند أبواب حصونها قوافل التجارة التي تجوب شبه الجزيرة من سوق إلى سوق[6].

أضف إلى ذلك أن يهود الجزيرة أو بالأحرى يهود خيبر ظلوا بعيدين عن الصراع الدولي الذي شهدته بعض المناطق في شمالي الجزيرة وجنوبها قبل الإسلام، كما ظلوا بعيدين عن المنازعات والحروب القبلية التي قامت بين القبائل العربية، ولعلهم اصطنعوا الكرم وتظاهروا به لاجتذاب التجار، فيذكر الواقدي أن اليهود لا تغلق عليها أبوابها فرقاً أن

---

(١) البلاذري: انساب الأشراف ١/ ١٠٠ ـ ١٠١، الأفغاني: أسواق ٣٥٧ جواد: المفصل ٢٧٧/٣ دلو: جزيرة العرب ١٤٧/١ واللطيمة قافلة تحمل المسك والحرير.

(٢) الاصبهاني: الأغاني ٥٧/٢٢، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١/ ٥٩٠ واللطيمة العير تحمل الطيب وبز التجار وغيرها ـ لسان العرب مادة لطم

(٣) حمور (عرفان) أسواق العرب، عرض ادبي تاريخي للأسواق الموسمية العامة عند العرب ـ دار الشورى بيروت ص٢٠٣ يختصر إلى حمور: أسواق. سلام (شافعي محمود سلام) النشاط التجاري في خيبر منشأة المعارف بالاسكندرية ص١٧.

(٤) ابن حبيب: المحبر ١٩٦

(٥) لوبون (غوستاف) حضارة العرب: نقله إلى العرب عادل زعيتر ـ مطبعة الحلبي ١٩٦٩، ص١٠٧ يختصر إلى لوبون حضارة العرب.

(٦) الأفغاني أسواق ٣٥٦

يطرقها ضيف فيصبح أحدهم بالفناء ولم يضف فيجد الباب مفتوحاً فيدخل فيتعشى[1]".

كان لليهود علاقات تجارية واسعة خارج منطقة الواحة في خيبر، وأسهموا بدور هام في التجارة الخارجية لجزيرة العرب قبل الإسلام. إذ كانت التجارة الدولية من الأعمال التي برع فيها اليهود[2]. واحتكروا بعض السلع وكانت معظم تجارة القمح والشعير والتمر وأنواع الأقمشة في أيديهم[3].

وكان التاجر اليهودي الجائل معروفاً في كل مدينة وبلدة ومعروفاً في كل سوق[4] وكان على اتصال مع البلاد التي ينزل فيها كيثرب ووادي القرى وفدك وتيماء وبلاد اليمن والعراق وبلاد الشام وفلسطين[5].

من كل ما تقدم يمكن القول إن الجزيرة العربية مارست التجارة بشكل واسع وقد ساعد على ذلك موقعها في ملتقى أهم الطرق التجارية العالمية الموصلة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب.

- الزراعة

كان الحديث في بداية الفصل أن البيئة الطبيعية حددت نوعية البنية الاقتصادية في أجزاء الجزيرة العربية، فانقسمت القبائل حسب نوع العمل إلى قبائل بدوية متجولة، وقبائل فلاحية مستقرة مارست الزراعة، وقبائل نصف فلاحية أو نصف متجولة.

وعلى الرغم من أن الطبيعة هي التي حددت التقسيم المشار إليه لعمل القبائل غير أن سكان الجزيرة لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام التبعية لعوامل الطبيعة، فقد عملوا بدأب ونشاط برغم المعوقات الطبيعية والاجتماعية والسياسية على توسيع أعمال الري الاصطناعي فحفروا الآبار في الوديان والواحات وبعض السهول الساحلية لاستثمار موارد المياه الجوفية القريبة من سطح الأرض، وأقاموا الحواجز في مواضع تجمع مياه الأمطار في

---

(١) الواقدي (محمد بن عمر) المغازي تحقيق مارسدن جونس مؤسسة الأزي للمطبوعات بيروت - لبنان ح١ ص٣٩٢ يختصر إلى مغازي الواقدي.

(٢) النشاط التجاري في خيبر ص٢٢.

(٣) ولفنسون (إسرائيل) تاريخ اليهود في بلاد العرب - القاهرة ١٩٢٧ ص١٨ يختصر إلى ولفنسون تاريخ اليهود في بلاد العرب.

(٤) سلام النشاط التجاري في خيبر ص٢٢

(٥) ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب ص٧٤

الأودية لتوزيع مياهها في أوقات معينة، وبالحصص على المزارعين وأنشؤوا السدود، وشقوا الأقنية، واستخدموا الحيوان في جر المحراث وفي متح الماء من الآبار معتمدين في ذلك كله على وسائل وآلات حديدية[1].

وقد سبق أهل اليمن غيرهم من عرب الجزيرة واكتسبوا تجارب غنية في هذا الاتجاه وكانت الزراعة تقوم على مياه الأمطار والري الاصطناعي في اليمن وعمان[2].

أما في المناطق القليلة المطر أو تهطالها غير منتظم كواحات الحجاز ونجد واليمامة، فتعتمد الزراعة على الري بصورة أساسية، وكانت معظم الأراضي لوجهاء القبائل والملاكين الكبار والمعابد وأثرياء التجار وملك الباقي المزراعون الصفار.

مما يشير إلى تلاشي الملكية الجماعية للأرض، وقيام الملكية الخاصة، وكان أصحاب الأراضي الواسعة يستثمرونها بطرق مختلفة كالإيجار أو استثمارها على الثلث أو النصف أو أقل من ذلك، أو أكثر[3] أو بالمزابنة[4] أو المحاقلة[5]. وقد توسعت رقعة الأراضي الفلاحية وتعددت المناطق الزراعية في الجزيرة وتنوعت المحاصيل بتنوع التضاريس والمناخ والتربة.

والجدير بالذكر أن الزراعة تقدمت في اليمن اكثر من أية منطقة أخرى، وقد دعيت اليمن بالخضراء عند الجغرافيين العرب وذلك لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها[6].

وكانت الزراعة في اليمن تعتمد على مياه الأمطار والري الاصطناعي كما سلف ذكره حيث أقام المزارعون المدرجات على سفوح الهضاب للحفاظ على التربة ومنعها من الانجراف. ومما ساعد على رفع مستوى الزراعة وازدهارها في اليمن بناء منظومة واسعة من السدود والأحواض لحفظ مياه الأمطار الموسمية الصيفية الغزيرة وتوزيعها على الحقول والبساتين عند

---

(١) بلياييف العرب والإسلام ص١١٣.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ص٨٢ وما بعد.

(٣) البخاري (ابي عبد الله محمد بن إسماعيل) صحيح البخاري. مطبعة الهندي ج٢ ص٨٢٠ وما بعد يختصر إلى صحيح البخاري.

(٤) المزابنة: اشتراء التمر من رؤوس النخل، صحيح البخاري ٧٦٣/٢ وينظر الأفغاني، أسواق ص٥٠-٥١.

(٥) المحاقلة مفاعلة الحقل وهو الزرع والمراد بيع الحنطة في سنبلها بحنطة صافية صحيح البخاري ج٢ص٧٦٣ حاشية. افغاني، أسواق ص٥٠.

(٦) ينظر في البنية الطبيعية

الحاجة. ويذكر الهمداني أن في أحد مخاليف[1] اليمن ثمانين سداً، وفيها قيل[2]:

وبالريوة الخضراء من أرض يحصب ثمانون سداً تقلس الماء سائلا

ويعد سد مأرب من أهم السدود التي اكتسبت شهرة في تاريخ اليمن والجزيرة العربية حتى اليوم، فقد كان يشكل العمود الفقري لتنظيم الري الاصطناعي ولتطور الزراعة الكثيفة في العربية الجنوبية. وقد عبر القرآن الكريم عن ازدهار الزراعة في اليمن بوصفه مسكن سبأ بأنه " جنتان عن يمين وشمال[3] ".

وكانت الحكومات تنفق على مثل هذه الأعمال من أموالها كما يشير إلى ذلك نص أبرهة[4].

وبانهيار سد مأرب تأثرت أساليب الزراعة وكان لزاماً على الفلاح ان يزرع أنواعاً تقاوم الجفاف فزرعت الذرة جنباً إلى جنب مع زراعة القمح[5] وكثرت النباتات فيها وزرعت العديد من المزروعات[6]. إذ بقيت اليمن بلداً زراعياً على الرغم من فقدان أهميتها الاقتصادية وانهيار سد مأرب والاحتلال الأجنبي وهجرة بعض قبائلها إلى مناطق أخرى.

واشتهرت ظفار باللبان[7]، وكانت عمان ذات نخل وزروع[8]، وانتشرت باليمامة الكثير من مناطق الزراعة الهامة قبل ظهور الإسلام وصفت بأنها بلاد واسعة ذات نخل وقصور[9].

وكثرت في وادي العرض لخصبه القرى والزروع والحبوب والنخيل والأثمار[10] قال

---

(١) ينظر لشرح معنى هذه الكلمة فيما بعد

(٢) الهمداني: الصفة ٢١٥

(٣) سورة سبأ آية ١٥

(٤) بافقيه (محمد عبد القادر) تاريخ اليمن القديم - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٣ ص ١٦٨ حتى ص١٧٠ يختصر إلى بافقيه: تاريخ اليمن القديم. هبو: تاريخ العرب ص ١٣٦.

(٥) بلياييف: العرب والإسلام ص ٩٢. بيتروفسكي اليمن قبل الاسلام ص ١٠٤ - ١٠٥

(٦) الهمداني: الصفة ص ٢٧٦ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠، ياقوت مادة صنعاء.

(٧) ياقوت: معجم البلدان مادة ظفار

(٨) ياقوت: معجم البلدان مادة عمان

(٩) الدينوري (أبي حنيفة) الأخبار الطوال - مراجعة حسن الزين

(١٠) الهمداني: الصفة ٢٨٣ - ٢٨٤

الأعشى[1]:

ألم تـــر أن العـــرض أصـــبح بطنهـــا   نخـــيلاً وزرعـــاً ثابتـــاً وفـــصا فـــصا

وكثرت المزروعات في الواحات كيثرب والطائف ودومة الجندل، فالنخيل أهم مزروعات يثرب وعليه اعتماد السكان، منه تدفع الأجور وتسدد الديون[2]، أضف إلى ذلك الشعير والبقول والخضراوات والسلق والبصل والثوم والقثاء وحب اللبان والليمون والسفرجل والخوخ والفل والموز والعنب والتين والرمان[3]، وكانت هذه المزروعات تسقى من الآبار عليها العبيد[4].

واعتمد سكان الطائف على الزراعة البعلية والمروية فكانت العير إذا قدمت من السراة والطائف وغير ذلك تحمل الحنطة والحبوب والسمن والعسل إلى مكة[5]. وقد نسب البدو بما عرفوه عن أهل الطائف من دهاء وكياسة إلى اعتيادهم العيش على الحنطة حتى غدا ذلك مضرب الأمثال[6]. ولقد ضرب بزبيب الطائف المثل[7].

واشتهرت خيبر بوفرة مزارعها ونخيلها حيث كان يسكنها قبائل متحضرة مارست الزراعة وبنت القرى وشيدت الحصون[8].

من كل ذلك نرى أشكالاً للنشاط الزراعي وذلك بسبب اختلاف الظروف الطبيعية ومستوى تطور القوى المنتجة من مناطق الجزيرة.

وحيث تشكل البوادي والسهوب معظم مساحة الجزيرة فإن الطبيعة تتحكم في معيشة سكان هذه المنطقة وتفرض أسلوباً لحياتهم وعملهم فكان الطابع المميز لهذا الأسلوب تربية الأغنام والترحال بحثاً عن الكلأ والماء.

---

(1) ديوان الأعشى ص101

(2) سمهودي (نور الدين علي بن أحمد) وفاء الوفا ـ دار إحياء التراث العربي ط 4 1984 م. ح2 ص 155 يختصر إلى سمهودي وفاء الوفا.

(3) ابن هشام السيرة 144/2، ياقوت / معجم البلدان مادة مدينة، الفيروز ابادي المغانم المطابة ص 189.

(4) ياقوت: معجم البلدان مادة طائف.

(5) الأزرقي: أخبار مكة 239/2

(6) دائرة المعارف الإسلامية مادة طائف

(7) ياقوت: معجم البلدان مادة طائف

(8) ياقوت: معجم البلدان مادة خيبر

وكان الجمل أقدم الحيوانات التي سمعنا بها عند العرب وأعزها شغل دوراً كبيراً في حياة العرب الاقتصادية، يدلك على ذلك ما يقال من ان اللغة العربية تضم نحو ألف اسم للجمل في مختلف أنواعه وأشكاله، ومراحل نموه. وهو عدد لاينا فسه إلا عدد المترادفات لكلمة السيف. وقد أشار القرآن الكريم اليه بقوله: " ولكن فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغية إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم[1]".

لأهمية الإبل أفرد ابن سيدة لها في مخصصه صفحات كثيرة ذكر فيها حملها ونتاجها وصفاتها وأسنانها وفطامها ونعوتها في الوله، واشتداد الحنين، وفي دمامتها وسمنها وقلة لحومها وأوبارها واجترارها ورعيها وبروكها وإناختها وسيرها في اللين والرفق والسرعة وأمراضها ومعالجتها[2].

أضف إلى ذلك ممارسة تربية المواشي والخيل للتسلية واللهو واللعب، لأن أمر اقتناء الخيل في بلاد العرب من الأمور الكمالية، فإطعامها والعناية بها مشكلة من مشاكل ابن الصحراء لا يستطيع حيازتها إلا من كان على سعة العيش[3].

وفي القرآن الكريم ذكر للخيل كمصدر من مصادر القوة يرهب بها المسلمون أعداءهم ومصدر من مصادر الثروة والزينة وبهجة الحياة الدنيا "...... والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لاتعلمون[4] ".

وقوله تعالى: ((وأعدو لهم ما استعطتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم [5])).

ولأهمية الخيل أفرد ابن الكلبي ومعمر بن المثنى التيمي وغيرهما كتاباً خاصاً بها[6].

---

(١) ابي هلال العسكري، التلخيص تحقيق عزة حسن دمشق ١٩٧٠، ج٢ص٥٢٤ ـ ٥٧٢ وما بعد يختصر إلى العسكري، التخليص.ـ سورة النحل آية ٨.

(٢) ابن سيدة المخصص ٧/ من ص ١ حتى ص١٧٥.

(٣) التيمي (ابي عبيده معمر بن المثنى) الخيل ـ دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ط١ ١٣٥٨ ص ٢-٣ يختصر إلى التيمي كتاب الخيل. حتي: تاريخ العرب ص٤٨.

(٤) سورة النحل الآية ٨

(٥) سورة الأنفال الآية ٦٠

(٦) ابن الكلبي (هشام بن محمد بن السائب) (انساب الخيل) تحقيق احمد زكي باشا- القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٦ يختصر إلى ابن الكلبي انساب الخيل ـ التيمي: كتاب الخيل.

والجدير بالذكر أن تربية الماشية في اليمن كانت ذات طابع حضاري وكانت تغلب فيها تربية الأبقار[1].

- **الصناعة**

بعد أن كان العربي يزدري الحرفة نجد أنها تطورت وعمل بها الأحرار والعبيد، وظهرت صناعات زيادة الإنتاج وتحسين نوعه، وانقسم المجتمع إلى أهل صناعة، وأهل زراعة، وأهل تجارة وبلغ المجتمع في ممارسة العمل لكسب العيش درجة صار عندها ناتج العمل يفيض عن حاجات العيش الفردي المباشر، وصار الإنتاج مبادلة للتجارة وليس للحاجة الضرورية، ومن هنا تكون التجارة في هذه المرحلة ظاهرة إيجابية تتفاعل إيجابياً مع العمل الإنتاجي.

ساعد على الصناعة وجود المعادن[2] فقد ذكر الهمداني أن الناس كانوا يجمعون التبر ويستخلصون منه الذهب من موضع بيشة أو بيش[3] وضنكان " وهو معدن غزير لا بأس بتبره[4] ". وتوفر الذهب في مأرب[5] وذمار وقد سميت بعض قرارها مثل سامة العليا وسامة السفلى والسام عرق الذهب[6].

ولوفرة الذهب في اليمن ذكره سيف بن ذي يزن عندما نثر دراهمه على خدم القصر وقال " **ما أصنع بالمال وتراب أرضي ذهب وفضة**[7]؟ "

هذا عليه صفة الأسطورة إلا أنه يدل دلالة أكيدة على وجود الذهب في تلك البلاد.

واشتهرت ديار بني سليم بوجود المعادن فيها ومن ضمنها الذهب[8].

وذكر الذهب من ضمن المعادن التي عرفتها اليمامة[9]. يقول: " معدن الحسن،

---

(١) بيتروفسكي: اليمن قبل الإسلام ص١٠٦

(٢) الهمداني: الصفة ص٢٩٩

(٣) بيش من بلاد اليمن قرب دهلك، ياقوت: معجم البلدان مادة بيش.

(٤) الهمداني: الصفة ص٢٥٩

(٥) ابن رستة (أبي علي احمد بن عمر) الأعلاق النفيسة ـ ليدن ١٨٩١ ص١١٣ يختصر إلى ابن رستة: الأعلاق النفيسة.

(٦) ياقوت: معجم البلدان مادة سامة وسام.

(٧) ابن هشام: السيرة ٦٥/١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٤٠/٢

(٨) الهمداني: الصفة ص٢٧٤

(٩) الهمداني: الصفة ص٢٩٩

والحسن قرن اسود مليح وهو معدن ذهب غزير، ومعدن الحفير بناحية عماية وهو معدن ذهب غزير، ومعدن الضبيب عن يسار هضب القليب ومعدن الثنية ثنية ابن عصام الباهلي معدن ذهب، ومعدن العوسجة من أرض غني فويق المغيرا ببطن السرداح ـ ومعدن شمام الفضة والصفر ومعدن تيس ذهب محف بتياس [1]........ ".

وذكر الهمداني أن الفضة كانت من جملة المعادن المعروفة في اليمن وموضعها بالرضراض وهو معدن لا نظير له[2]. واستخرج العقيق من اليمن[3].

وكان يغاص للؤلؤ في مياه شواطئ البحرين وقطر وعمان[4]. وتوفر الحديد في مضارب قبيلة سليم الواقعة إلى الشرق من يثرب المدينة[5]. ووجد أيضا بعدن وفي نجران[6] وقد أشير إلى أهمية الحديد ومنافعه في القرآن الكريم: بقوله تعالى: " وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس[7] ".

واشتهرت ظفار بجزعها وهو العقيق الذي فيه سواد وبياض تشبه به الأعين. قال امرؤ القيس[8]:

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

وكان عقد عائشة رضي الله عنها من جزع ظفار[9]. ولذلك أصبحت الصناعة كسلعة قائمة بذاتها موضوعة قيد التبادل ولها أسواق خاصة بها، مثال على ذلك ما ذكره المقدسي أن صعدة بلد (الركاد الجيدة والأنطاع الحسنة ومنها يرتفع آدم جيد[10]) ".

---

(١) الهمداني: الصفة ٢٩٩

(٢) الهمداني: الصفة ١٥٢-٣٦٤، البكري: معجم ما استعجم ٦٥٥/٢

بيتروفسكي: اليمن قبل الإسلام ص١٠

(٣) الهمداني: الصفة ص ٣٦٤. اعتبر العقيق اليماني فريداً من حيث عمق لونه الأحمر القاتم،

بيتروفسكي: اليمن قبل الإسلام ص١٠٩

(٤) المسعودي: مروج الذهب ١٦٨/١ ـ١٦٩، المقدسي: احسن التقاسيم ص١٠١

(٥) الهمداني: الصفة ٢٧٤ ـ٣٦٤

(٦) الألوسي: بلوغ الأرب ٢٠٤/١

(٧) سورة الحديد: آية ٢٥

(٨) ديوان امرؤ القيس ص٧٠

(٩) لسان العرب مادة جزع

(١٠) المقدسي: أحسن التقاسيم ٧٨

وحين قامت صناعة الأسلحة والأدوات الزراعية والأواني الفخارية في مكة ارتبطت مع سوق التبادل ففي حديث خباب بن الأرت "كنت قيناً في الجاهلية[1]". إن هذه الصناعة كانت متوفرة وقد ضربت العرب المثل بجودة ودقة صناعته ونسبت إليه[2].

وكان العاص بن هشام أخو ابي جهل والوليد بن المغيرة وهما من أشراف قريش حدادين[3].

أضف إلى ذلك أنه ارتبطت الحدادة بالزراعة في بعض الحواضر، وعمل بها أناس من العرب، واليهود والموالي، والعبيد، وإن كان الموالي والعبيد أكثر احترافاً لها كأبي سيف[4].

وبفضل جهود القيان صنعت غالبية أدوات الزراعة، ففي حديث خيبر " فخرجوا بمساحيهم ومقاتلهم[5] " دلالة على هذه الصناعة. وصنع العرب من الحديد الأسلحة والدروع.

واشتهرت اليمن بجودتها فقيل سيف يماني ودرع يماني. واشتهرت أيضاً بصناعة بعض أدوات القتال التي كان يلبسها الفرسان اليهود أثناء القتال كالمغافر اليمنية[6].

أضف إلى ذلك احتكار اليهود لصناعة الأسلحة والدروع في يثرب، ففي حديث الرسول (ص) أنه غنم كل ما لدى بني النضير من سلاح الحلقة والدروع[7]، كما غنم من بني قريظة الدروع[8].

والجدير بالذكر أن صناع الحلي من اليهود في خيبر استعملوا فصوص العقيق والجزع

---

(١) ابن هشام: السيرة ١/٣٨٣، البلاذري: انساب الأشراف ١/١٧٦ وما بعد ابن الأثير (عز الدين ابي الحسن علي بن أبي الكرم)، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢/٩٨ يختصر إلى أسد الغابة، لسان العرب مادة قين، جواد: المفصل ٧/٥٥٥

(٢) تاج العروس، مادة خبب.

(٣) ابن قتيبة (ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري) المعارف. طبعة دار الكتب المصرية وطبعة المطبعة الإسلامية بمصر الأزهر ١٣٥٣هـ١٩٣٤ م

(٤) أسد الغابة ١/٣٨-٣٩ لم يذكر من هو ابو سيف

(٥) ابن هشام السيرة النبوية ٣/٣٤٣ وينظر ابن كثير (إسماعيل أبي الفدا) البداية والنهاية تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي ط١ ١٩٨٨ ح٤ ص٢٠٩

(٦) سلام: النشاط التجاري في خيبر ص٢٣

(٧) البلاذري: فتوح البلدان ص٣١

(٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى لجنة نشر الثقافة الإسلامية القاهرة ١٣٥٨ ح٣ ص١١٧

في صناعة الحلي وخاصة الفتخ والقلائد[1] والنظم والخواتم وغيرها من أدوات الزينة التي كان اليهود في خيبر يتجرون فيها، فقد اختصوا بصناعة الجواهر وبيعها[2]، فقد كان بيع الجواهر من اختصاص اليهود في الجزيرة ومراكزها متوزعة إلا أن خيبر فاقتها جميعاً.

ونشطت صناعة الغزل والنسيج في جزيرة العرب ساعد على ذلك توفر الخامات المحلية والأيدي العاملة ونشاط الأسواق فاشتهرت اليمن ونجران بصنع الحلل والثياب الملونة، فقد ورد في صلح المسلمين مع أهل نجران أن يدفع هوءلا ء الأخيرين جزية سنوية منها ألف حلة في صفر، وألف حلة في رجب[3] وذكر الاخباريون أن كسوة الكعبة في الجاهلية كانت الأنطاع والمغافر فكساها الرسول (ص) الثياب اليمنية[4]. واشتهرت قطر بنوع من الثياب القطرية[5]. ولم تخل حواضر الحجاز من هذه الصناعة فكان مجمع الزاهد حائكاً[6] والعوام أبو الزبير، وعثمان بن طلحة، وقيس بن مخرمة خياطين[7].

واشتهرت الطائف بالدباغة فقد ذكر أن الطائف بلد الدباغ تدبغ بها الأهب الطائفية المعروكة[8]. وذكر الهمداني أن صعدة في اليمن موضع الدباغ في الجاهلية لوقوعها في بلاد القرظ[9].

ذكر الدينوري أن ورق الحلق بعد معالجته وتجفيفه في اليمن يحمل في البلاد لاستعماله في الصباغة[10]. وذكر الاصبهاني أن أم أبي جهل كانت عطارة تتاجر في العطور وتجلب لها من اليمن[11]. ولم تخل حواضر الجزيرة من النجارين فكان عتبة بن أبي

---

(١) سلام: النشاط التجاري في خيبر ص٢٣

(٢) جيورجيو (كونستانس) نظرة جديدة في سيرة رسول الله تعريب محمد التو نجي ط١ الدار العربية للموسوعات ـ بيروت ١٩٨٨ ص٣٢٨ يختصر إلى نظرة جديدة في سيرة رسول الله.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ص٧٦

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ص٥٩

(٥) ياقوت: معجم البلدان مادة قطر.

(٦) ابن قتيبة: المعارف ص٥٧٧

(٧) ابن قتيبة المعارف ص٥٧٧ ابن رستة الأعلاق النفيسة ص٢١٥ جواد: المفصل ١٢٥/٤

(٨) الهمداني: الصفة ص٢٦٠ ياقوت: معجم البلدان مادة طائف

(٩) الهمداني: الصفة ص٢٤٩

(١٠) دينوري: النبات والشجر ١٧١/٢

(١١) الاصبهاني: الأغاني ٦٤/١-٦٥

وقاص أخو سعد نجاراً. ولقد عمل أمية بن خلف بصناعة الأواني الفخارية[1]. وعرفت الجزيرة بعض الصناعات الغذائية فبنو سليم كانوا يبيعون السمن في أسواق المدينة[2] وكان أهل يثرب يستوردون معظم خمرهم من منطقة الحصون الخيبرية[3].

من دراسة الوضع الاقتصادي تبين التقدم في الزراعة ونشوء العديد من الصناعات، فقد تطورت القوى المنتجة وتوسعت أعمال الصناعة، وازداد الإنتاج وتكون فائض للتبادل وحدث تقسيم للعمل جديد، وانفصلت الحرفة عن الزراعة وارتبط الإنتاج الصناعي بسوق التبادل التجاري، ونظمت الأسواق الموسمية، وعقدت الاتفاقات التجارية، وارتبطت أعداد وفئات كثيرة بالعملية التجارية فإزداد العرب تقارباً وتآلفاً على أساس المصلحة المشتركة وتلاشت الملكية الجماعية، وحل محلها الملكية الخاصة، فكانت معظم الأراضي ملكاً للكبار والأثرياء، واستتبع التفاوت في الملكية والثروة تفاوتاً في المعيشة، وتمايزاً اجتماعياً بين أفراد القبيلة الواحدة فإنقسم أبناؤها الأحرار إلى أغنياء وفقراء إضافة إلى الانقسام الذي كان قائماً بين الأحرار والعبيد، وأصبح للمال الدور الأول في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فتفككت روابط المجتمع، وظهرت روابط جديدة على أساس من المصالح المشتركة والضرورات الدفاعية.

ثالثاً: البنية الاجتماعية

من الواضح أن النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لعرب الجاهلية هي حصيلة التفاعل بينهم وبين البيئة التي عاشوا فيها، فقد خضوا لشروط بيئتهم وكيفوا حياتهم الاجتماعية مع الظروف الطبيعية التي نشؤوا فيها.

وقد اتصفت ظروف معيشتهم بالقسوة والإملاق والسماء شحيحة بالمطر، والأرض صحراوية قاحلة محدودة الثروة، فقيرة الإنبات، والمناطق تجف واحدة تلو الأخرى. أما الواحات فهي على الأطراف.

---

(١) ابن قتيبة المعارف ص٥٧٥ ابن رستة: الأعلاق النفيسة ص٢١٥ شلتوت ط٢ ح١ ص٣٦ حاشية: سمهودي وفاء الوفا ٤٧/٢ وما بعد.

(٢) ابن شبة: أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري) تاريخ المدينة المنورة تحقيق فهيم محمد شلتوت ط٢ ح١ ص٣٦ حاشية.

(٣) سلام: النشاط التجاري في خيبر ص٢٧

لذلك اضطر السكان إلى التدرج من حياة النقلة الدائمة تبعاً للجفاف الدوري، إلى الاستقرار الدائم وبناء الحواضر في الواحات.

فالانتاج يحدد نوع الحياة وتتبدل شكل الحياة بتبدل شكل الإنتاج، حيث أوجبت هذه الظروف أن تكون حياة العرب في الجزيرة عبارة عن بدو وحضر، فالحضر سكان القرى والواحات والحواضر، والبدو سكان البادية، المتنقلون سعياً وراء العشب والماء.

الجغرافية القبلية

كان أعضاء المجتمع العربي باستثناء سكان اليمن المتحضرين مجتمعاً بدوياً انقسم فيه العرب إلى وحدات اجتماعية متعددة عرفت كل منها باسم القبيلة، وقد استعملت كلمة قبيلة بالمعنى العام الاصطلاحي لأنها اسم خاص لأحد أقسام المجتمع في عصر ماقبل الإسلام غلب على الأقسام الأخرى، فهناك ما هو أصغر وهناك ما هو أكبر وهي بالترتيب:

الجذم - الجماهير - الشعوب - القبائل - العمائر - البطون - الأفخاذ، العشائر - الرهط وهم رهط الرجل وأسرته، والرهط مادون العشرة والأسرة أكثر من ذلك[1].

على أن هناك ترتيبات أخرى في كتب علم الأنساب المختلفة وكتب التاريخ المختلفة[2]. وكانت تتوقف قوة القبيلة ومكانتها بين القبائل على عدد أفرادها ومواردها، فالقبيل الجماعة من آباء شتى وجمعه قِبَل، والقبيلة الجماعة المنتمية إلى أب واحد، وجمعها قبائل وقد قيل سميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها[3].

فالرابط الذي يربط أبناء القبيلة ويجمع شتاتها النسب الذي بواسطته حافظت القبيلة

---

(١) النويري " شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب) نهاية الأرب في فنون الأدب وزارة الثقافة والإرشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة ح٢ ص٢٧٧ يختصر إلى نهاية الأرب. جمعة (محمد محمود) النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٤٩ م ص٩ يختصر إلى جمعة: النظم الاجتماعية. عبد الحميد (سعد زغلول) تاريخ العرب قبل الإسلام - دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٦ ص٣٠٤ يختصر إلى سعد: تاريخ العرب قبل الإسلام.

(٢) ابن الكلبي (ابو المنذر محمد بن السائب) جمهرة النسب - دار اليقظة العربية ح١ ص٤٣٠ يختصر إلى ابن الكلبي النسب. ابن عبد ربه (احمد بن محمد) العقد الفريد تحقيق مفيد محمد قمحية - دار الكتب العلمية لبنان ح٣ ص٢٨٩ يختصر إلى ابن عبد ربه: العقد الفريد

الألوسي: بلوغ الأرب ١٨٨/٣ جواد المفصل ٣١٨/٤ برو: تاريخ العرب القديم ص٢٥٥

(٣) لسان العرب مادة قبل الألوسي: بلوغ الأرب ١٨٨/٣

على أواصر القربى.

قال تعالى: ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا [1])) وللقبيلة العربية دستور عرفي عام يشترك فيه كل أفراده يختصر في كلمة العصبية والثأر.

فالعصبية هي أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته ـ قومه الذين يتعصبون له[2]. والوقوف إلى جانبهم ظالمين كانوا أو مظلومين فشعارهم: " **انصر أخاك ظالما أو مظلوما**[3]".

وبتطور القوى المنتجة ـ وتلاشي الملكية الجماعية وظهور الملكية الخاصة - كما ذكر أثناء الحديث عن البنية الاقتصادية ـ تفتتت العصبية إلى عصبيات وظهرت عصبيات من نوع جديد مبنية على أساس المصلحة، كعصبية الأقارب وذوي الأرحام وعصبية القبيلة وعصبية الأحلاف وعصبية التقاليد والعصبية المحلية أو الإقليمية.

وكان الثأر نتاجاً طبيعياً للعصبية وامتداداً لها وهو يكمل الغرض نفسه في الحفاظ على كيان القبيلة عن طريق مقابلة الاعتداء عليها باعتداء يهدف القائمون به إلى أن يكون رادعاً، لأن الدم لا يغسل إلا بالدم، واعتبروا القبيلة التي لم تأخذ بثأرها ضعيفة وتسقط بين القبائل، فغاية أو مغزى الثأر عندهم حماية الحمى كقول الشاعر[4]:

ولكنني أحمى حماها وأتقي ... أذاها وأرمي من رماها بمنكب

وفي بعض الأحيان تقبل القبيلة دية عن القتيل تختلف باختلاف المكانة ولو أنها عند عامة القبائل مائة من الإبل، ودية الملوك والأشراف تصل إلى ألف بعير، ودية الصريح ضعف دية المولى أو المستلحق[5]، فإن دل هذا على شيء فإنه يدل على التمايز الاجتماعي بين فئات المجتمع.

أضف إلى ذلك اقتران فكرة الثأر بأوهام، فقد آمنوا أنه إذا قتل قتيل خرجت من رأسه

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣

(٢) لسان العرب مادة عصب

(٣) الميداني (أبي الفضل احمد بن محمد بن إبراهيم) مجمع الأمثال تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج٢ ص٣٣٤ يختصر إلى ميداني: مجمع الأمثال.

(٤) جواد: المفصل ج٤ ص٣٥٠ حاشية، يحيى (لطفي عبد الوهاب) العرب في العصور القديمة ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ط٢ ١٩٧٩ ص٣٧٠ يختصر إلى يحيى: العرب في العصور القديمة.

(٥) الاصبهاني: الأغاني ج٣ ص١٦٥، الألوسي: الأرب ج٣ ص٢٢ وما بعد شريف: مكة والمدينة ص٣٦

هامة تصيح على قبره إذا لم يدرك بثأره: اسقوني فإني عطش: فإذا أدرك بثأره سكتت[١].

كان النظام القبلي دعامة للحياة السياسية في الممالك والإمارات التي قامت في جنوب جزيرة العرب، وفي حواضر الحجاز، وفي الإمارات العربية على تخوم الشام والعراق. (ينظر مصور ٣-٨)

فلكل قبيلة مجلس من شيوخها يرأسه شيخ يختارونه من بينهم، ويشترطون في اختياره ست خصال منها الشجاعة والجود، والغيرة، وسعة الثروة وسداد الرأي وكمال التجربة مع كبر السن[٢].

هذه القبائل المتعددة كالدول على أنماط ودرجات، فالقبائل التي تستقل بنفسها، وتستغني عن غيرها دعيت الأرحى[٣] وهي ست قبائل " بمضر منها اثنتان ولربيعة اثنتان، ولليمن اثنتان، واللتان في مضر: تيم بن مرة، وأسد بن خزيمة. واللتان في اليمن، كلب بن وبرة ، وطيء بن أدد[٤].

والقبيلة التي تفرعت منها قبائل وبطون واستقلت بأسمائها، وصارت كأنها جسد قائم، وكل عضو مكتف باسمه معروف بموضعه أطلق عليه لفظ الجمجمة[٥].

وقد قيل إن جماجم العرب ثمان " فاثنتأن منها في اليمن، واثنتان في ربيعة وأربع في مضر[٦].

وأما القبائل التي تجمعت على نفسها فلم تدخل مع غيرها في أحلاف قبلية، فقد سميت الجمرة، والجمرة اجتماع القبيلة الواحدة على من ناوأها من سائر القبائل[٧].

وجمرات العرب أربعة بنو نمير بن عامر بن صعصعة، بنو الحارث بن كعب، بنو

---

(١) الاصبهاني: الأغاني ١٠٥/٣ حاشية، الألوسي: بلوغ الأرب ح٢ ص٣١٠

(٢) بلاشير (د. ر) تاريخ الأدب العربي - ترجمة إبراهيم الكيلاني - دار الفكر ط٢ دمشق ١٩٨٤ ص٤٠ حتي: تاريخ العرب ص٥٧: شريف: مكة والمدينة ٢٥ حسن: تاريخ الإسلام ح١ ص٦٢

(٣) لسان العرب مادة رحا، جواد: المفصل ح٤ ص٣٣٢

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد ح٣ ص٢٨٩

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد ح٣ ص٢٨٩

(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريدة ح٣ ص٢٨٩

(٧) لسان العرب مادة جمر: جواد: المفصل ح٤ ص٣٣٢

ضبة، كعب بن بغيض[1]. فطفئت جمرتان بنو ضبة لأنها صارت إلى الرباب فحالفتها، وبنو الحارث لأنها صارت إلى مذحج فحالفتها[2].

ومن القبائل الرضفات وهي أربع عرفت بشدتها وبأسها كشيبان وتغلب وبهراء وإياد[3].

أما سليم وهوازن من قيس عيلان، وغطفان وأعصر ومحارب بن خصفة، فقد عرفت بأثافي العرب[4]. والأثافي العدد الكثير والجماعة من الناس[5].

والجدير بالذكر أن القبيلة ضمت الكثير من العناصر كالصرحاء، وهم الفئة الممتازة التي لها الصدارة في القبيلة، والمركز المرموق، وهم أصل القبيلة الذين يجمعهم نسب واحد ودم مشترك لم تلحقه هجنة[6].

والموالي هم أنواع: مولى اليمين الحليف، ومولى الدار الجار، ومولى النسب ابن العم[7]. ودخل في إطار الموالي العتقاء وهم الذين كانوا في الأصل عبيداً ثم أعتقوا، وارتبطوا بالسيد برابطة الولاء[8].

والرقيق وهي الفئة الدنيا في القبيلة وعلى نوعين إما رقيق أبيض وإما رقيق أسود لا يملكون أية وسيلة للإنتاج، بل هم أنفسهم مملوكون يعملون في خدمة الأرستقراطية البدوية والحضرية وأثرياء التجار.

فساء وضعهم وفرض عليهم من الواجبات ما أرهق كاهلهم، وأهدر إنسانيتهم، فقد كانوا يبتاعون ويتهادون ويتوارثون مثل سائر الأمتعة، وقد يخرجون العبيد في جملة صداق

---

(١) ابن حبيب: المحبر ص٢٣٤ ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٣ ص٣١٨ البغدادي: سبائك ص١٧٢ لسان العرب مادة جمر تاج العروس مادة جمر جواد: المفصل ج٤ ص٣٣٢-٣٣٣

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٣ ص٣١٨-٣١٩ البغدادي: سبائك ١٧٢ جواد: المفصل ج٤ ص٣٣٣

(٣) ابن حبيب: المحبر ص٢٣٤، جواد: المفصل ج٤ ص٣٣٤

(٤) ابن حبيب: المحبر ص٢٣٤، جواد: المفصل ج٤ ص٣٣٤

(٥) لسان العرب: مادة اثف.

(٦) الهجين ابن الأمة لسان العرب مادة هجن

(٧) الضبي (المفضل بن محمد بن يّعلي) المفضليات ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ـ مطبعة الأباء اليسوعيين - بيروت ١٩٢٠ ص٦٥٤ يختصر إلى المفضليات، جواد: المفصل ج٤ ص٣٦٨.

(٨) لسان العرب مادة ولي، ضيف (شوقي) العصر الجاهلي ـ دار المعارف بمصر ص٦٧ يختصر إلى ضيف: العصر الجاهلي، سالم: تاريخ العرب ص ٤٣٦

العرائس[1].

وليس لهم الحق في الزواج إلا بإذن السيد على أن يتزوج عبدة مثله، ولم يكن من السائغ أن يقتص حر بعبد فإذا قتل أحدهم عبداً فلا يجوز أن يقتل به ويقتل العبد بالحر طبعاً[2].

كانت مصادر الرقيق في الجاهلية من السبي والنخاسة وعبودية الدين، وقد عرف تجار الرقيق بأسم النخاسين كان منهم عبد الله بن جدعان[3]. فمع نمو الحركة التجارية واستفحال الربا والاستثمار الربوي كان عدد العبيد يتزايد، فقد استخدموا في أعمال إنتاجية، وفي أنواع الحرف، وكمحاربين لصالح أسيادهم وكحماة وحراس للقوافل التجارية الخاصة بالأغنياء، وفي أعمال الخدمة البيتية في منازل أثرياء التجار والمرابين ووجهاء القبائل.

ومن عناصر القبيلة المستلحقون حيث كانت القبيلة تستلحق شخصاً ما بنسبها، وتجعله في حمايتها ورعايتها، واستلحقه أي ادعاه، والملحق الدعي والملصق[4]، أي المنسوب إلى غير أبيه وعشيرته[5].

وضمت القبيلة بعض الأفراد بالجوار، وامتدحت العرب بالذبّ عن الجار، وقالت فلان منيع الجار، حامي الذمار كقول الشاعر[6]:

هم يمنعون الجار حتى كأنه ... كثيبة[7] زور بين خافيتي نسر

وكانت المؤاخاة كعقد بين الأفراد أو بين الجماعات كالعشائر والقبائل وهي تدعو إلى التناصر والمؤازرة والمساعدة.

---

(١) خليل (أحمد خليل) مضمون الأسطورة في الفكر العربي - دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ط١ حزيران ١٩٧٣ص ٨٣ يختصر إلى مضمون الأسطورة في الفكر العربي.

(٢) دروزة (محمد عزة) عصر النبي وبيئته قبل البعثة ط٢ دار اليقظة العربية بيروت ١٩٦٤ ص٣٨٣ يختصر إلى دروزة عصر النبي.

(٣) تاج العروس مادة نخس، حسن (إبراهيم حسن) النظم الإسلامية ط١ مكتبة النهضة المصرية ١٩٣٩ ص٣٦٠ يختصر إلى حسن النظم الإسلامية.

(٤) لسان العرب مادة لحق.

(٥) لسان العرب مادة دعا.

(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج١ ص١٢١ -١٢٢.

(٧) كثيبة: مجتمعة لسان العرب مادة كثب

قال تعالى: ((هارون أخي أشدد به أزري[1])) وهي تضارع الأخوة الطبيعية القائمة على علاقة الدم وتصبح هذه مؤشراً نحو التماسك[2].

وضمت القبيلة الخلعاء والصعاليك، فإذا سلك الفرد سلوكاً شائناً يسئ إلى سمعة القبيلة، ويجلب عليها العار نبذته القبيلة، وأخرجته منها مفضلة التضحية بفرد بدلاً من جماعة[3]. وعندئذ يلجأ إلى قبيلة أخرى فيعتبر جاراً لها أو مولى من مواليها، أو يلجأ إلى الصحراء ويعيش على قائم سيفه وحد نصله، ويصبح صعلوكاً من صعاليك العرب، أو مغامراً ليتخلص من شقاء الفقر، فالصعلوك الفقير الذي لا مال عنده ولا اعتماد له على شيء أو أحد يعينه على شق طريقه في الحياة[4].

حواضر العرب

عاش المجتمع العربي حياة بدوية باستثناء سكان اليمن المتحضرين، وبما أنه تم التعرف على النظام البدوي، فلا بد من التعرف على النظام الآخر المتحضر.

وقد توضح أن المعينيين مؤسسو التمدن في اليمن حيث قسمت اليمن إلى أربعة وثمانين مخلافاً[5].

عرف رئيس المخلاف باسم قَيْل أو أمير[6]، وكان المخلاف مؤلفاً من عدة محافد ويعرف رئيس المحفد باسم ذو وجمعها أذواء أي مشايخ والمحفد مؤلف من قصور أشهرها

---

(١) سورة طه ٣٠-٣١

(٢) يحيى: العرب في العصور القديمة ص٣٦٩

(٣) لسان العرب مادة خلع، برو: تاريخ العرب ص ٢٦٠

(٤) لسان العرب مادة صعلك، خليف (يوسف) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر ١٩٥٩ ص ٢١ يختصر إلى خليف: الشعراء الصعاليك.

(٥) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح) تاريخ اليعقوبي دار صادر بيروت ج١ ص٢٠١ يختصر إلى تاريخ اليعقوبي، المقدادري (درويش) تاريخ الأمة العربية، مطبعة الحكومة بغداد ١٩٣٩ ص١٤ يختصر إلى مقدادي تاريخ الأمة العربية.

(٦) والمخلاف والمخاليف بمنزلة الكور والرساتيق ياقوت مادة مخلاف، ولكل مخلاف اسم يعرف به وهو قبيلة من قبائل اليمن اقامت به وعمرته فغلب عليه اسمها. ياقوت ج١ ص٣٧ مقدمة.

الأقيال ملوك باليمن دون الملك الأعظم واحدهم قيل يكون ملكا على قومه ومخلا فه ومحجره. لسان العرب مادة قول.

غمدان وناعظ وصرواح وسلحين وأظفار وسبأ[1].

وفيها قال الشاعر:[2]

هل بعد غمدان أو سلحين من أثر   وبعد بينون يبني الناس بنيانا

إذ لا نظير لهذه القصور في عظمة البناء وفخامته، يقال: " تفاخرت الروم وفارس بالبنيان، وتنافست فيه، فعجزوا عن مثل غمدان ومأرب، وحضرموت وقصر مسعود، وسد لقمان وسلحين وصرواح، ومرواح وبينون، وهندة وهنيدة، وفلثوم[3] ".

ولعل قصر غمدان أقدمها وأعجبها ذكراً وأبعدها صيتاً أبدع الإخباريون في وصفه وتصويره[4] قال الشاعر:[5]

وغمدان الذي حدثت عنه   بناه مشيداً في رأس نيق

بمرمره وأعلاه رخام   تحام لا يغيب بالشقوق

مصابيح السليط يلحن فيه   إذا يمسي كتو ماض البروق

فأضحى بعد جدته رماداً   وغير حسنه لهيب الحريق

وأقدم الدول العربية التي قامت في اليمن الدولة المعينية ورد ذكرها في المصادر اليونانية والرومانية، أما المصادر العربية فلم تذكر غير بلدتي معين وبرا قش كونهما محفدين من محافد اليمن وقصورها القديمة[6].

ظهرت الدولة المعينية في الجوف أي في المنطقة السهلة الواقعة بين نجران وحضرموت[7]، واشتغل سكانها بالتجارة وسيطروا على الطرق التجارية بين الشمال

---

(١) زيدان: تاريخ العرب ص١٤٨، الهمداني: الصفة ص٣٦٥

(٢) ابن الفقيه الهمداني: كتاب مختصر البلدان ليدن ١٨٨٥ ص٣٥ يختصر إلى ابن الفقيه الهمداني مختصر البلدان وينظر ياقوت معجم البلدان مادة غمدان.

(٣) ابن الفقيه الهمداني: مختصر البلدان ص٣٤

(٤) الهمداني: الإكليل ٨/٣-١٢ ـ٢١

(٥) ياقوت: معجم البلدان مادة غمدان

(٦) الهمداني: الصفة ص٢٦٥، الإكليل ٨/١٠٥.

ياقوت: معجم البلدان مادة معين

(٧) سالم: تاريخ العرب ص١٢٠

والجنوب ولم يلبث نفوذهم السياسي أن وصل إلى شمال الحجاز، فخلال الألف الأولى قبل الميلاد كان الجزء الأعظم من التجارة العالمية في بلاد العرب واقعاً في يد السبئيين والمعينيين الذين كانوا يسيطرون على الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية ـ وكان السبئيون والمعينيون أبناء جنس واحد. ولكنهم كانوا يتنافسون السيادة لا في بلادهم فحسب بل في الواحات التي تمر بها الطرق التجارية أيضاً.

فكانت تقيم في كل واحة من الواحات المهمة التي تقع على طول الطريق التجاري جالية من عرب الجنوب، وكان يقيم مع هذه الجالية مقيم من أهل الجنوب كذلك، وكانت مهمته الإشراف على ملوك الإقليم ورؤسائه ومراقبتهم لكي لا يفعلوا شيئاً من شأنه أن يضر بمصالح سيده السبئي أو المعيني الذي قد يكون على رأس المملكة الجنوبية السبئية أو المعينية تبعاً لاختلاف العهود[1].

وسكن في الطرف الجنوبي الغربي من بلاد اليمن إلى الجنوب من بلاد السبئيين وعلى تخوم حضرموت القتبانيون[2] فقد ذكر ياقوت أن قتبان موضع في نواحي عدن[3].

وبالطبع أفاد القتبانيون من موقع بلادهم الجغرافي بجوار باب المندب اشتغلوا بالتجارة وجنوا من وراء ذلك أرباحاً ضخمة، وأصبحت لهم قوة عظيمة كان لها أعظم الأثر في القضاء على نفوذ المعينيين[4].

وإلى الشرق من اليمن على ساحل بحر العرب تقع حضرموت " ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف[5]" قامت فيها دولة كانت تعاصر دولة معين وسبأ وقتبان ثم اندمجت فيما بعد في مملكة سبأ وريدان على أيام شمريهرعش الذي تلقب بلقب ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات وميفعة[6].

واستغل السبئيون ضعف المعينيين ووسعوا نفوذهم إلى أن قضوا على الدولة المعينية

---

(١) موسل (١٠) شمال الحجاز نقله إلى العربية عبد المحسن الحسيني مؤسسة الثقافة الجامعية ص١ ـ يختصر إلى موسل ـ شمال الحجاز.

(٢) سالم: تاريخ العرب ص١٢٥

(٣) ياقوت: معجم البلدان مادة قتبان

(٤) سالم: تاريخ العرب ص١٢٨

(٥) ياقوت: معجم البلدان مادة حضرموت

(٦) الهمداني: الإكليل ٩٤/٨

وأقاموا دولتهم على أنقاضها واشتغلوا بالتجارة فنمت دولتهم وازدهرت إلى أن قام نزاع حول العرش السبئي كان له أعظم الأثر في تخريبها ودمارها، فأفاد من هذا النزاع الحميريون إلى أن تمكنوا من انتزاع العرش[1]. (ينظر مصور رقم ٦-٧)

برز الحميريون على مسرح الأحداث في بلاد العرب الجنوبية وانقسم عهدهم إلى عهدين الأول من ١١٥ ق.م حتى ٣٠٠ م مؤسس هذه الدولة الشرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان[2].

وقد كان لهذه الدولة شأن يذكر في عالم التجارة الأمر الذي جعل الرومان يسيرون حملة اليوس جالوس سنة ٢٤ ق.م للاستيلاء على اليمن بغية السيطرة على طرق التجارة التي كان يحتكرها ملوك سبأ واستغلال ثروات اليمن[3].

إلا إن هذه الحملة باءت بالإخفاق واقتصر الرومان على السيطرة على الطريق التجاري البحري وإقامة علاقات ودية مع حكومة الحبشة، وقد أضر ذلك باقتصاديات اليمن أضراراً بالغة وبدأ الضعف يدب في كيان دولة سبأ وذي ريدان[4]. وكان آخر ملوكهم ناشر النعم أو ناشر ينعم[5].

ويبدأ العهد الثاني للدولة الحميرية من ٣٠٠ م ـ ٥٢٥ م لقب ملوكها بملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات[6] مؤسس هذه الدولة شمر يهر عش أو تبع الأكبر الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بقوله: ((أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ[7])) والملاحظ أن هذه الفترة هي التي تدخل ضمن الدراسة هذه.

كان لهذا الملك أو التبع أعمال حربية منها أنه سير حملة عسكرية إلى جملة قبائل

---

(١) سالم: تاريخ العرب ص١٣٩.

(٢) سالم: تاريخ العرب ص١٤٠

(٣) حتي: تاريخ العرب ص٧٦ ـ ٧٧، جواد: المفصل ٤١٧/٢ وما بعد سالم: تاريخ العرب ص١٤١

(٤) سالم: تاريخ العرب ص ١٤٢

(٥) الأصفهاني (حمزة بن الحسن) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ص١٠٠ يختصر إلى الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء وينظر ابي الفدا (عماد الدين إسماعيل) المختصر في اخبار البشر مكتبة المتنبي القاهرة ح١ ص٦٧، يختصر إلى أبي الفدا: المختصر في اخبار البشر.

(٦) جواد: المفصل ح٢ ص٥٤٨، حتي: تاريخ العرب المطول ص٧٩، حسن: تاريخ الإسلام ٢٨/١

(٧) سورة الدخان الأية ٣٧.

عسير وتهامة حتى ساحل البحر فانتصرت الحملة عليها وتعقبت القبائل في البحر وأنزلت بها خسائر فادحة[١].

أدت فتوحات شمر يهر عش في هذه الأرضيين التي بلغت سواحل البحر الأحمر إلى دخوله في نزاع مع الحبش الذين كانوا يحتلون مواضع من الساحل ويؤيدون بعض القبائل لوجود أحلاف عقدوها معها[٢].

وتبين من نص النمارة أن ثمة حروباً نشبت بين شمهر يهر عش وامرئ القيس كان النصر فيها لامرئ القيس[٣].

مما يعني أن جزيرة العرب كانت في أوائل القرن الرابع للميلاد ميداناً للتسابق بين رجلين قويين.

غزا الأحباش اليمن في عهد خليفة شمر يهر عش يريم يرحب كرد فعل للغزو للذي قام به ملوك حمير للسواحل الشرقية للحبشة[٤]. ففر ملك حمير وأبناؤه إلى يثرب[٥]. مركز اليهودية في الجزيرة العربية، وتأثروا باليهودية في الوقت الذي كان يعمل فيه الأحباش والبيزنطيون على نشر الدين المسيحي[٦]. وسيبحث هذا كله في فصول قادمة.

وانشغل ملك الحبشة بإخماد بعض الثورات في مملكته، فتمكن اليمنيون من استرداد البلاد وطرد الأحباش والعودة إلى البلاد ناشرين الدين اليهودي، وفيما بعد نجد غزواً حبشياً ثانياً لليمن وسقوط الدولة الحميرية الثانية في يد الأحباش[٧]. ومن بعدهم الفرس إلى أن قام الإسلام[٨].

توضح حسب ما جاء من أن المعنيين مؤسسو التمدن في اليمن، وأن قيام الدولة خطوة متقدمة بالنسبة إلى نظام القبيلة ففي ظلها توافرت إمكانات مالية وبشرية وإدارية وفنية

---

(١) جواد: المفصل ٢/٥٤١-٥٤٢. سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص١٤٥.

(٢) جواد: المفصل ٢/٥٤٢

(٣) ديسو: العرب في سوريا قبل الإسلام ص٣٣، وينظر: جواد: المفصل ٢/٥٤٩

(٤) سالم: تاريخ العرب ص١٤٧

(٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ١/٩٧، سالم: تاريخ العرب ص١٤٧

(٦) ينظر في فصل سياسة الأحباش في شبه جزيرة العرب، وفصل الديانات

(٧) ينظر في فصل سياسة الأحباش في اليمن.

(٨) ينظر في فصل سياسة الفرس في الجزيرة العربية.

لتنشيط التجارة وتنمية الزراعة، وتنفيذ بعض المشاريع العمومية الكبرى الإنتاجية والخدمية وتنفيذ شبكة واسعة من السدود لحفظ المياه.

أضف إلى ذلك أن قيام الدولة ضرورة تاريخية لنظام طبقي يقوم على الملكية الخاصة والاستقلال والتفاوت في توزيع الثروة والتمايز الاجتماعي لحماية هذا النظام وتعزيزه، فقد عملت الأسر المالكة على تنمية مصالحها عن طريق الاستيلاء على أراضي ومواشي وممتلكات الأقوام والقبائل المعادية لها أو المتمردة على سلطانها، وفرض الجزى عليها مما أثر على اقتصاد البلاد وأهاليها ومدنها وقراها وأضعف الدولة وأطمع الغزاة الأجانب بأراضيها وثرواتها.

وفي أطراف المنطقة الشمالية قامت إمارتا الغساسنة والمناذرة اللتين شغلتا دوراً هاماً في الصراع بين فارس وبيزنطة، وكلاهما من القبائل التي هاجرت على أثر خراب سد مأرب[1]. ينظر مصور رقم (٣-٨)

سكن قسم من الغساسنة باليرموك والجولان، وغوطة دمشق وأعمالها، وسكن قسم آخر بالأردن من أرض الشام[2].

أول ملوك الغساسنة جفنة بن عمرو مزيقياء، وآخرهم جبلة بن الأيهم[3].

بينما أقام المناذرة على شاطئ الفرات الأيمن على مقربة من الكوفة[4]، أول ملوكهم مالك بن فهم[5]، وآخرهم المنذر المغرور[6].

وقامت في وسط الجزيرة إمارة كندة تحت حكم زعيمها حجر آكل المرار[7]. وكان لها دور هام في الصراع حول الجزيرة العربية. وقد خضع لها الكثير من القبائل العربية الشمالية.

---

(١) المسعودي: مروج الذهب ١٧٠/٢ وما بعد

(٢) المسعودي: مروج الذهب ١٧٤/٢. جميلي: محاضرات في تاريخ العرب ١٣٠ عاقل: تاريخ العرب ١٥٤.

(٣) أبي الفداء: المختصر في أخبار البشر ٧٢/١ - ٧٣

(٤) سيديو (ل.ا) تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر ١٩٤٨ - دار إحياء الكتب العربية ص٤٢ يختصر إلى سيديو: تاريخ العرب، عاقل: تاريخ العرب ص١٥٩، جميلي: محاضرات في تاريخ العرب ص١٣٣، حسن: التاريخ الإسلامي ص٦٢.

(٥) تاريخ اليعقوبي: ٢٠٣/١ - ٢٠٤، ابي الفداء: المختصر في أخبار البشر ٧١/١- ٧٢

(٦) عاقل: تاريخ العرب ص١٨٨.

(٧) جانار (اولندر) ملوك كندة - ترجمة عبد الجبار المطلبي - المكتبة الوطنية بغداد ١٩٧٣ ص٧٠ يختصر إلى جانار: ملوك كندة.

وهكذا فالممالك العربية التي عرفتها البلاد كانت في معظمها من أعمال العرب الجنوبيين، أو عرب اليمن سواء كانت في جنوب الجزيرة أو في شمالها.

وكان العرب أقساماً الأول ملوك متوجون إلا أنهم يرجعون إلى سلطان أعظم منهم، والثاني ملوك متوجون لكنهم في الحقيقة غير مستقلين، وقسم رؤساء عشائر لهم ما للملوك من الحكم والامتياز، إلا أنهم ليسوا أرباب تيجان وهؤلاء قد يكونون على تمام الاستقلال وقد تكون لهم تبعية لملك متوج فالملوك المتوجون ملوك اليمن.

والجدير بالذكر أن العرب على عكس ما يظهر من أنهم كانوا يحيون حياة منعزلة في بواديهم وصحراواتهم، فقد عرفوا حياة الحضارة المتفتحة على العالم الخارجي بفضل العلاقات التجارية الواسعة الكبرى، وبفضل العلاقات السياسية والحربية مع الدول العظمى التي أحاطت ببلادهم.

ولعل عرب الحجاز لم يعرفوا الممالك والدول مثل إخوانهم في اليمن والعراق والشام لأن محافظتهم على عروبتهم وبداوتهم وما تمثله من الصفات والسجايا هي التي ميزتهم على إخوانهم الذين أصابتهم حضارة الفرس والرومان.

الفصل الثاني

سياسة دولة الأحباش
"اتجاه جزيرة العرب"

١) حملة أبرهة على اليمن

من الطبيعي لمن يتكلم عن سياسة دولة الأحباش تجاه جزيرة العرب أن يتعرض لسياسة بيزنطة، وذلك لأن الأحباش كانوا حلفاء للبيزنطيين، وشركاءهم في الدين، وحيث أن بيزنطة عجزت عن وضع قدمها في جنوب الجزيرة العربية فقد رأت من جهة أخرى أن التقرب من الأحباش وتوثيق الصلات معهم، يحقق لها ما أرادت، فتضرب من جهة مملكة حمير التي اتسعت في جنوب بلاد العرب، وتبعد الفرس من جهة أخرى عن

منطقة هامة، و "أكثر اتصالا بالعالم الخارجي[1]، وتكسب الأحباش إلى جانبها ذلك أن قرب البلدين من بعضهما جعل البلاد العربية مطمعا سهلا للأحباش. (ينظر مصور رقم ٦)

وعلى الرغم من الاعتقاد بأن الحبشة كانت في الأصل جماعات عربية يمنية، كانت تعيش على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية شرقي حضرموت، ثم هاجرت غرباً، وعبرت مضيق باب المندب، واستوطنت المناطق المقابلة لليمن على ساحل البحر الأحمر من القارة الإفريقية[2]. إلا أنها سرعان ما أسست أكسوم عاصمة لملكتها، ثم ازدهرت في القرن الثالث الميلادي، وأخذت تمد نفوذها، وسيطرتها على المناطق المجاورة لها في الشمال والجنوب والشرق.

وفي هذه المرحلة التوسعية، دخلت إليها المسيحية عن طريق بعض المبشرين في القرن الرابع[3]. ثم أصبحت المسيحية الدين الرسمي للبلاد.

ولم يمض عشر سنوات على انتشار المسيحية في الحبشة، حتى كان المبشرون المسيحيون يقومون بنشر المسيحية في اليمن، بإيعاز من الروم الذين بثوا جماعات من المبشرين، أرسلوهم من الحبشة، ومن الشام، ومن العراق، ومن أماكن أخرى.[4]

أخذت النصرانية تنتشر في اليمن إلى أن كان عام ٣٤٠ م في عهد النجاشي الأعميدا، قام الحميريون بغزو السواحل الشرقية للحبشة، وهاجموا التجار هناك فرد النجاشي على هذا بغزو مماثل لليمن متذرعاً بأسباب دينية ولكن كان في الحقيقة لأسباب اقتصادية، بغية انتزاع السيادة التجارية من اليمنيين، فالنجاشي الأعميدا كان آنثذوثياً ولم يكن قد اعتنق المسيحية بعد[5].

أكد ذلك جواد علي نقلاً عن كلا سر بقوله: " إن هذا الغزو كان جواباً من الحبشة

---

(١) هل (ي) الحضارة العربية ترجمة إبراهيم أحمد العدوي وحسين مؤنس مكتبة الانجلو المصرية ص٦ يختصر إلى هل: الحضارة العربية.

moscati (sabatino): histoire et civilisation daspeuples semihiues paris ١٩٥٤,p,٢١٢,٢١٣,٢١٤ drief moscatj histojre et chvhlisation

(٢) ترسيسي (عدنان) اليمن وحضارة العرب. منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ص١٩ يختصر إلى ترسيسي اليمن وحضارة العرب.

(٣) هل: الحضارة العربية ص٧ وينظر حتي: تاريخ العرب ص٩١

(٤) سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص١٤٧

(٥) جواد: تاريخ العرب ١٤٩/٣٣، العلي: محاضرات ٢٨/١، سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ١٤٦، جميلي: محاضرات ٨٤

على الغزو الذي قام به ملوك سبأ، وذو ريدان من قبل على السواحل الإفريقية وعلى الأرضيين التابعة لمملكة أكسوم في نهاية القرن الثالث، وبداية القرن الرابع للميلاد، ولعله حوالي سنة ٣٠٠ م أما غزو الحبشة لليمن. فكان على رأيه حوالي سنة ٣٤٥ م[١] ".

إذاً كانت الحبشة تسعى لتأديب الحميريين الذين كانوا يتحرشون بقوافلها التجارية في البحر الأحمر[٢]. فقد ذكر أن ملك حمير كان قد أمر بقتل التجار الروم الذين كانوا في بلاده، وبنهب أموالهم انتقاماً من الروم الذين أساؤوا في بلادهم معاملة اليهود، واضطهدوهم فتجنب الروم الذهاب إلى اليمن، أو إلى الحبشة، أو إلى المناطق القريبة من حمير، فتأثرت التجارة مع الحبشة، وتضرر الأحباش، فعرض النجاشي على ملك حمير عروضاً لم يوافق عليها، فوقعت الحرب[٣].

كانت هذه الحملة بمثابة حملة استطلاعية مهدت السبيل للحملات التي أتت بعدها.

تم هذا الغزو في عهد يريم يرحب بن شمر يهر عش ملك حمير، فمنذ ذلك الحين تلقب ملك أكسوم بلقب ملك أكسوم وذي ريدان، وحبشت وسبأ وتهامة، وغير ذلك من ألقاب[٤]. وفر ملك حمير إلى يثرب[٥]، مركز اليهودية، في الوقت الذي نجد فيه الأحباش يشجعون على نشر المسيحية في اليمن فيقوم المبشرون بالدعوة لها في العربية الجنوبية، وينجح الراهب فيميون في تنصير عدد كبير من سكانها ويؤسس كنيسة في نجران[٦].

---

(١) جواد: تاريخ العرب ١٤٩/٣ نقلاً عن كلا سر

(٢) جواد: تاريخ العرب ١٨٩/٣ - ١٩٠ - وينظر ولفنسون: تاريخ اليهود ٤٦.

(٣) جواد: تاريخ العرب ١٨٩/٣ - ١٩٠ وينظر ولفنسون: تاريخ اليهود ص٤٦.

(٤) موسكاتي (سبنيتو) الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر دار الرقي - بيروت ١٩٨٦ ص٢١٥ يختصر إلى موسكاتي: الحضارات السامية القديمة - شيخو (لويس النصرانية وآدابها - مطبعة الأباء اليسوعيين بيروت ١٩١٢ ح١ ص٦١-٦٢-٦٣ يختصر إلى شيخو: النصرانية وآدابها. جواد: تاريخ العرب ١٥٢/٣: نافع: عصر ما قبل الإسلام ص٨٣.

ترسيسي: اليمن وحضارة العرب ص١٩، جميلي: محاضرات ص٨

(٥) تاريخ اليعقوبي ١٩٧/١.

(٦) وهب بن منبة: التيجان في ملوك حمير دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ط١ ١٣٤٧ ص٣٠١ ابن هشام: السيرة النبوية ٣٢/١ وما بعد. الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١١٩/٢ وما بعد السهيلي: الروض الأنف ٤٥/١ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٢٦/١ المقدسي: البدء والتاريخ ١٨٢/٣ وما بعد ابن كثير: البداية والنهاية ٢٠٦/٢-٢٠٧ وينظر فصل الدين والصراع الدولي.

ولم يطل أمد الاحتلال الحبشي لليمن. ففي عهد الملك الأكسومي عيزانا الذي اعتنق المسيحية كدين للدولة الحبشية، قامت بعض الثورات في مناطق أفريقية في مملكته، فانتهز اليمنيون فرصة انشغاله بإخماد هذه الثورات، ونصب ملكيكرب يهآمن نفسه ملكاً على العربية الجنوبية وتلقب بملك " سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات "(١).

كان ذلك في عام ٣٧٠ أو ٣٧٨ حيث فقدت المسيحية بخروج الأحباش سنداً قوياً لها.

وفي عام ٤٤٩ م في عهد شرحبيل يعفر، تم ترميم سد مأرب إلا أن هذا العمل لم يجد نفعا، فقد تشعث السد بعد ترميمه بعام واحد في سنة ٤٥٠ م أو ٤٥١ م، وأدى ذلك إلى فرار جماعات كبيرة من سكان هذه المنطقة إلى الجبال، فقام الملك شرحبيل من جديد ببناء السد(٢) وسجل هذه الأعمال في نقش طويل تضمن فيما تضمنه عبارة تدل على انتشار عقيدة التوحيد في زمنه نصها " بنصر وردا الهن بعل سمين وأرضن " أي بنصر وبعون الاله سيد السماء والأرض وهو تعبير لا يتفق مع الديانتين المسيحية واليهودية(٣).

ثم تعاقب على حكم اليمن ملوك ليس لهم أعمال هامة، حتى جاء ذو نواس(٤)، آخر ملوك حمير، ويسجل نهاية حكمه سقوط الدولة الحميرية في أيدي الأحباش حتى عام ٥٧٥ م(٥).

فقد انتزع العرش من معد يكرب، وجعل من اليهودية الديانة الرسمية لحمير، وبالوقت نفسه تغير الاتجاه السياسي لملكة حمير، فاليهودية المضطهدة في بيزنطة، والتي تمتعت بالتسامح في إيران، ربطت الملك الجديد بالاتجاه الساساني، كضرب لإحلال التوازن مع النفوذ البيزنطي.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٢٠٨/٢ حاشية، نيلسن: التاريخ العربي ص٣٠٢ جواد: المفصل ٦٥٩/٢ جميلي: محاضرات ص٨٥ ترسيسي اليمن وحضارة العرب ص١٩ أرياني: نقوش مسندية ١٨٢.

(٢) جميلي: محاضرات ص٨٦

(٣) جواد: تاريخ العرب ١٥٨/٣

سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ١٤

(٤) اسمه ذو نواس في المصادر العربية، ودومنوس في المصادر البيزنطية ومسروق في المصادر السريانية، بر صوم: مقالات ٤٦.

(٥) موسكاتي: الحضارات السامية القديمة ص١٩٣ نيلسن: يتلف وغيره ترجمة فؤاد حسين، التاريخ العربي القديم شيخو: النصرانية وآدابها ص٦٠ فخري (أحمد) اليمن ماضيها وحاضرها جامعة الدول العربية ١٩٥٧ ص١٩ ٥٤ يختصر إلى فخري اليمن ماضيها وحاضرها نافع: عصر ما قبل الإسلام ص٦٢ مقدادي: تاريخ الأمة العربية ص١.

تحكي المصادر السريانية أن التجار من البيزنطيين والغساسنة، والأثيوبيين تعرضوا للنهب والفتك بحياتهم في خضم الأحداث التي كان مسرحها آنذاك الجنوب العربي على يد ملك حمير اليهودية، مما ألحق أذى بالمصالح التجارية لأكسوم، وغيرها من الدول ". وكان هذا في حد ذاته انعكاساً للعداء تجاه بيزنطة وأكسوم، والدول النصرانية العربية، وإلى جانب الخسائر السياسية، تعرضت أكسوم أيضاً، لخسائر اقتصادية فادحة، لأن ذا نواس عطل تجارة عدولي ومكوسها[1] ".

ودفع هذا الأحباش الطامعين إلى السيطرة على اليمن، وذلك لضمان توزيع البضائع[2] دون أن تتعرض للاعتداءات التي كان يمارسها الحميريون باستغلال فرصة قيام ذي نواس بمهاجمة نجران أكبر مركز للمسيحية في اليمن عام ٥٢٣ م والذي خير أهلها بين نبذ المسيحية، أو القتل حرقاً، فتخيروا القتل، وآثروا الاستشهاد، فخد لهم أخاديد أحرقهم فيها، وأحرق إنجيلهم[3]. وهذا ما سيفرد فصل خاص له، وقد ورد ذكر ذلك في القرآن الكريم في سورة البروج، قال تعالى: ((قتل أصحاب الأخدود ۝ النار ذات الوقود ۝ إذ هم عليها قعود ۝ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود[4])).

ذكر الإخباريون أن مسرح الأحداث نجران، وحسب الآية الكريمة لم يتبين ذلك، ولم يتبين من هم الذين قتلوا، وأين كان ذلك؟

مما يثير التساؤل في نفس أي باحث في التاريخ وللأسف يقف عاجزاً عن إيجاد الإجابة (سيجري مناقشة هذا في فصل الدين والصراع الدولي).

---

(١) كوبيشانوف الشمال الشرقي الإفريقي ترجمة صلاح هاشم عمان ١٩٨٨ ص٣٤ ـ ٣٥ يختصر إلى الشمال الشرقي الإفريقي.

(٢) الحيمي (الحسن بن احمد) سيرة الحبشة ومقدمته للدكتور مراد كامل القاهرة ١٩٥٨ ص٦١ يختصر إلى حيمي سيرة الحبشة: جميلي: محاضرات ص٨٨

(٣) الأصفهاني: (حمزة بن الحسن) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ـ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١١٣، يختصر إلى الأصفهاني تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء. الحميري (نشوان بن سعيد) ملوك حمير وأقيال اليمن تحقيق إسماعيل بن أحمد الحرافي وعلي بن إسماعيل المؤيد ـ دار العودة بيروت ط٢ ١٩٧٨ م ص١٤٨ يختصر إلى حميري: ملوك حمير يعقوب الثالث (اغناطيوس) الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية بطركية السريان دمشق ١٩٦٦ ص١٣ يختصر إلى الشهداء الحميريون جميلي: محاضرات ص٨٨.

(٤) سورة البروج: آية ٤-٨

والذي يمكن الإشارة إليه لآن، أن الإخباريين جعلوا مركز الأحداث نجران، لأن نجران تقع على طريق القوافل التجارية، ولأن النجرانيين بارزوا الملك وقواده وقتلوا منهم عدداً كبيراً، وتمردوا عليه، ولم يسلموا إليه المدينة، فما كان من الملك إلا أن انتقم منهم[١].

مع العلم أنه أحرق بيعة ظفار بما فيها، وكان الشهداء من ظفار ومن الحميريين العرب، وأهل نجران وحضرموت، ومأرب وهجرين[٢].

فالمتأمل في حادثة الأخدود، يرى أن أصحاب الأخدود حسب قوله تعالى مؤمنون، ذلك لأن أسم الرحمن كان مرادفاً لاسم الله في جنوبي الجزيرة العربية ذلك أن الشهداء الحميريين كثيرا ما كانوا يرددونه كقولهم "المسيح ابن الرحمن" وكذلك كان أسم المؤمنين مرادفاً لاسم الموحدين[٣].

أضف إلى ذلك أن العملية في حد ذاتها ساقت إلى تغيير حاد في الاتجاه السياسي لملكة حمير فقد كانت سياستها موجهة ضد فئة من أعيان حمير جمعت ثروة لا يستهان بها من المتاجرة مع أثيوبيا، وبيزنطة واعتنقت المسيحية، أي أن ذا نواس ربط بين انتشار المسيحية في اليمن، وبين ازدياد، النفوذ الحبشي والبيزنطي في بلاده، فاضطهد المسيحية، ولكنه في الواقع كان يعمل ضد الأحباش والبيزنطيين ويمكن القول:

" إن سياسته اتجهت نحو الفرس فهناك معلومة تشير إلى التحالف مع الحيرة والفرس فلقد أجهد الحميريون في سياستهم الموجهة ضد النفوذ النصراني، البيزنطي والتي كانت دائبة على اضطهاد النصارى، جهدوا في أن يحصلوا على تأييد الحيرة التي كانت بمقدورها بما لها من قوة خاصة وبالمعونة الفعالة من جانب إيران أن تقف في وجه بيزنطة وتحبط مساعيها لبسط نفوذها على طريق الطيب وعلى البحر الأحمر أيضاً، كذلك كان على المنذر أن يسوي أمره مع نصارى دولته، وفوق هذا فقد وعد ذو نواس أن يعاون المنذر بثلاثة آلاف دينار[٤] ".

على كل حال أحدثت حادثة نجران صدى عميقاً عند ملكي النصرانية. نجاشي

---

(١) الشهداء الحميريون ٢٥-٢٦-٤٩-٥٠

(٢) الشهداء الحميريون ٦١-٦٤-١١٩

(٣) الشهداء الحميريون ٨٣

(٤) بيغوليفسكيا (نينا فكتورفنا) العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن ٤ حتى ٦م ترجمة صلاح الدين عثمان - الكويت ١٩٨٥ ص١٠٣ -١٠٤ يختصر إلى بيغوليفسكيا العرب على حدود بيزنطة وإيران.

الحبشة، وإمبراطور بيزنطة، وأثارت غضبهما على ذي نـواس، وكانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، فحاول ذو نواس أن يجد سنداً من الفرس وعمالهم اللخميين[1] وأن يحصل في الوقت نفسه على النفوذ والمكانة بين القبائل ولقد كان بوسعه أن يجد التعضيد من يهود الحجاز لأجل توسيع أملاكه مستقبلاً في اتجاه بيزنطة[2]، إلا أنه لم تكن لديهم إمكانيات عسكرية تسمح بذلك.

والجدير بالذكر، أن الدوائر النصرانية بالمشرق وعلى رأسها الأساقفة الذين اجتمعوا بالحيرة، عملت على إثارة دعاية عنيفة ضد ذي نواس، منهم شمعون الأرشمي الذي دبج ثلاث رسائل عن أحداث حمير، مجد فيها الشهداء النجرانيين[3]، وكان يتوق إلى جمع كلمة نصارى البحر الأحمر بحيث يسوق هذا إلى عمليات حربية يشارك فيها الأكسوميون، والغساسنة وغيرهم من الشعوب النصرانية الأخرى، هذا المشروع الذي قد يسوق تحقيقه إلى احتواء حمير اليهودية بين فكي كماشة، بل إلى خلق قوة سياسية في الشرق الأدنى، تستطيع الوقوف على قدم المساواة مع الدولتين الكبيرتين أي بيزنطة وإيران، قوة تستند على العقيدة المونوفيزية، ومن المفروض أن يكون خلفها ملك أكسوم[4].

ولعله من المحتوم أن يحدث رد فعل مباشر على نشاطات ذي نواس من أثيوبيا بالذات، ذلك أن ذا نواس هاجم قبل كل شيء السيادة الأكسومية ولقد أتيح للأكسوميين الوقت الكافي لغزو بلاد العرب الجنوبية، وعلى الرغم من ذلك لم يحرك الأكسوميون ساكناً قبل عام ٥٢٥ م فما هي أسباب ذلك؟.

تشير قرائن الأحوال إلى أن الحرب مع حمير أعاقتها أحداث داخلية، وهي في أغلب الظن "نشوب حرب أهلية "[5].

يشير إلى هذا رقيم لكالب إلى اصبحة، تم الكشف عنه في وقت غير بعيد بأكسوم نشره اشنايدر[6].

---

(١) الشهداء الحميريون ص٨٦-٩٧-٩٨

(٢) كوبيشانوف الشمال الشرقي الإفريقي ص٥٠

(٣) الشهداء الحميريون ص٢٣-٤٢-٤٨-٥٩ وينظر كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص٥٢

(٤) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص٥٣

(٥) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص٦٠

(٦) كوبيشانوف: الشمال الإفريقي ص ٦١-٦٢ وما بعد نقلاً عن اشنايدر.

ولكن ما إن هدأت الأحوال في أثيوبيا، ودعم إلا أصبحة سلطته بأثيوبيا حتى أضحى واضحاً أن أكسوم ستكون متهيئة في المستقبل القريب للقيام بعمليات عسكرية بالجنوب العربي.

ولكن كيف علمت أكسوم بحادثة نجران ؟. تقول المصادر العربية أن رجلاً اسمه دوس ذو ثعلبان شغل دوراً في إخبار النجاشي بما فعل ذو نواس بأهل دينه[1]، وطلب منه المسير لليمن[2].

وفي رواية لليعقوبي ورد فيها بعد ذكر حادثة الأخدود بقوله: "فسار رجل منهم إلى النجاشي وهو على دين النصرانية، فوجه النجاشي إلى اليمن بجيش عليهم رجل يقال له أرياط وهم في سبعين ألفاً، ومع أرياط في جيشه أبرهة الأشرم[3]، وفي مصادر أخرى، أن دوس ذا ثعلبان سار إلى ملك الروم، وأخبره بما حدث، فكتب هذا إلى النجاشي ملك الحبشة، فبعث بأرياط في جنود عظيمة[4].

وقد أورد الطبري رواية مماثلة، إلا أنه أضاف عليها أن قيصر كتب إلى "ملك الحبشة يذكر له حقه، وما بلغ منه، ومن أهل دينه، ويأمره بنصره وطلب ثأره ممن بغى عليه، وعلى أهل دينه، فلما قدم دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر على النجاشي صاحب الحبشة، بعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمر عليهم رجلا منهم من أهل الحبشة يقال له أرياط[5] ".

---

(١) وهب بن منبه: التيجان ص٣٠١ ـ٣٠٢، الحميري: ملوك حمير ص ١٤٨، الحميري (نشوان بن سعيد) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم عالم الكتب بيروت ١/٢٤٧ـ٢٥٧. يختصر إلى حميري شمس العلوم، حميري (نشوان بن سعيد) منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ـ اليمن وزارة الإعلام ط٢ مصورة ١٩٨١ م ص١١٥ ـ١١٦ يختصر إلى منتخبات في أخبار اليمن، الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص١١٣، ابن قتيبة: المعارف ص٢٧٧. الأصمعي (محمد عبد الجواد) العرب وأطوارهم، مطبعة الجمالية مصر ١/٧٤ يختصر إلى الأصمعي العرب وأطوارهم جميلي: محاضرات ٨٩، عابدين: بين الحبشة والعرب ص ٤٩.

(٢) وهب بن منبه: التيجان ص٣٠١.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١/١٩٩ ـ٢٠٠ وينظر: الأصفهاني:تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ١١٣ ابن بكار (اسكندر بن يعقوبي) نهاية الأرب في أخبار العرب مرسيليا ١٨٥٣ ص١٩ يختصر إلى ابن بكار: نهاية الأرب.

(٤) الأزرقي: أخبار مكة ١ / ١٣٥، النويري: نهاية الأرب ١٥ /٣٠٤ ـ٣٠٥، الدينوري الأخبار الطوال ٥١، شيخو: النصرانية وآدابها ص٦٠ وقد ورد اسم دوس ذو ثعلبان في بعض المصادر باسم امية. الشهداء الحميريون ٩٧، بر صوم مقالات ٥١.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/١٢٤ ـ ١٢٥، وينظر ايضاً: ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١/٤٣١، لابن

وذكر في رواية أخرى أن ملك الروم أرسل سفناً تمد النجاشي[1].

توضح الروايات المتقدمة، أن دوس ذا ثعلبان، استنجد بالروم أو الأحباش فلو كان الاستنجاد بالروم فكيف له أن يسير ويقطع المسافات الطويلة ليصل إلى قيصر، ومن هو ذو ثعلبان حتى يسمح له بمقابلة قيصر وما سمع عن مراسيم الأبهة والجلال والعظمة في البلاط الرومي؟ وكيف يتسنى لشخص مثل ذي ثعلبان التفاهم مع قيصر في أمر هام مثل هذا الأمر؟.

يمكن الفرض أن الرجل سار إلى أحد حكام بلاد الشام، فوجد هذا الحاكم أن طول الشقة لم تسمح بتدخل ملك الروم بشكل مباشر، خشية من فتح جبهة مع الفرس خاصة وأن الإمبراطوريتين على صراع دائم بينهما، وكل واحدة منهما تطمع في خيرات البلاد العربية. وبما أن الفرصة حانت فالحبشة إخوانهم في الدين. وبذلك يحققون ما تصبو إليه أنفسهم بالاشتراك في إرسال أسطول يمدهم في مهمتهم، ودون تأليب الفرس عليهم، وأن الأحباش سيطروا على اليمن بالاتفاق مع البيزنطيين للاستيلاء على الطرق التجارية وتأمين حركة تجارهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أرادوا الوقوف دون تقدم الفرس الذين كانوا يطمعون بالسيادة والهيمنة على المنطقة عن طريق الخليج وعمان، حيث قرب المنطقة منهم جعلت المنافسة حينئذ قوية بينهم وبين البيزنطيين وقتذاك.

يضاف إلى ما تقدم أن الاستنجاد بالأحباش ربما كان لأسباب كنسية لأنه كان من غير المعقول الاستنجاد بالروم في الوقت الذي كانوا (الروم) يضطهدون في بلادهم إخوانهم الارثذوكسيين بضراوة لاهوادة فيها. " ألم يكن اضطهاد يوسطينوس بالذات مدعاة لتلك الجرائم الشنعاء التي ارتكبها اليهود في حق الارثذوكسيين[2] ".

فطلب النجدة إنما كان من نجاشي الحبشة، لا من إمبراطور بيزنطة[3].

ومن ثم فإن العدد سبعون ألفاً مبالغ فيه لأن مثل هذا العدد يشكل عبئاً على السكان المحليين مما يثير شعور السخط ضد الأحباش لدى شطر معين من السكان

كثير: البداية والنهاية ٢٠٨/٢، نافع: عصر ماقبل الاسلام ٨٥.

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٤٢/٢، المقدسي: البدء والتاريخ ١٨٤/٣، جواد: تاريخ العرب ١٦٧/٣، عابدين (عبد المجيد) بين الحبشة والعرب دار الفكر العربي، ص٤٩ يختصر إلى عابدين بين الحبشة والعرب.

(٢) الشهداء الحميريون ص٨٠ يوسطنيوس آي جستنيان

(٣) الشهداء الحميريون ص٨١-١١٣

وبالتالي ليس لدى الحبشة او بيزنطة إمكانيات كافية لتجنيد مثل هذا العدد الكبير أو حتى أقل من ذلك بكثير[1] فضلاً عن السفن لنقله وسلاحه وعتاده.

أضف إلى ذلك أن الحميريين كانوا يومذاك تحت وصاية نجاشي الحبشة الذي ترك حامية حبشية في ظفار بعد الحملة الأولى على اليمن وقضى عليها اليهود[2]، فكيف يستنجدون ببيزنطة والأحباش في ديارهم؟.

ومما يؤكد هذا قول مسروق في رسالته إلى المنذر ملك الحيرة " إن الملك الذي كان قد نصبه الأحباش في بلادهم مات، وأدرك الشتاء، ولن يقدر الأحباش ان يخرجوا إلى بلادهم، لينصبوا ملكاً مسيحياً، كما اعتادوا فتملك هو على سائر بلاد حمير".

أي أن الأحباش بعد الحملة الأولى تركوا قوات حبشية في اليمن وملكوا عليها مسيحياً، وشاءت الظروف، ومات هذا الملك فاستولى ذو نواس على الملك لعدم استطاعة الأحباش العبور إلى اليمن أثناء الشتاء.

ويكون الفرض كما ذكرت المصادر غير العربية أن الروم علموا بما فعله ذو نواس إبان وجود سفارة رومية في ديار النعمان بن المنذر أمير الحيرة، تقابلت مع وفد ذي نواس[3]، وبالتالي عرض إمبراطور بيزنطة على الاصبحة القيام بهجوم مشترك على حمير[4] ". عن طريق حاكم مصر، فكانت الحملة ترمي إلى إرسال قوات بيزنطية إلى أثيوبية بطريق البر مجتازة مصر، لتنضم إلى الأكسوميين، ثم تنزل القوتان في الجنوب العربي.

وشطر من الطريق المقترح، كان على القوات البيزنطية أن تجتازه، مخترقة أراضي النوبيين، والبجا المرتبطين سياسياً بطريقة أو أخرى مع الإمبراطورية البيزنطية ومملكة أكسوم، وهذه الخطة، لم توضع موضع التنفيذ بسبب وعورة الطريق[5].

ولكن ألا يعقل أن السبب الأساسي كان عدم رغبة الأكسوميين في السماح لقوات

---

(١) استشهاد الحارث ص ٤٠٦ ذكر ان العدد خمسة عشر ألفاً.

(٢) الشهداء الحميريون ص ١١٣

(٣) استشهاد الحارث ص٤٠٠ ملحق بكتاب كوبيشانوف الشمال الشرقي الإفريقي وينظر الشاعر: (محمد فتحي) السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩ ص١٧٧ حاشية.

(٤) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص٧٠

(٥) PIGLEVSKIA, N,V, ViZANTiA NA PUTiaKG V TndiN VOT. ٢.١٩٥١,P,٢٩٨,٣٤٦,bRief PiguTevsKiA : Vizantia Putiakh

أجنبية أياً كانت بدخول أراضيهم، حتى ولو كان الأجانب حلفاء لهم.

فأقلع الإمبراطور البيزنطي مضطراً عن فكرة التدخل المباشر في شؤون الحميريين والأكسوميين، واكتفى بإمداده بأسطول.

وتهيأ الوضع بالجنوب العربي لنزول القوات الأثيوبية[1] وعجز ذو نواس عن القضاء على الثوار، إذ ساندهم السكان المحليون، وهرع إليهم فيما يبدو النصارى، وغيرهم من الساخطين من جميع أنحاء اليمن[2].

ووجد ذو نواس نفسه ببساطة وسط حرب أهلية، اتخذ فيها رعاياه موقف الحياد، وانضم البعض إلى أعدائه.

وبهذا كان كل شيء معداً للغزو، فأبحر الأحباش في سفنهم من (بلاد ناصع وزيلع)[3]، وحطوا على ساحل زبيد من ارض اليمن[4]، فقامت المعركة على ساحل عدن[5] ويقال إن السفن اجتمعت في ميناء يقال له غبزا[6].

وكان جوهر الخطة الأثيوبية فيما يبدو، هو القيام بهجمة مفاجئة في آن واحد على أهم نقطتين استراجيتين بالساحل[7]، وقد اجتمع نجاح الخطة على فرض مؤداه أن ذا نواس لن يستطيع الاعتماد على المساندة المطلقة لأقيال المناطق الساحلية[8].

وبالفعل لم يتلق ملك حمير العون إلا من الحميريين وحدهم، ومن أقيال الأرحبيين (بطن من همدان) أما زعماء بقية القبائل، فلم يعاضدوا ذا نواس، ورفضوا إطاعة أوامره[9].

تحكي المصادر السريانية ان الحميريين تحملوا خسائر فادحة في المعركة التي دارت

---

(١) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص٧١

(٢) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص٧٣

(٣) ناصع وزيلع من بلاد الحبشة، ياقوت: معجم البلدان مادة ناصع وزيلع

(٤) المسعودي: مروج الذهب ٥٢/٢، سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ١٥٨

(٥) ابن بكار: نهاية الأرب ص١٩، الدينوري: الأخبار الطوال ص٥١

الديار بكري (حسين بن محمد بن الحسن) تاريخ الخميس في احوال أنفس نفيس ص١٩٣ يختصر إلى تاريخ الخميس، ياقوت: معجم البلدان: مادة عدن، نافع: عصر ما قبل الإسلام ص٨٥.

(٦) استشهاد الحارث ص٤٠٥ ملحق بكتاب كوبيشانوف الشمال الشرقي الإفريقي

(٧) استشهاد الحارث ص٤٠٦ ملحق بكتاب كوبيشانوف الشمال الشرقي الإفريقي

(٨) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص٨٢

(٩) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٥٢/٢

عند الساحل وكان نصيبهم الفرار والهزيمة[1].

" فلما رأى ذو نواس افتراق قومه، وانهزامهم ضرب فرسه، واقتحم به البحر، فكان آخر العهد به[2] ".

هذا ما قالته المصادر العربية، أما المصادر الاخرى، فإنها ترى انه سقط حياً في أيدي الأحباش فقتلوه[3]، وهناك شعر ينسب إلى علقمة ذي جدن[4] هو:

أمـا سمعـت بقتـل حمـير يوسـفا أكـل الثعلـب لحمـه لم يقـبر[5]

وقد استدل منه ان ذا نواس لم يغرق في البحر بل قتل قتلاً.

ومن التوفيق بين مختلف المصادر: يمكن القول أن ذا نواس استولى على الملك مستغلاً فرصة موت الملك الحبشي ولم يكتف بذلك فطرد واضطهد جميع الأحباش الذين كانوا في اليمن، فكان هذا سبباً كافياً لتسيير حملة تأديبية له، في الوقت الذي لم يتلق أي عون من أقيال حمير فيما عدا الأرحبيين، فقتل على أيدي الأحباش ورميت جثته في البحر، ودخل الأحباش البلاد وانتقموا من الحميريين، وهدموا قصور اليمن، مثل قصر سلحين وبينون، وغمدان[6]، وفي ذلك يقول الشاعر علقمة ذي جدن[7]:

أو مارأيـت وكـل شـيء هالـك بينـون خاويـة كـأن لم تعمـر

أو مارأيـت وكـل شـيء هالـك سـلحين خاويـة بظهـر الأدبـر

---

(١) استشهاد الحارث ص٤١٠ وما بعد ملحق بكتاب كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية ٣٨/١ ـ ٣٩. وينظر الحميري: ملوك حمير ١٤٩. ابن بكار: نهاية الأرب ص١٩. نويري: نهاية الأرب ٣٠٥/١٥. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٣٢/١، الأصمعي: العرب واطوارهم ٧٥/١، المقدسي: البدء والتاريخ ١٨٣/٣، خضري: تاريخ الأمم ٤١/١

(٣) استشهاد الحارث ص٤٢٢ ملحق بكتاب كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي، الشهداء الحميريون ص١٢١، كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص٨٣

(٤) علقمة ذي جدن شاعر يمني. الهمداني: الإكليل ٢٩٦/٢

(٥) جواد: تاريخ العرب ١٩١/٣

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٢٥/٢

(٧) وهب بن منبه: التيجان ص٣٠٢

سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص١٥

أو مارأيـــت بـــني عطـــاة باهتـــا قــد أصــبحت تــسفي علــيهم صرصــر

أو مــا سمعــت بحمــير وقــصورها أمــست معطلــة مــساكن حمــير

فـــابكيهم أمـــا بكيـــت لمعـــشر لله درك حمـــــير مـــــن معـــــشر

ويتحدث رقيم سميفع أشوع من حصن الغراب عن المعركة على ساحل البحر، ويقتصر على الألفاظ:

"وأرسل الأحباش حملتين إلى بلاد حمير، فتلوا أثناءها ملك حمير، وأقياله من الحميريين والأرحبيين[1]".

من المتفق عليه أن ذا نواس، كان آخر ملوك حمير ولكن حمزة الأصفهاني ذكر أن ذا جدن بن ذي نواس تولى الملك من بعده[2].

المهم أنه بعد انتصار الأحباش على الحميريين أقام النجاشي إلا أصبحة على اليمن ملكاً حميرياً، اسمه السميفع أشوع، اختاره النجاشي من بين نصارى حمير، ليكون ملكاً، على أن يدفع إلى الأحباش جزية سنوية[3]، فكون السميفع اشوع مسيحياً ويدفع جزية سنوية لهم فهو مرتبط بالأحباش دينياً وإدارياً، ولكنه لم يكن ملكاً مستقلاً كل الاستقلال يتصرف بملكه كيفما يشاء، بل كان في الواقع تابعاً لحكومة أكسوم[4]. ومما يؤكد هذا أنه كان يدعو إلا أصبحه (نجاشي الحبشة) في رقيمه " أسيادي نجاشيو أكسوم[5]"، فهل تنصيب السميفع على حمير لكونه من أهل البلاد أم ترضية لبيزنطة الطامعة في الجنوب، كون السميفع حليفاً لها.

والجدير بالذكر أن الرواية العربية لا تعرف شيئاً عن السميفع أشوع، وتجعل مكانه

---

(١) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص٨٣-٨٤

(٢) الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص١١٣، وينظر ابن بكار: نهاية الأرب ص١٩.

سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص١٦٠.

(٣) الشهداء الحميريون ص٧٧-١٢٢.

جواد: تاريخ العرب ١٨٢/٣ -١٩٤.

نيلسن: التاريخ العربي القديم ص١٠٩.

الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ١٧٨.

(٤) جواد: تاريخ العرب ١٩١/٣ -١٩٢ -١٩٣، جميلي: محاضرات ٩١

(٥) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الأفريقي ص٨٩

أرياط كبير الأثيوبيين باليمن[1].

على كل حال، استغل الأقيال الوضع، حيث أحسوا بأنهم مستقلون تمام الاستقلال عن ملكهم الذي لم يكن متمتعاً بالسيادة الكاملة.

وشكل الغزاة المنتصرون مجلساً استشارياً، كان من بين مهامه الرسمية حماية الملك من أعدائه[2]، وكان على ملك حمير أن يعمل حساباً لقرارات هذا المجلس، ومن الممكن أن رئيس المجلس الاستشاري للقادة الأثيوبيين كان ممثلاً خاصاً لملك أكسوم ولعله أرياط.

إذاً كان القواد الأثيوبيون باليمن مستقلين عن سميفع أشوع، الذي كان سلطانه مهتزاً، لدرجة أنه سقط بسرعة، ومرد سقوطه ليس إلى هجوم خارجي، بل إلى ضعفه الذاتي[3].

أما الأخبار العربية، فتقدم حكاية نصف أسطورية مفادها أن قائد الثورة أبرهة الأشرم قتل القائد أرياط في مبارزة، تقول الرواية:

" وانصرفت الحبشة فرقتين إحداهما مع أرياط، والأخرى مع أبرهة، واصطفوا للحرب، فدعاه أبرهة للبراز، فبرز عليه، فدفع أرياط عليه حربته للحرب، فوقعت في وجه أبرهة فشرمته، ولذلك سمي الأشرم، وضرب أبرهة أرياط بالسيف على مفرق رأسه فقتله، وانحازت الحبشة إليه، فملكهم وأقره النجاشي على سلطان اليمن[4]". ربما هذه المنافسة عنت المنافسة بين الأقيال والشعب، فأرياط مثل الأعيان وأبرهة مثل الشعب، ولابد في النهاية من انتصار الشعب، فما هو موقف بيزنطة من هذه الأحداث، عندما أطاح أبرهة بسميفع اشوع (أرياط) الذي دخلت معه في اتصال وثيق، والذي جهد بدوره لارضاء مطالب السياسة البيزنطية؟ أي أن بيزنطة فقدت حليفاً لها مباشراً في العربية الجنوبية فماذا اتخذت لأجل ذلك؟.

---

(١) الدينوري: الأخبار الطوال ص٥١

(٢) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص٩٠

(٣) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص٩١

(٤) الدينوري: الأخبار الطوال ص٥١- ٥٢، وينظر الأزرقي: أخبار مكة ١٣٧/١ تاريخ اليعقوبي ٢٠٠/١، ابن بكار: نهاية الأرب ٢١. النويري: نهاية الأرب ٣٠٦/١٥. الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٢٩/٢ المسعودي: مروج الذهب ٥٣/٢. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٣٢/١ -٤٣٣ ابن كثير: البداية والنهاية ٢١٠/٢ -٢١١، نافع: عصر ما قبل الإسلام ص٨٦، جميلي: محاضرات ص٩١، سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص١٦.

في البداية أخذت موقفاً عدائياً من أبرهة، ولكنها في الوقت نفسه كانت تخشى منافسة أكسوم التي كانت تسعى وتجهد بطبيعة الحال لاستعادة نفوذها المهتز بالجزيرة العربية حيث أرسل النجاشي إلا أصبحة بقواته مرتين ضد أبرهة ولكن كان نصيبها الإخفاق في المرتين[1].

وقد حفظت الرواية العربية أخبار الصراع بين نجاشي الحبشة، وأبرهة، والمفاوضات التي أجراها مع القوات التي أرسلت ضده، وإن كان في الحقيقة مع القائد أرياط وذلك بقوله له: "إنه يجمعني وإياك البلاد والدين والواجب علي وعليك أن تنظر لأهل بلادنا وديننا ممن معي ومعك[2] " فأبى أرياط وقتل في المعركة.

وجهد أبرهة بعده لمصالحة ملك الحبشة، فكتب إليه "إنما كان أرياط عبدك، وأنا عبدك، قدم علي يريد توهين ملكك، وقتل جندك، فسألته أن يكف عن قتالي إلى أن أوجه إليك رسولاً، فإن أمرته بالكف عني وإلا سلمت إليه جميع ما أنا فيه، فأبى إلا محاربتي، فحاربته فظهرت عليه، وإنما سلطاني لك، وقد بلغني أنك حلفت، ألا تنتهي حتى تهرق دمي، وتطأ بلادي وقد بعثت إليك بقارورة من دمي وجراب من تراب أرضي، وفي ذلك خروجك من يمينك، فاستتم أيها الملك يدك عندي، فإنما أنا عبدك، وعزي عزك[3]".

التأمل بهذه الرواية، والنظر إلى المظهر الخارجي لكل من أرياط، وأبرهة، يظهر أن الحركة التي تزعمها أبرهة حركة اجتماعية سياسية، موجهة في الغالب ضد استبداد الأقيال، فمظهر أبرهة الخارجي، يبين أنه كان ينتمي تماماً إلى طبقة العوام، فقد كان " رجلاً قصيراً لحيماً حادراً[4] " ولعله أعور، أو بدون أنف، ومن هنا كنيته بالأشرم، وصور أرياط على نقيض هذا، على أنه " رجل عظيم، طويل، وسيم[5] "و ذلك بما يتفق مع رجل من الأعيان.

على كل بعد أن قضى أبرهة على المتمردين والعصاة، شرع في تدعيم وضعه بالبلاد بطريقة جدية، فاهتم بإصلاح البلاد، وقد سجل ذلك في نقش عرف بنص أبرهة وهو نص

---

(١) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص١١٤

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٢٨/٢.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٢٨/٢

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٢٩/٢

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٢٩/٢

طويل يتألف من (١٣٦) سطراً سجل فيه ترميمه لسد مأرب سنة ٥٤٢[١] وهو يتضمن:

١- أن أبرهة لقب نفسه باللقب الرسمي لملوك حمير في دولتهم الثانية، مع إضافة عبارة تشير إلى أنه نائب ملك الجعفريين.ملك سبأ وذي ريدان، وحضرموت، ويمنت، وأعرابها في النجاد، وفي تهامة[٢].

٢- يشير النص إلى تصدع سد مأرب، وتهدم أجزاء منه، ومبادرة ابرهة إلى ترميمه حيث جند لهذا العمل عمالاً من أهل البلاد، وصرف على ذلك مبالغ طائلة فلما انتهى من إصلاحه أقام احتفالاً عظيماً. دعا إليه مندوبين من كافة الدول، وقد قدم احتفال ترميمه وفود من النجاش والروم والفرس، كما حضر رسل من المنذر ملك الحيرة، والحارث بن جبلة، وأبو كرب بن جبلة كما حضره بعض روءساء القبائل[٣].

فما الذي دعاه إلى إقامة هذا الاحتفال؟ للهيمنة على المنطقة مبرزاً قوته أمام الجميع، أم لضمان ولائهم أو على الأقل ليأمن جانبهم فلا يؤلبهم عليه ؟ أم يخطط ليحل محل الحبشة ويسيطر على المنطقة؟

من الملاحظ أن النص قدم النجاشي على ملك الروم فأمر لا بد منه لسيادة الحبشة، ولو بالاسم على اليمن، واعتراف أبرهة بسيادة مملكة أكسوم عليه، وفي إرسال مندوب عن النجاشي إلى أبرهة في مهمة سياسية دليل ضمني على انفراد أبرهة بالحكم، واستقلاله في إدارة اليمن حتى صار في حكم ملك مستقل، يستقبل وفود الدول ورسلهم، ومن بينهم وفد ملك قامت حكومته بغزو اليمن، والاستيلاء عليها، ثم تقديم ملك الروم على ملك الفرس، فلصلة الدين والسياسة بين الحبشة والروم واليمن. ثم إن للروم الأسبقية والأفضلية على الفرس[٤].

ولعل سرد أسماء السفارات تتناسب ومكانة الحكومات التي كانت تمثلها آنذاك، فرسول مملكة اللخميين التابعة للفرس، ورد ذكره قبل رسول الغساسنة الخاضعين لبيزنطة، وفي ذلك دليل على الأهمية المتزايدة للخميين، والتي تدعمت على حساب مملكة

---

(١) شيخو: النصرانية وآدابها ٦٢/١- ٦٣

(٢) بافقيه: في تاريخ اليمن ص١٦٧

(٣) شيخو: النصرانية وآدابها ٦٣/١، جواد: تاريخ العرب ٢٠٢/٣، عابدين: بين الحبشة والعرب ص٦

(٤) جواد: تاريخ العرب ٢٠٣/٣

سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص١٦

الكنديين، التي تهاوت أركانها[1].

ويبدو واضحاً أن الغرض الحقيقي من حضور هؤلاء هو الاقتناع بمكانة أبرهة وأهميته نظراً لتحكمه في هذه المنطقة الهامة من شبه الجزيرة العربية. في وقت كان العالم فيه منقسماً إلى معسكرين، معسكر شرقي (الفرس)، وآخر غربي (بيزنطة).

وأن مجيء هؤلاء المبعوثين إلى أبرهة، لم يكن لمجرد التهنئة أو المجاملة، أو ما شاكل ذلك، إنها كانت لأمور أخرى أبعد من هذه وأهم، هي جر أبرهة إلى هذا المعسكر أو ذاك، وترجيح كفة على أخرى، وخنق التجارة في البحر الأحمر، أو توسيعها من وراء ذلك، فإما نكبة تحل بمؤسسات الروم وتجاراتهم، وإما ربح وافر يصيبهم لا يقدر[2]، حيث نجد أبرهة بعد ذلك يسير حملة إلى مكة بتوجيه من بيزنطة لاتصال ملكه بملك الروم، وبالتالي الهيمنة على البحر الأحمر[3].

٣- و يتضمن النص حديثاً عن ثورة قام بها يزيد بن كبشة أحد رؤساء حمير كان أبرهة قد أنابه عنه، واستخلفه على قبيلة كنده، وانضم إلى يزيد أقيال حميريون هم ذو سحر ومرة، وثمامة، وحنش ومرشد، وخنف، وذو خليل، ويزن، بالإضافة إلى القيل معد يكرب بن سميفع، ولإخماد هذه الثورة سير أبرهة جيشاً هزمه يزيد، واستولى على بعض المواقع، فعزز أبرهة قواته بقوات أخرى من الأحباش والحميريين وجهها إلى مواطن الثورة في أودية سبأ وصرواح، وانتهت الحملة باستسلام يزيد[4].

ويبدو أن الثورة التي شب أوارها ضد أبرهة كانت بسبب تزايد السخط على سياسته، وهو ذلك السخط الذي نضج لوقت طويل بين دوائر معينة من سكان اليمن[5].

فأبرهة بنظر إلى التوسع شمالي اليمن، وما إخماده ثورة يزيد إلا لهذا الغرض، حيث تلا هذه الثورة حملة مريغان عام ٥٤٧ م[6]، ثم تلاها حملة الفيل ٥٧٠ م وفي كل ذلك دليل

(١) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص١٣٤

(٢) جواد: تاريخ العرب ٢٠٢/٣، حتي: تاريخ العرب ص٢٠٤.

(٣) ينظر في فقرة حملة ابرهة على مكة من هذا الفصل.

(٤) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص١٣٢-١٣٣ وينظر: جواد: المفصل ٤٨٤/٣، العلي: محاضرات ٣٠/١، سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ١٦٣، بافقيه: في تاريخ اليمن ص١٦٨.

(٥) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص١٣٢

(٦) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص١٣٥ -١٣٦

واضح على أن أبرهة كان ينوي ويخطط لتأسيس دولة خاصة به مستقلة كل الاستقلال عن الحبشة وبيزنطة وفارس وقد عمل على تحقيق ذلك بمساعدة بيزنطة.

المهم أن الأحباش أفلحوا في قتل ذي نواس، وتدعيم المسيحية، والقضاء على آثار الحكم اليهودي في اليمن، إلا أن ثورات من نوع آخر قد بدأت تندلع بعد فراغ الأحباش من هذه الحرب. ذلك أن الأحباش قد أتاحوا للنفوذ البيزنطي أن يقوى ويشتد في اليمن. باستيلائهم عليها، وهذا ما لم يرضه الفرس الذين عملوا جادين على بث روح الحرية، وتنميتها في نفوس السكان العرب، ولقد أفلحوا في خلق شعور النفور من الأحباش المستعمرين في نفوس أهل اليمن، ولا أدل على ذلك مما كتب في أسطورة على الجدران في بلاد حمير " لمن ملك ذمار، لحمير الأخيار، لمن ملك ذمار للحبشة الأشرار، لمن ملك ذمار، لفارس الأحرار، لمن ملك ذمار لقريش التجار[1] ".

لذا فان كان هذا من حافظة التاريخ، إلى أنه لدلالة على تتابع الملك على اليمن، وقد كانت مدة حكم الأحباش لليمن اثنتين وسبعين سنة[2].

فحمير لهم الخيار، أما الأحباش فأشرار، والفرس أحرار، وقريش تجار، ومن المحتمل أنه كتب ذلك في الفترة التي تلت فترة حكم الأحباش لليمن، أي الفترة التي وجد فيها الفرس، ووضعوا أقدامهم على جنوب شبه جزيرة العرب.

٢) حملة أبرهة على مكة (الفيل)

قبل الحديث عن حملة الفيل، لا بد من لفت الانتباه إلى الوضع العام آنذاك، فقد تزايد نفوذ المنذر الثالث ونما دور العرب العسكري في القرن السادس، حيث شرع العرب في تجميع كلمتهم، مستغلين حدة النزاع بين الدولتين المتصارعتين، وكان العداء الدموي الذي نشب بين اللخميين، والغساسنة، صفحة من صفحات ذلك النزاع، فالغساسنة الذين

---

(١) ياقوت: معجم البلدان مادة ذمار- والذمار الحصن الوثيق.
ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص١٤٥

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٣٩/٢، ابن بكار: نهاية الأرب ص٢٥ والنويري: نهاية الأرب ٣١١/١٥ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٥٠/١ تاريخ الخميس ص١٩٣ المسعودي: مروج الذهب ٥٧/٢، ابن كثير البداية والنهاية ٢٢٥/٢ شلبي (أحمد) التاريخ الإسلامي، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة ط٤ القاهرة ١٩٦٦م ج١ ص٥٣ يختصر إلى شلبي: التاريخ الإسلامي.

هزموا في سلسلة لا تنقطع من المعارك على يد اللخميين وفقدوا منطقة تلو الأخرى من أراضيهم، لم يلبثوا أن نجحوا في توحيد العرب الخاضعين لبيزنطة تحت لوائهم، واستطاعوا بذلك صد غارات اللخميين، أما اللخميون أنفسهم، فقد بسطوا سلطانهم، وسيطرتهم على كل القبائل العربية بشمال شرقي الجزيرة العربية، وبأرض الجزيرة بل وبالحجاز أيضاً ببعض المواضع التي ينزلها السريان الشرقيون، وكان مما انتقل إلى سلطانهم، زعامة الحلف القبلي لمعد الذي كان على رأسه عمرو بن المنذر الثالث. وكان ضد حلف معد هذا أن وجه أبرهة بحملته ٥٤٧ م. ذكر هذه الحملة رقيم تم العثور عليه قرب بئر مريغان بجنوب الحجاز[١].

يذكر هذا الرقيم أن قبيلة عامر " من المحتمل أنهم عامر بن صعصعة الذين قطنوا تهامة الحجاز على ساحل البحر الأحمر[٢] ". تمردت في زمن تلك الحملة فأرسل أبرهة ضدهم وحدات من البدو وعلى رأسها الكندي أبو جبر، وبشر بن حصن من قبيلة مذحج فاصطلحا عامراً، وفي خلال ذلك كان أبرهة قد اشتبك بقواته الرئيسية ـ الأرجح أن المقصود بذلك الوحدات الحميرية والأثيوبية ـ في معركة مع معد عند حلبان الواقعة على بعد حوالي ٤٢٠ كم إلى الشمال من بئر مريغان وهزمهم، فاعترفت معد بسيادة أبرهة وقدمت له الرهائن. على أن عمرو بن المنذر ظل عاملاً على معد.

إن أبرهة بعد استيلائه على اليمن وإقامة احتفال السد وترميمه يظهر هذا أنه كان على اتفاق مع بيزنطة، وهي وأبرهة كلاهما يريد المنطقة الغربية فالتقت مصالحهما مع بعض وما حملة يزيد بن كبشة ـ وحملة مريغان ثم حملة الفيل إلا للهيمنة على هذه المنطقة في سياسة مدروسة بدقة ضد فارس، وسيتبين ذلك فيما بعد هذه الفقرة.

على أن المعلومات عن حملة مريغان تختلط مع حملة الفيل فتجعل هذه العملية العسكرية لأبرهة على أنها حملة الفيل المشهورة[٣].

على كل الأحوال، كانت أهم أعمال أبرهة، نشر الدين المسيحي في اليمن ولتحقيق ذلك بنى كنيسة في صنعاء سماها القليس[٤]. يقال إن الإمبراطور البيزنطي هو الذي أرسل

---

(١) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ١٣٥-١٣٦

(٢) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص١٣٦

(٣) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص١٣٦

(٤) ابن حبيب: المنمق ص٧٠، الأزرقي: أخبار مكة ١٣٧/١ وما بعد، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٤٢/١، ابن

بالصناع ومواد البناء لبنائها[1]، ورتب أبرهة على خدمتها الكثير، وأراد أن يرفع في بنيانها حتى يشرف منها على عدن[2]، وفي ذلك تغطية دينية لإظهار مكانة مكة، وقد كتب ذلك كمقدمات لظهور الإسلام.

فلما استتم بنيانها، كتب إلى النجاشي " إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حاج العرب[3]".

أقلق هذا العمل جماعة من النساة[4]، فقاوموا فكرته، ووقفوا سداً في سبيل تحقيق غرضه، فخرج أحد بني فقيم، ثم أحد بني مالك، حتى أتى القليس، فقعد فيها وتغوط، ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر بذلك أبرهة " فغضب، وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه[5]".

فلماذا وجدت المقاومة للنصرانية في اليمن، وللنجاشي الذي قضى على ذي نواس من جهة النساة وحدهم، دون الزعماء الوثنيين؟ فهل من المحتمل أن يكون لهؤلاء النساة علاقة باليهودية؟.

في الواقع لم يكن هذا سبباً كافياً لتسيير حملة تقطع تلك المسافات وإلى أنه حسب ما يتحدث كوبيشانوف نقلاً عن بروقوبيوس القيسارى بقوله:

" وفيما بعد تمكن إبرام من تثبيت سلطانه بصورة مدعمة، ووعد الإمبراطور

كثير: البداية والنهاية ٢٦١، المقدسي: البدء والتاريخ ١٨٦/٣، شيخو: النصرانية وآدابها ١/ ٦٤ نافع: عصر ما قبل الإسلام ص٩٧، جميلي: محاضرات ص٩٢، بتنوني: (محمد لبيب) الرحلة الحجازية، المطبعة الجمالية بمصر ط٢، ١٣٢٩ ص٢٨، يختصر إلى الرحلة الحجازية الجارم أديان العرب ص٣.

(١) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص١٢٧

(٢) ياقوت: معجم البلدان مادة قليس، ابن كثير: البداية والنهاية ٢١١-٢١٢

سالم: تاريخ العرب والعصر الجاهلي ص١٦٥

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢١٣٠

(٤) النساة: الذين كان ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل، ويؤخرون ذلك الشهر. ابن هشام: السيرة النبوية ٤٥/١ والناسئ رئيس الدين عند اليهود وكان يؤخر ويقدم الشهور ويعين مواعيد الأعياد والصيام. ولفنسون: تاريخ اليهود في جزيرة العرب ٨.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية ٤٧/١ وينظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٣١/٢

ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٤٢/١، النويري: نهاية الأرب ٣٣٠٦/١٥

ابن كثير: البداية والنهاية ٢١٢/٢

نافع: عصر ما قبل الإسلام ص٨

يوسطنيان مراراً بأن يغزو بلاد الفرس، ولكنه لم يزحف إلا مرة واحدة، فقفل منها راجعاً إلى بلاده، ولم يعد الكرة بعد ذلك[1] ".

وبما أنه من العسير غزو بلاد الفرس نفسها فريما عنى المؤرخ بذلك أراضي اللخميين الخاضعة للفرس، ففي هذه الحملة يستطيع أن يعمل حلفاً مع الغساسنة فقد كان عدوهما واحداً وغير مفهوم تماماً ما هي أسباب الحرب بين اليمن ومكة التي كان لأهلها تجارة نشيطة مع اليمن، ولعل المواجهة بين مكة وحمير قد أوحت بها إلى حد ما الديبلوماسية الفارسية واللخمية، وأيضاً الجماعات اليهودية القاطنة ببلاد العرب، والتي كانت لها معاملات مالية مع التجار الأغنياء من قريش.

كذلك من الممكن أن أبرهة أراد أن يخضع لسلطانه المستوطنات التجارية اليهودية بالحجاز[2]. وهنا يتضح أن الهدف من تسيير الحملة اقتصادي بغية السيطرة على المنطقة الغربية من الجزيرة العربية، وبالتالي السيطرة على البحر الأحمر ومنافذه، والتحكم في المنطقة وتجارتها، والاتصال بملك الغساسنة حلفاء البيزنطيين.

أمر أبرهة بإعداد جيش كبير، وتقدم جيشه فيل أرسله إليه النجاشي، ومر أبرهة على الطائف في طريقه إلى مكة، فبعثت معه رجلاً يدله على الطريق، يقال له أبو رغال، وقيل: نفيل بن حبيب الخثعمي، فهلك أبو رغال في موقع يقال له المغمس بين الطائف ومكة، فرجم قبره[3]. والعرب تتمثل بذلك، قال الشاعر[4]:

وأرجم قبره في كل عام ... كرجم الناس قبر أبي رغال

فهل كانت الطائف مؤيدة لأبرهة؟ أم دخلت معه في حلف؟ وما مسوغ عملها هذا؟ ثم لماذا سير أبرهة حملة ومر على الطائف؟ ألم يعرف المكان المقصود بعينه؟ وهل هو بحاجة إلى رجل مثل أبي رغال ليدله على الطريق؟ ولماذا الطائف بالذات وهي مصيف لأهل مكة[5] ومن ثم فإن

---

(١) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص١٣٦ نقلا عن بروفوبيوس.

(٢) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص١٤٧

(٣) الأزرقي / أخبار مكة ١٤٢/١، الطبري تاريخ الرسل والملوك ١٣٢/٢ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٤٣/١ ياقوت: معجم البلدان مادة مغمس، ابن كثير: البداية والنهاية ٢١٣/٢ سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص١٦٦ جميلي: محاضرات ص٩٣-٩.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ٥٤/٢ مقدادي تاريخ الأمة العربية ص١٦

(٥) ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص١٣٤ ياقوت: معجم البلدان: مادة طائف.

لأهل مكة مصالح اقتصادية في الطائف منذ قديم الزمان.

إن مسوغ هذا العمل المصالح الاقتصادية، فمكة بلد تجاري تبوأ مركز الزعامة حسدته عليه الطائف وأرادت في يوم ما أن ترث ذلك المركز، فأن دمر أبرهة مكة وانزاحت من الوجود فحتماً ستبرز الطائف وتسخر كافة إمكانياتها لذلك.

و بالتالي إن نظرة سريعة على المنطقة الغربية تبين لنا أن مرور أبرهة على الطائف خطة سياسية ليضمن ولاءها من جهة وليحافظ على مؤخرة قواته إذا ما هاجم مكة فالتقت بذلك مصالح الطرفين.

لما نزل أبرهة مكة بعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود ابن مقصود، فأصاب إبلاً لعبد المطلب، ثم لما اقترب أكثر وأتى أنصاب الحرم. نزل بالموضع المعروف بجب المحصب[1]. بعث حناطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ثم قل له: إن الملك يقول لكم إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم البيت فإن لم تعرضوا دونه بحرب، فلا حاجة لي بدمائكم فإن لم يرد حربي فأتني به[2].

أن هدم البيت يعود بالفوائد الاقتصادية على أبرهة، ويحول بالتالي أنظار العرب التجارية من مكة كمركز ديني تجاري إلى اليمن، وبذلك تعود لليمن أهميتها التجارية.

عندئذ أتاه عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف سيد قريش، فعظمه أبرهة، وهابه وأجله، ثم قال له: سلني يا عبد المطلب فأبى أن يسأله إلا إبلاً له، فأمر بردها عليه، وقال: ألا تسألني الرجوع؟ فقال أنا رب هذه الإبل، وللبيت رب سيمنعه منك[3].

خربوطلي: الحياة الاجتماعية في الحجاز ص٩ رسالة ماجستير غير منشورة.

(١) وهو موضع فيما بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب، وهو موضع رمي الحصباء. ياقوت: معجم البلدان: مادة محصب.

(٢) الأزرقي: اخبار مكة ١٤٣/١.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٣٣/٢

ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٤٣/١

ابن كثير: البداية والنهاية ٢١/٢

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية ٥١/١، الأزرقي: أخبار مكة ١٤٤/١

الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٣٤/٢.

المسعودي: مروج الذهب ١٠٣/٢، النويري: نهاية الأرب ١٠٥/١٥

المقدسي: البدو والتاريخ ١٨٧/٣.

ثم انصرف عبد المطلب، وأخبر قريشاً الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرز في شعف الجبال، والشعاب تخوفاً عليهم من معرة الجيش، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة، وجنده، فقال عبد المطلب، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة[1].

يـــارب لا أرجـــو لهـــم ســـواكا   يـــارب فـــامنع مـــنهم حماكـــا
أن عـــدو البيـــت مـــن عاداكـــا   فـــامنعهم أن يخربـــوا قراكـــا

ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب، باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال، فتحرزوا فيها، ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله وجهز جيشه، وأبرهة مجمع لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل برك بالمغمس فلم يحرك، ونخس بالرماح فلم ينهض، ثم بعث الله على الجيش طيراً مع كل طائر ثلاثة أحجار، فألقتها عليهم، فلم ينج منهم أحد[2].

وقد أشار الشاعر أمية بن أبي الصلت[3] إلى حادثة الفيل وارتداد الأحباش عن مكة، مشيراً فيه إلى دين الحنيفية[4].

إن آيـــات ربنـــا ثاقبـــات[5]   مـــا يمـــاري فـــيهن إلا الكفـــور
خلـــق الليـــل والنهـــار فكـــل   مـــستبين حـــسابه مقـــدور
ثـــم يجلـــو النهـــار رب كـــريم   بمهـــاة[6] شـــعاعها منـــشور

نافع: عصر ماقبل الإسلام ص٨٧

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٣٤/٢، المسعودي: مروج الذهب ١٠٥/٢
ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٤٤/١، ابن كثير: البداية والنهاية ٢١٥/٢.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة ١٤٥/١ وما بعد والطبري:تاريخ الرسل والملوك ١٣٨/٢
ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٤٥/١، ابن كثير: البداية والنهاية ٢١٦/٢- ٢١٧، نافع: عصر ما قبل الإسلام ٨٨

(٣) هو أمية بن عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن عنزة بن قيس، وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن، ديوان أمية بن أبي الصلت دار مكتبة الحياة بيروت لبنان ص٧ يختصر إلى ديوان أمية.

(٤) الحنيفية: دين إبراهيم عليه السلام مشتقة من الحنف وهو الميل، يعني الميل عن الشرك إلى التوحيد والضلال إلى الهدى، ديوان أمية بن أبي الصلت ص٨.

(٥) ثاقبات: مضيئات ديوان أمية بن أبي الصلت ص٤٧ حاشية

(٦) المهاة: الشمس، ديوان أمية بن أبي الصلت ص٤٧ حاشية

حبس الفيل حتى ظل يحبو كأنه معقور
لازماً حلقة الجران كما قطر من صخر كبكب مجدور[1]
حوله من ملوك كندة أبطال ملاويث في الحروب صقور
خلفوه ثم ابذ عروا جميعاً[2] كلهم عظم ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور

ويمكن الاستدلال من ذلك على مشاركة ملوك كندة في تلك الحملة.

ولقد ذكر الله تعالى في كتابة العزيز قصة أبرهة وأصحابه، بقوله تعالى: ((ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول[3])).

استشهد الكثيرون بالآيات الكريمة بأنها دليل على حملة أبرهة على مكة، لكن لدى استقراء الآيات لم تظهر أي إشارة إلى ذلك " آلم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل " من هم أصحاب الفيل ؟ هل هم أبرهة وجماعته؟ أم المقصود غيرهم؟ لم توجد أدنى إشارة إلى اسم أبرهة وجماعته أو حتى إلى مكة.

والجدير بالذكر أن المؤرخين ذكروا في بعض المصادر أن وباء الحصبة، والجدري، أول ما عرف بأرض العرب في عام الفيل[4]، وهم يربطون في ذلك بين ما أصاب جيش أبرهة بسبب هذه الطيور الأبابيل وبين هذا الوباء.

أضف إلى ذلك أن الرواية القائلة بأن أبرهة، أراد أن يحول العرب، ويصرفهم إلى القليس رواية لا تتفق والواقع التاريخي آنذاك.

فإن كان أبرهة قد بنى كنيسة نصرانية في اليمن ليأتيها النصارى، لا يستطيع

(١) مجدور: القليل من اللحم وهو المصاب بالجدري: ديوان أمية بن أبي الصلت ص٤٧ حاشية.

(٢) ابذعروا: تفرقوا، ديوان امية بن ابي الصلت ص٤٧ حاشية.

(٣) سورة الفيل: الآية ١-٥

(٤) وهب بن منبه: التيجان ص٣٠٣، ابن هشام: السيرة النبوية ١/٥٦، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/١٣٩، نافع: عصر ما قبل الإسلام ص٨٨، جميلي: محاضرات ص٩٥

إجبار المشركين على زيارة الكنيسة النصرانية، وإذا كان قد فعل ذلك فإن نطاق أمره ينحصر في اليمن. وهي البلاد التي كان يحكمها، ولا يمتد إلى غيرها من المناطق، فمكة لا تغتاظ من إنشاء كنيسة نصرانية ولأن مركزها الديني، لا علاقة للنصارى به، كما أنه ليس لأبرهة سلطة عليها فضلاً عن أن هناك عدة بيوت مقدسة، لم يرد في التاريخ خبر استياء أهل مكة منها، فلماذا تستاء من القليس، ثم إن الكعبة لم تكن مكان عبادة وحج فحسب، بل كانت رمز وحدة عرب الجزيرة ومفتاح السيطرة على أسواق الحجاز فالسيطرة عليها، أو نقل مركز الثقل هذا يخدم مصالحها، فحرمة الكعبة هي التي تجعل العرب أجمعين يخضعون لصاحب مكة، فأبرهة كان يريد بلا شك الاستيلاء على مكة وللاستيلاء على مفاتيح تجارتها، وما بناؤه القليس إلا لانتزاع التجارة من أيدي القرشيين[١]. وعندما أخفق في ذلك نجد في مرحلة لاحقة أن الحبشة تعقد علاقات تجارية مع المكيين، فعبد شمس تاجر مع ملك أثيوبيا[٢]، " وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش يتجرون فيها ويجدون رفاعاً[٣] من الرزق، وآمناً ومتجراً حسناً[٤] "، ولقد هاجر أو لجأ المهاجرون الأولون من المسلمين إلى الحبشة.

لعل الروم وهم حلفاء الأحباش، حرضوا أبرهة على مهاجمة الفرس[٥]. ولكن المؤرخ الذي نقل هذا الخبر، لم يشر إلى المواضع التي هاجمها، والأماكن التي كان الفرس فيها، فهل أراد بذلك مسير أبرهة لفتح مكة وبقية مدن الحجاز، ليهاجم من هناك العراق، وحدود الإمبراطورية الساسانية، وليمهد بذلك الطريق إلى الاتصال بالروم، أو أنه عنى مهاجمة الفرس من مواضع أخرى تقع في العربية الجنوبية أو سواحل الخليج[٦].

إن هدف حملة أبرهة كان سياسياً اقتصادياً، فالبيزنطيون كانوا يسعون إلى توحيد القبائل العربية في جزيرة العرب تحت نفوذهم ضد الفرس وقد اتخذوا قواعد برية وبحرية

---

(١) الأفغاني: أسواق ص١٠٧

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/٢٥٢

ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/١٦،

جواد: المفصل ٧/٣٠

(٣) رفاعاً: سعة العيش، لسان العرب مادة رفع

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/٣٢٨

(٥) جواد: تاريخ العرب ٣/١٩٧ نقلاً عن بروكوبيوس.

(٦) جواد: تاريخ العرب ٣/١٩٧ نقلاً عن بروكوبيوس.

لهم في جزيرة العرب، وكان لهم سياسة مع القبائل العربية[1]، لذا حاول أبرهة إحياء سياسة الهيمنة على قبائل وسط الجزيرة أسوة بما كان يقوم به النظام السياسي اليمني من قبل.

ففيما يختص بحمير فقد كان المرغوب فيه أن يقيموا قيساً[2] زعيماً على معد، ويسيروا جيشاً منهم، ومن المعديين لغزو فارس ". ولم يكن أبرهة يزهد في استغلال مثل هذه الفرصة لمد نفوذه على بلاد العرب[3]".

على كل حال أصيب مشروع أبرهة، الرامي إلى هدم الكعبة، والاستيلاء على مكة، بإخفاق ذريع ولو تم، لا تصل ملك الروم بملك حلفائهم وأنصارهم الحبش في اليمن، ولتحقق حلم الاسكندر الأكبر، وأغسطس، ومن فكر بالاستيلاء على هذا الجزء الخطير من العالم من بعدهما، ولتغير الوضع السياسي في الجزيرة من غير شك، لكن حدث ما لم يكن من الحسبان، حدث أن مكة التي أريد هدمها هي التي هدمت ملك الحبشة في اليمن، وملك من جاء بعدهم لنجدة اليمن.... وملك البيزنطيين في بلاد الشام، وملك الفرس في العراق، وفي كل مكان عندما قام الإسلام، ودخل البلاد.

٣) الفرس في اليمن

كانت حملة أبرهة المخفقة على مكة، تعني امتداد سيطرة الأحباش وكلاء بيزنطة على أهم شريان تجاري في بلاد العرب، ولكن الأحباش ادركهم الضعف، ولم يستطيعوا تحقيق السيطرة الاقتصادية لصالح البيزنطيين على التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر، كما تدهور الحميريون اقتصادياً بعد تصدع سد مأرب، وتتابعت هجرات اليمنيين إلى الشمال، وحكم اليمن رجال أذلوا أهلها، فبعد وفاة أبرهة، انتقل الحكم ليكسوم بن

---

(١) bury (J.b): hkstory of the Iater roman empire, london, ١٩٢٣,voI,٢,p, ٣١٨, briwf:bury .history of the Iater roman empire

وينظر جواد: تاريخ العرب ٣٨٧/٤، جواد: المفصل ٦٥٧/٢ عثمان: (فتحي) الحدود الإسلامية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري الدار القومية للطباعة والنشر ج١ص١٢٠ يختصر إلى عثمان: الحدود الإسلامية.

(٢) المقصود بقيس امرؤ القيس.

(٣) richard, (ball), the origin of IsIam its chrian, environment,London, ١٩٢٠,p. ٤٠, brief .richard ;the origin of IsIam

أبرهة[1]. أذل خلالها أهل اليمن، فلما توفي خلفه أخوه مسروق الذي كان أكثر تعسفاً في معاملة الحميريين، واخبث سيرة[2].

نفرت هذه الأعمال أهل اليمن من حكم الأحباش، ورغبتهم في التخلص منهم ومن استبدادهم. وعندما طال البلاء، ظهر زعيم وطني من حمير، يقال له سيف بن ذي يزن،و يكنى أبا مرة[3] وقرر التخلص من حكم الأحباش، وتحرير بلاده، وتخليص قومه، ولما كان من المستحيل عمل ذلك بالسيف وبالاعتماد على القبائل اليمنية، ركب البحر ملتمساً العون، فكيف تم ذلك ؟ وبيزنطة حليفة أكسوم ؟

إن بيزنطة حليفة أكسوم، هذا صحيح، ولكنها في الوقت نفسه فهي حليفة والده السميفع أشوع، وهذا ما جعلها توعده بتحقيق أمنيته، إلا انه لما طال الانتظار وباء بالإخفاق[4]، لعدم إمكان بيزنطة تقديم المساعدة لأنها كانت قد هزمت، وفقدت سورية، وليس بإمكانها تقديم المساعدة، ومن ناحية أخرى فكيف تنجد سيف وهي مرتبطة مع الأحباش بعلاقات دينية واقتصادية وسياسية ولن تزيده مناصرة اليمنيين شيئاً مما كان يلقاه من امتيازات في اليمن، لقد أجاب إمبراطور بيزنطة سيف الدولة بقوله " أنتم يهود، والحبشة نصارى، وليس في الديانة ان ننصر المخالف على الموافق[5] ".

أي أن بيزنطة لضعفها آنذاك شعرت أنها بأمس الحاجة لحليف قوي لها (الحبشة) فمناصرتها سيف لن يزيدها شيئًا في الوقت الذي هي بحاجة للحبشة التي هي من نفس دينها.

---

(١) المسعودي: مروج الذهب ٢/٥٥. الدينوري: الأخبار الطوال ١٦٣. الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ١١٤.

ابن بكار: نهاية الأرب ٢١. سالم: تاريخ العرب والعصر الجاهلي ١٧٠.

(٢) الازرقي: اخبار مكة ١٤٨/١، الدينوري: الأخبار الطوال ص٥٢. المسعودي: مروج الذهب ٢/٥٥، الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ١١٤. سالم: تاريخ العرب والعصر الجاهلي ١٧١، جميلي: محاضرات ص٩٥.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٣٩/٢. الدينوري: الأخبار الطوال ص٥٢. المسعودي: مروج الذهب ٥٥/٢. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٤٧/١. ابن كثير: البداية والنهاية ٢٢١/٢-٢٢٢. تاريخ الخميس ص١٩٢

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٣٩/٢. ابن بكار: نهاية الأرب ص٢٢.

النويري: نهاية الأرب ٣٠٩/١٥. المقدسي: البدء والتاريخ ١٨٩/٣.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٤٧/١.

(٥) المسعودي: مروج الذهب ٥٥/٢، وينظر الثعالبي: غرر ملوك الفرس وسيرهم ٦١٦، جميلي: محاضرات ٩٥، وسالم: تاريخ العرب والعصر الجاهلي ١٧٢.

ولعل سيف ومسألة مقابلته إمبراطور بيزنطة أمر مشكوك فيه، فكيف يقابل الإمبراطور ومظاهر الأبهة والعظمة للإمبراطور تمنع سيف من ذلك؟

ثم ماهي اللغة التي تفاهم فيها مع الإمبراطور؟ وكيف تسنى له أن يصل إلى القسطنطينية؟.

ربما قابل أحد رجال الروم قادماً من القسطنطينية، وحكى له عن الوضع وبطريقة أو أخرى تفاهم معه، فزعمت الروايات أنه قابل الإمبراطور، ولما كان الجواب بالنفي، تحول سيف بطلبه إلى أعداء بيزنطة الفرس، وتوجه إلى كسرى أنوشروان، على أمل أن يقوم هذا بنجدته، أو بالأحرى للتحالف معه وليحل سيف محل الحبشة بالتحالف مع الفرس فيعود لهذا الجزء الهام من الجزيرة العربية مكانته.

وقد رأى من باب الحذر أن يفعل ذلك عن طريق اللخميين، فرحل سيف إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة، الذي يرتبط مع كسرى فارس برابطة الولاء والتبعية، حتى يقدمه بنفسه أمام كسرى وبالفعل، استضاف النعمان سيف ووعده بأن يقدمه إلى كسرى[1]، ولما كان اللخميون أتباع الشاهنشاه، فقد كانوا ملزمين بالوفادة على بلاطه في كل عام، فخرج ملك اللخميين ومعه سيف، وقدمه إلى أنوشروان، فحكى الأمير اليزني لكسرى عن الوضع باليمن، وما تعرض له أهلها من بلاء من طرف الأحباش والتمس من الملك نصرته بعون عسكري[2]، فتردد كسرى في التدخل بصورة عاجلة في شؤون الجنوب

---

(١) الدينوري: الأخبار الطوال ٥٢.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/ ١٣٩ ـ١٤٠

الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص١١٤

ابن بكار: نهاية الأرب ٢٢.

المقدسي: البدء والتاريخ ٣/١٨٩.

ابن كثير: البداية والنهاية ٢/٢٢٢، تاريخ الخميس ص١٩٢

نافع: عصر ما قبل الإسلام ٨٩. كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ١٨٧

كحالة (عمر رضا) العرب قبل الإسلام ط٢ ١٩٥٨ مطبعة الهاشمية دمشق ٣٤ يختصر إلى كحالة: العرب قبل الإسلام.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/ ١٤٠، المقدسي: البدء والتاريخ ٣/ ١٩٠

ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١/ ٤٤٨، ابن كثير: البداية والنهاية ٢/ ٢٢٢

سالم: تاريخ العرب والعصر الجاهلي ص١٧٢ حاشية.

العربي، سواء بالبر عن طريق أملاك اللخميين بنجد، أو بالبحر حول القسم الأكبر من سواحل الجزيرة العربية.

إن تردد كسرى أمر مشكوك فيه، فكيف يقف مكتوف الأيدي، وينتظر الدعوة من الخارج ليصل إلى أهم نقطة في التجارة العالمية ؟.

استجاب كسرى أمام إلحاح سيف " وعقد مجلساً من وزارئه، وقال: ما ترون في أمر هذا الرجل وحاله ؟ فقال رجل منهم: أيها الملك: إن في سجونك رجالاً حبستهم للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن يهلكوا كان الذي أردت بهم، وإن ظفروا كان ملكاً زاده الملك إلى ملكه[1]".

فما هو وضع هؤلاء السجناء الذين أشارت إليهم الرواية ؟ أهم مجرمون لصوص، قطاع طرق، قتلى، أم سجناء سياسيين ؟ لنتابع الرواية.

استجاب كسرى لهذا الرأي، فبعث بمن كان في سجونه معه[2]، وكانوا ثمانمائة رجل وعين عليهم رجلاً يدعى وهرز بن الكامجار، كان طاعناً في السن ذا تجربة وخبرة، وأبحروا في ثماني سفن، وبعد رحلة طويلة بدجلة، والخليج العربي وبحر العرب، بلغ الأسطول الصغير سواحل حضرموت[3]، وأرسوا في موضع يقال له مثوب[4].

ولكن غرقت سفينتان في الطريق بمن فيهما، وأنزلت السفن الباقية التي بلغ تعدادها ستمائة مقاتل، وأرست على ساحل عدن[5].

---

(١) الحميري: منتخبات في أخبار اليمن ص١١٦، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/١٤٠ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٤٨/١ وابن كثير: البداية والنهاية ٢٢٣/٢.

سالم: تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي ١٧٣

(٢) كريستنسن (ارثر) إيران في عهد الساسانيين ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧ ص٣٥٥ يختصر إلى كريستنسن إيران في عهد الساسانيين.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٤٤/٢، المقدسي: البدء والتاريخ ١٩٠/٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٤٨/١. نافع: عصر ماقبل الاسلام ص٩٠.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ٥٥/٢، الدينوري: الأخبار الطوال ٥٣، بافقيه: في تاريخ اليمن ١٧٢.

(٥) الحميري: ملوك حمير ١٥١، ابن هشام السيرة النبوية ٦٥/١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٤١/٢، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٤٨/١، الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص٥٢، ابن كثير البداية والنهاية ٢٢٣/٢، تاريخ الخميس ص ١٩٣، نافع: عصر ماقبل الاسلام ٩٠، جميلي: محاضرات ٩٧. اختلف ابن بكار في كتابة نهايه الأرب في عدد السفن وقال اثنتي عشرة سفينة أبحروا إلى ساحل عدن. ابن بكار: نهاية الأرب ص٢٤، وعند ابن قتيبة ٧٥٠٠ مقاتل أكثرهم من الديلم، التحق بهم كما يبدو

وفي رواية للمسعودي يذكر فيها أن كسرى وعد سيف بالنصرة ثم شغل بحرب الروم، ومات سيف، في هذه الأثناء دخل معد يكرب بن سيف على كسرى انوشروان مذكرا اياه الوفاء بالوعد فوجه قائداً يدعى وهرز[1].

ما قام به سيف واستجابة كسرى لطلبه، تدل على المنافسة التي كانت قائمة بين الفرس والروم للسيطرة على الجزيرة العربية، وعلى الطرق التجارية الموصلة إلى الشرق الأقصى، وان سيف حاول الاستنصار بأعظم قوتين في العالم آنئذ، ولكن من غير المعقول ان يكون كسرى جاهلاً بخيرات اليمن، ويرسل جيشا من السجناء، ويستهين بفتح اليمن، وهو يحرص كل الحرص على نجاح الحملة، لأن احتلال اليمن على ما يبدو مرحلة أولى للتغلغل إلى وسط الجزيرة العربية.

إن وهرز قائد طاعن في السن حسب ما جاء بالرواية أي أنه من ذوي الخبرة والتجربة، هذا ما يؤيد أنه محنك سياسي، وإن من أرسل لنجدة سيف سجناء سياسيون سجنوا لسبب أو لأخر خاصة ما قام به وهرز بعد أن وصل إلى اليمن يشير إلى ذلك.

ثم إن السفن التي أرسلت ثمانية عليها ثمانمائة رجل غرقت منها سفينتان، وأرست ست سفن محملة بستمائة مقاتل قوة بسيطة. ومع ذلك استطاعت فتح اليمن، فهل كان مع السفن أسلحة إضافية وزعت على السكان في اليمن ؟

على كل حال، نزل وهرز على الساحل، فأمر بحرق السفن، ليعلم الجنود أنه الموت أو الانتصار[2].

وهذا يذكرنا بفتح الأندلس من قبل طارق بن زياد فيما بعد، وسارع السكان

كل المجرمين الذين أخلى سبيلهم من السجن: ابن قتيبة المعارف ٢٧٨، وينظر ايضاً فرعون: السياسة الساسانية ص١١١.

(١) المسعودي: مروج الذهب ٥٥/٢

وينظر الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية ج١ ص ٤٢.

كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص ١٨٧.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ٥٦/٢.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٤٥/٢.

المقدسي: البدء والتاريخ ١٩١/٣

ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٤٨/١

كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص١٨٨

المحليون إلى معاونة الأمير اليزني ضد الملك الأجنبي، فكيف يعاونون وليس لديهم أسلحة؟ إن هذا يؤكد أن السفن حملت الجنود ومعداتهم الحربية ومعدات وأسلحة إضافية وزعت على السكان.

نجحت الحملة نجاحاً تجاوز كل تقدير في الحسبان، وانهزم مسروق بن أبرهة، وقتل في المعركة، ودخل وهرز صنعاء، وضبط اليمن، وأعلم كسرى بالفتح، فكتب هذا إلى وهرز يأمره بقتل كل أسود باليمن، وبتمليك سيف عليها، وفرض عليه جزية، وخراجاً معلوماً في كل عام[1].

إن تمليك سيف على اليمن، أمر طبيعي، وهو أن كسرى قنع بإقامة حكم وطني في اليمن، ولكن ربطه بتبعية له بفرض الجزية، وذلك كي لا يؤلب اليمنيين عليه، فيتخلصوا من حكم أجنبي وليعودوا إلى آخر، وبالتالي فهو مشغول في حرب الروم، وأمره بقتل كل اسود، دليل ضمني على المنافسة الشديدة بين الفرس والأحباش، ومن ورائهم بيزنطة، على هذا الجزء الهام من الجزيرة العربية، فاليمن مفتاح السيطرة على البحر الأحمر وعلى المنطقة الغربية من الجزيرة العربية.

ووفدت الوفود إلى سيف للتهنئة بالفوز وكان من جملة الوفد، وفد عبد المطلب[2]، وقد سجل أبو الصلت والد أمية هذا الابتهاج بقوله[3]:

---

(1) الطبري: الأخبار الرسل والملوك ٢/١٤٢

الدينوري: الأخبار الطوال ٥٣.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١/٤٥٠

كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ١٨٨

حوفي: تيارات ثقافية ١٨ جميلي: محاضرات ٩٧

بافقيه: في تاريخ اليمن ١٧٢

(2) الحميري: ملوك حمير ص١٥٣، المسعودي: مروج الذهب ٢/٥٧-٥٨ الطبري: تاريخ الرسل والملوك٢/١٤٢ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١/٤٥٠ - نافع عصر ما قبل الإسلام ٩١ حوفي: التيارات الثقافية ٨، الشطي (أحمد شوكت) مجموعة أبحاث في الحضارة العربية الإسلامية - جامعة دمشق ١٩٦٣ ص٥٠ يختصر إلى شطي: مجموعة أبحاث.

(3) وهب بن منبه: التيجان ٣٠٥ - ٣٠٦ ابن هشام: السيرة النبوية ١/٦٧

الازرقي: أخبار مكة ١/١٤٩ -١٥٠ وما بعد

المسعودي: مروج الذهب ٢/٥٩

الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/١٤٧

لا يطلب الثأر إلا كابن ذي يزن ... في البحر خيم للأعداء أهوالا
أتى هرقل وقد شالت نعامته ... فلم يجد عنده النصر الذي سالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة ... من السنين مهين النفس والمالا
حتى أتى ببني الأحرار يقدمهم ... تخالهم فوق متن الأرض أجبالا

ولقد اصبح اللخميون الآن حلفاء لحمير، وبذا فإن جميع بلاد العرب باستثناء الأطراف الشمالية الغربية لشبه الجزيرة اتحدت تحت هيمنة الفرس.

وفي بعض المصادر أن وهرز بقي إلى جانب سيف[1]، فربما كي يتابع الأحداث التي كانت تجري في اليمن، وإيصال هذه المعلومات إلى الفرس، أو لإقامة حكومة مشتركة يمنية فارسية تولى رئاستها سيف.

أضف إلى ذلك أن كسرى اشترط على سيف نظير مناصرته له عدة شروط، منها أن يتزوج الفرس من نساء اليمن، ولا يتزوج اليمنيون من نساء الفرس، وأن يحمل سيف إلى كسرى الخراج[2]. كما سلف القول.

إن شرط الزواج هذا عملية استيطان بالنسبة للفرس، فكما نجدهم فيما بعد يخلفون الأنباء[3]، الذين بقوا في اليمن حتى بعد دخول الإسلام إليها.

ومن الموءسف أن المصادر العربية. وهي تروي العديد من التفاصيل التي غلبت عليها الأسطورة، تعطي معلومات نادرة للغاية عن فترة حكم سيف بن ذي يزن.

على كل الأحوال تعقب سيف الأثيوبيين، واستأصل شأفتهم[4]، ولكن من العسير القول بأنه جهد في تصفيتهم كطبقة من المقاتلين، ذلك أن رماة الحراب من الأثيوبيين، كانوا يمثلون فرقة مهمة من القوات المسلحة ببلاد العرب آنذاك، ولم يكن جيش سيف

الأصمعي: العرب وأطوارهم ٧٨/١، ابن بكار:نهاية الأرب ٢٥

المقدسي: البدء والتاريخ ١٩٤/٣

(١) الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص١١٥ وتاريخ الخميس ١٩٣

(٢) المسعودي: مروج الذهب ٥٦/٢

فرعون: السياسة الساسانية ١١١

(٣) الأبناء اليوم هم من بقايا هذا الزواج، ابن حبيب المحبر ص٦٦ م

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٤٨/٢

ليمثل استثناء في هذا الصدد "فقد دفعه عدم تبصره إلى أن يجمع حوله حرساً مسلحاً من أولئك الأثيوبيين[1]" فارتكب في ذلك خطأ فادحاً.

فهل الدافع لعدم التبصر هذا حذره من الأمراء الحميريين الذين كانوا يمثلون بالنسبة لملك حمير منافسين أشد خطراً من المقاتلين الأثيوبيين ؟.

على كل حال مالبث هؤلاء الأخيرين أن قتلوا سيف بن ذي يزن بأن وجؤوه بالحراب، وهربوا إلى رؤوس الجبال[2].

وانهارت بذلك مملكة حمير وساعد على ذلك اللخميون ومن ورائهم إيران.

جرت هذه الأحداث، ولم تحرك بيزنطة أو أكسوم ساكناً أثناء ذلك، حيث تصادف وضع الفرس يدهم على الجنوب العربي مع فترة من الكوارث الطبيعية التي جلبت ضربات قاضية لوضع بيزنطة الاقتصادي والسياسي وأشد من أكثر الحروب تدميراً[3].

وتحول الجنوب العربي إلى ولاية من ولايات الدولة الساسانية، وكانت هذه بداية لسياسة جديدة للفرس بالجزيرة العربية فالحاكم الفارسي لليمن، يحمل في المصادر العربية اسم المرزبان[4].

ولقد استمرت السيادة الفارسية بالجزيرة العربية إلى لحظة توحيدها على يد المسلمين، وبهذه الطريقة أصبح الفرس المسيطرين الرئيسيين سيطرة فعلية على الطريق البحري التجاري إلى الهند عبر البحر الأحمر وازداد نفوذهم حتى كاد يعم أقطار الجزيرة العربية إذ كانون مستولين على العراق والبحرين وحضرموت.

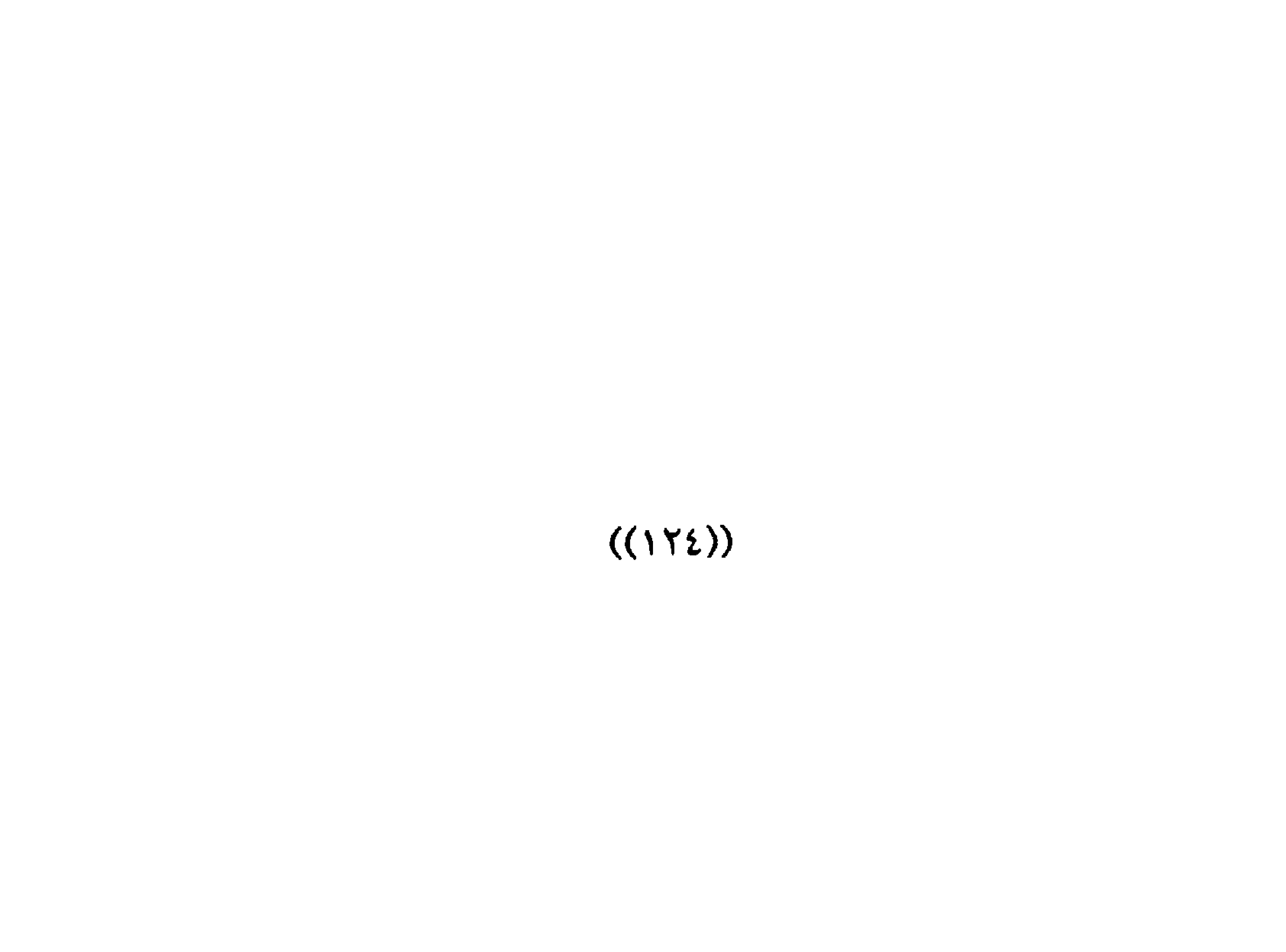
---

(١) piguievskia: vizantia na putiakh, p, ٣٣٤.

(٢) ابن بكار: نهاية الأرب ص٢٦، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٤٨/٢
الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص١١٥
الدينوري: الأخبار الطوال ص٥٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٥٠/١
أبي الفداء: المختصر ٦٨/١-٦٩
نافع: عصر ماقبل الإسلام ص٩١
جميلي: محاضرات ص٩٨.

(٣) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص١٩٢.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٤٨/٢.
ومرز بالفارسية تعني الحدود ومرزيان حافظ الثغور وحاكم الحدود
كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص١٩٣ حاشية.



((١٢٤))

الفصل الثالث

سياسة الإمبراطورية البيزنطية
"تجاه جزيرة العرب"

تمت في الفصل الأول دراسة طبيعة الجزيرة العربية، وبنيتها الاقتصادية، وعرف أنه كان فيها منتجات متعددة، وبخاصة في الجنوب، وعلى الشواطئ، وأن هذه المنتجات لا بد من تصريفها، أضف إلى ذلك أن العرب كانوا محتاجين إلى كثير من منتجات البلاد الخارجية، لذا شغلت الجزيرة العربية دوراً هاماً في العالم القديم، فقد زودت المناطق المجاورة لها بالمنتجات المرغوب فيها من حاصلاتها نفسها، واستوردت ما تحتاج إليه من منتجات الشرق الأقصى، وذلك بسبب موقعها الممتاز.

وبحكم هذا الموقع كانت شبه الجزيرة حلقة اتصال في التجارة الدولية بين الأمم التي لا يمكن الاتصال بها إلا عن طريق بلاد العرب، فالحركة التجارية كانت قائمة على قدم وساق، تروح وتغدو بين مناطق البحر المتوسط والشرق الأقصى، وذلك عبر

الطرق التجارية التي تتخللها والمحطات التجارية الهامة فيها، فالقوافل التي تتجه صوب الجنوب لابد لها من المرور عبر محطات الجزيرة العربية، والسفن التي تمخر عباب البحر باتجاه الشمال، حتما ستعبر من موانئها، ومن أجل ذلك كانت ميداناً للصراع بين الإمبراطوريات الكبرى المهتمة بعالم التجارة كالإمبراطورية البيزنطية، ومن دار في فلكها كدولة الأحباش، وبين الإمبراطورية الفارسية، فكل منهما كانت ترغب في السيطرة على هذا الجزء من العالم.لأن السيطرة عليه كانت تعني التحكم في طرق التجارة التي تمر ببلاده وبالتالي التحكم في تجارة الشرق[1].

أضف إلى ذلك أنه كانت هذه القوافل التجارية في حاجة إلى من يحفاظ عليها، ويحميها من غارات الأعداء واللصوص، وقطاع الطرق، فاشتدت صلاة العرب بغيرهم من الأمم، وبخاصة الفرس والروم والحبشة، وبالمقابل عمدت الدول الكبرى منذ أقدم العصور إلى ضبط ما تيسر ضبطه من أطراف بلاد العرب الواسعة، وإلى مد نفوذها قدر المستطاع إلى ما نأى من مناطقها الداخلية، وذلك ليس طمعاً في مواردها الطبيعية بقدر ما كان في محاولة للتحكم في مسالك البحار المحيطة بها من الشرق والجنوب والغرب، وفي دروب، القوافل الممتدة عبر أرجائها الوعرة القاحلة[2].

وبما أن الإمبراطورية البيزنطية إحدى هذه الدول، كانت سياستها اتخاذ البحار والأراضي التي لا يمكن اجتيازها حدوداً طبيعية تقف عندها أعمال توسعهم، أما الحدود التي تتمتع بالحصانة الطبيعية، فقد دأبوا على حمايتها بالتحالف مع الجيران المطلين عليها[3]. وذلك ضماناً لمصالحهم التجارية آنذاك.

ومن جهة أخرى، كان من مصلحة العرب التعامل المستمر مع القوى الخارجية الكبرى الطامحة الواحدة تلو الأخرى إلى التحكم في مسالك التجارة عبر هذا الجزء أو ذاك من بلادهم، فلولا التجارة لكادت سبل العيش في البلاد العربية في حينه أن تقتصر على الرعي، وعلى قدر يسير من الزراعة في بعض النواحي مما لا يكفي كقوام لحضارة ذات شأن يذكر- فالحضارات المحلية القديمة نشأت وازدهرت بين حين وآخر في بعض

---

(١) شيخو: النصرانية وآدابها ٥٦/١، دلو: جزيرة العرب ٢٢٢/٢

(٢) ابن خرداذبة (أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله) المسالك والممالك- دار المدينة- مطبعة بريل ١٨٨٩ ص١٣٤، يختصر إلى ابن خرداذبة: المسالك والممالك. وينظر شهاب: فن الملاحة عند العرب ص٣٩.

(٣) عثمان: الحدود الإسلامية ٥٧/١.

أجزاء الجزيرة العربية، وامتداداتها الشمالية على التجارة[1]، لذا فقد كانت الجزيرة العربية موضع اهتمام الدول الكبرى.

أ- أسباب الاهتمام بالجزيرة العربية والتجارة عبر أجزائها

اهتم البيزنطيون بأمر التجارة، فالتجارة مورد رزق كبير، ولا سيما مع الأقطار الشرقية، فقد كانت بضائعها مرغوباً فيها في أوربة، ومطلوبة تجني الحكومات منها أرباحاً كثيرة، وفي مطلع قائمة هذه البضائع النفيسة الحرير الصيني الذي كان يرد إلى الإمبراطورية من الصين والهند، وقد ازداد الإقبال عليه بصورة مطّردة مع زيادة أسباب الترف، فقد كان يلاقي إقبالاً كبيراً من أثرياء الإمبراطورية ومن أثرياء إمبراطورية روما وبقية أوربا[2].

وسعر هذه المادة كان عالياً باهظاً، إلى درجة كبيرة، صار مشكلة من مشكلات الدولة البيزنطية، ولهذا كانت تتصل دوما بالإمبراطورية الساسانية لمحاولة الاتفاق على تحديد الأسعار، وتعيين الضرائب وذلك بسبب ورود أكثرها من هذه الإمبراطورية إذ كان التجار يأتون بالحرير من أسواق الصين وتنقله القوافل التي تجتاز أرض الدولة الساسانية لتسلمها إلى حدود الإمبراطورية البيزنطية ومنها إلى العاصمة[3]. فيستهلك قسم منها محلياً والباقي يحتكر لوقت الحاجة أو يوزع في الأسواق الأوروبية.

وبما أن العلاقات بين الساسانيين والبيزنطيين كانت آنذاك في توتر دائم، فقد شاعت الفوضى، وعم الاضطراب في الحصول على أهم مادة لديها، وصارت هذه التجارة عرضة للفقدان أو للانقطاع، وحيث أن الحاجة إلى الحرير والذهب والبخور كانت تزداد يوماً بعد يوم لدى الإمبراطورية البيزنطية، فقد اضطرت إلى التفكير في الحصول على ذلك عن طريق غير طريق الإمبراطورية الساسانية، لأن تحكم الساسانيين في مورد مهم

---

(١) فالبتراء مثلاً كانت أهم مراكز التجارة القادمة من جزيرة العرب وقد شغلت مركزاً خطيراً على طريق القوافل الذي يقطع الصحراء واشتهرت تدمر أيضاً كدولة تجارية تمر بها قوافل التجارة بين العراق وسورية.

حتي: تاريخ العرب ص١٠٤ ـ١١١

سالم: تاريخ العرب ص١٨٨- ٢٠٣

(٢) بينز (نورمان) الإمبراطورية البيزنطية تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ط٢ القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧ ص٧٦ ـ٧٧. يختصر إلى بينز الإمبراطورية البيزنطية. وينظر جواد: المفصل ١٦٩/٤.

(٣) بينز: الإمبراطورية البيزنطية ص٢٧٥، جواد: المفصل ١٦٩/٤،

من موارد رزق البيزنطيين، جعلها تلتمس طريقاً آخر آمناً بعيداً عن رقابتهم، فلم تجد غير طريق البحر الأحمر[1]، وبهذا يتضمن الوصول ما تحتاج إليه من الهند والصين إلى البحر الأحمر، ومنه إلى بيزنطة إما براً أو بحراً.

ولضمان ذلك اختط جستيان خطة مفادها الاتصال المباشر بالأسواق الرئيسية المصدرة، ونقل المشتريات إلى الإمبراطورية بالبحر الأحمر[2].

ب- كيفية الحصول على المواد المطلوبة؟

يتم الحصول على المواد المطلوبة بالسيطرة على البحر الأحمر، والدخول منه إلى المحيط الهندي للوصول إلى الهند، وجزيرة سيلان. ولابد لتحقيق ذلك من اتخاذ قواعد برية وبحرية هناك، أضف إلى ذلك أسواقاً تكون تابعة لها، فبذلك تحصل على هذه المواد، وتربح ربحاً حسناً[3]، وتضمن استمرار تأمين هذه المواد بصورة لا تنقطع، فهل حققت ما تريد؟

كان لا يمكن تحقيق السيطرة على هذا البحر وتأمين المواد المطلوبة إلا بعملين: عمل عسكري يعتمد على القوة، وعمل سياسي يتم بالتقرب من الحبشة. فكيف يكون ذلك ؟.

إن الحبشة على دين النصرانية، لذلك كان من الممكن جلبها إلى البيزنطيين بالتودد إليها باسم الأخوة في الدين، وبإرسال المبشرين إلى جزيرة العرب، وبتشجيعهم على المعيشة بين الأعراب، وفي البوادي، لتنصير سادات القبائل، والتأثير عليهم بذلك، وبإقامة الكنائس، وإرسال المال، وعمال البناء لبنائها بأسلوب يؤثر في عقول الوثنيين، فيجعلها

---

(١) بينز: الإمبراطورية البيزنطية ص٢٧٥، جواد: المفصل ١٧٠/٤.

عثمان: الحدود الإسلامية ١٢٠/١ فرح (نعيم): تاريخ بيزنطة مطبعة طربين دمشق ١٩٧٨ ص١٣٠ ـ ١٣١ يختصر إلى فرح تاريخ بيزنطة.

(٢) جواد: المفصل ١٧٠/٤

مجلة دراسات تاريخية عدد ١٥ ـ ١٦، جامعة دمشق ١٩٨٤.

" لمحات من تاريخ آيلة " بقلم صالح درادكه ص٧١.

(٣) bury: history of the later roman empire, ٣١٨/٢

جواد: تاريخ العرب ٢٨٧/٤

جواد: المفصل ٦٥٧/٢

عثمان: الحدود الإسلامية ١٢٠/١

تميل إلى النصرانية، ولتكن هذه المعابد، معاهد تثقف بالثقافة البيزنطية[1]، وبذلك يلحق البيزنطيون ضرراً بالغاً بالفرس، ويكون في استطاعتهم نقل التجارة نحو الغرب عبر جزيرة العرب والبحر الأحمر إلى أسواقهم بكل حرية وأمان[2].

فهل تحقق لها ما أرادت؟

لقد نجحت سياستها هذه نجاحاً أدى إلى غزو الحبشة لليمن بتحريض منها[3]. حيث حكم البيزنطيون اليمن بشكل غير مباشر عن طريق مملكة أكسوم[4].

والواقع أن الدبلوماسية الرومية تجاه الحبشة منذ القرن الرابع الميلادي، وحتى عصر جستنيان، دار محورها حول المحافظة على المصالح الاقتصادية للإمبراطورية الرومية على ضوء حرمان الفرس للسفن الرومية من الوصول إلى السواحل الغربية للهند، وجزيرة سيلان، وعلى ضوء تحكم الفرس الاقتصادي في تجارة الروم البرية مع الشرق من ناحية ثانية[5]، ونجاح الحبشة في القيام بدور الوسيط التجاري في ميدان الملاحة مع الهند، ونقلهم السلع التجارية إلى ميناء عدول[6]، الذي صار سوقاً عالمياً للسلع التجارية الشرقية والإفريقية من ناحية ثانية[7].

وعلى ضوء العلاقات الدبلوماسية القوية بين الروم وجنوب البحر الأحمر (الحبشة واليمن) بذل جستنيان جهوداً كبيرة بغية تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية ضد عدوه في الشرق (الفرس).

---

(١) جواد: المفصل ١٧١/٤

(٢) جواد: المفصل ١٧٠/٤ ـ ١٧١

(٣) هل: الحضارة العربية ص٦

أرياني: نقوش مسندية ص٢٤٥

شريف: مكة والمدينة ص١٦١

(٤) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص١١٩.

(٥) الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ص١٧٣

(٦) عدول هي التي ذكرها بعض شعراء العرب في الشعر الجاهلي وهي ميناء الحبشة التجاري، وهذا الميناء اندثر ومازالت آثاره باقية عند ضواحي ميناء زيلع بالقرب من خليج انسيلي: الشاعر: السياسة الشرقية ص١٧٤ حاشية.

(٧) حوراني (جورج فضلو) العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر مطابع دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٥٨ ص٩٨ ـ ١٠٠

والجدير بالذكر أن هدف هذه الدبلوماسية البيزنطية كان توحيد قوى الأكسوميين والحميريين وبدو وسط جزيرة العرب وشماليها لخلق تهديد جانبي لقوات الفرس، وحلفائهم اللخميين(1)، ولكن هذه الدبلوماسية أخفقت في تحقيق الأهداف الاقتصادية المشتركة لهذه القوى، ومرد هذا الإخفاق يعود إلى التنافس الشديد بين التجار الفرس والأحباش، فتجار الفرس كانوا على استعداد تام لشراء كل المحمولات، وبأسعار عالية من ناحية، ولرفض أصحاب السفن التجارية لطلب الحبشة من ناحية ثانية(2)، كانت آنذاك ضئيلة العدد، وبالتالي لا تمتلك الإمكانات الكافية من المقدرة الجيدة ليكون باستطاعتها منافسة القوافل التجارية الفارسية(3).

أضف إلى ذلك ما واجهته الدبلوماسية البيزنطية حيث تمكن أبرهة من الاستيلاء على السلطة باليمن(4).

ففي عهده صارت اليمن تابعة للحبشة من الناحية الاسمية فقط، وهي في الواقع شبه مستقلة عن الحبشة، وأمام هذا الموقف حاولت الدبلوماسية البيزنطية الزج بأبرهة في حلبة الصراع الفارسي البيزنطي، فباءت جهودها بالإخفاق، بالرغم من الوعود العديدة التي قطعها أبرهة على نفسه للإمبراطور جستنيان(5).

ألم يغزو مكة بتحريض منها بغية السيطرة على المنطقة الغربية من جزيرة العرب، والاتصال بملك الروم وتهديد الفرس؟

وعلى ذلك لم يعد أمام السياسة البيزنطية بالنسبة لليمن في عهد أبرهة سوى العمل على استمالته للمحافظة على أمن طريق التجارة وسلامته بين اليمن والشام باعتباره يسيطر على أهم جزء من الجزيرة العربية في وقت اشتدت فيه الصراعات السياسية والاقتصادية بين الفرس والروم، وتولت هي تأمين الجزء الشمالي لطريق القوافل.

---

(1) يختصر إلى حوراني: العرب والملاحة وينظر الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ١٧٤.

(2) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص٩٦

(3) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص٩٦-٩٧

(4) ينظر فيما بعد من هذا الفصل

(5) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص١٣٦.

جواد: المفصل ٤٩٢/٣.

الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ص١٨٠.

ج- اتخاذ القوى البيزنطية قواعد لها

سخر البيزنطيون كل قواهم للهيمنة على جزيرة العرب، وأبعادها عن الفرس، وعن الطامعين فيها على الأقل، حيث كان آنذاك صراع سياسي اقتصادي ديني ومتعدد الأطراف ظهر فيه البيزنطيون والفرس والأحباش واليمنيون ووجود وفاق أو خلاف بين هؤلاء الأطراف كان أمراً يخضع لكثير من التغير من ظرف إلى ظرف، ومن هنا، فإن احتكاكاً أو اتصالاً بين ملك اليمن، وملك الحيرة، كان أمراً وارداً[١].

أضف إلى ذلك، اتخذ البيزنطيون قواعد برية وبحرية لتحقيق ما اختطوه، فميناء القلزم، ويقع على مقربة من السويس، كان يقيم به الوكيل التجاري لمراقبة سير السفن والتجارة، ووضع التعليمات لتنظيم التجارة البحرية[٢].

وكان عدولي كما ذكر من أهم مراكز التبادل التجارية بين الإمبراطورية البيزنطية وبلاد المحيط الهندي، يصل التجار منه إلى أسواق الحبشة الداخلية أو إلى موانئ سقطرى التي كانت مركزاً هاماً من مراكز التجارة في البحر[٣].

أما ميناء أيلة، فقد كان في أيدي البيزنطيين، وكان موضعاً لتفريغ السفن المحملة بالبضائع المرسلة من الهند إلى فلسطين، وبلاد الشام[٤].

أما جزيرة أيوتابا التي تعرف بتاران او تيران[٥] وسكانها قوم يعرفون ببني جذان[٦]،

---

(١) يحيى: العرب في العصور القديمة ١٥١-١٥٢.

(٢) bury ; history of the later roman empire, ٢/٣١٨

جواد: تاريخ العرب ٨٧/٤.

جواد: المفصل ٦٥٧/٢، عثمان:الحدود الإسلامية ١٢٠/١

(٣) حوراني: العرب والملاحة ص٩٨- ١٠٠

الشاعر: السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية ص ١٤٧

(٤) جواد: المفصل ٦٥٧/٢

(٥) تاران او تيران يعني نوعا من طيور البحر. موسل: شمال الحجاز ١١٢ وهذه الجزيرة هي نفسها جزيرة طيور البحر أو عجل البحر.

موسل: شمال الحجاز ص١٢

(٦) ياقوت: معجم البلدان مادة تاران يقول ياقوت مابين القلزم وايلة مكان يعرف بتاران ياقوت: معجم البلدان مادة قلزم.

فقد كانت مركزاً مهماً لجمع الضرائب من السفن القادمة من الهند[1]، وكان موقعها مهماً، فهي ملتقى الطرق البحرية والبرية، حيث كانت في ايدي بعض رؤساء القبائل[2].

وأما ما وقع بعد هذه المنطقة حتى مضيق باب المندب، والمحيط الهندي، فلم يكن للبيزنطيين عليه نفوذ[3].

د ـ بيزنطة وعلاقتها بمكة

استغل اهل مكة الوضع السيء الذي طرأ على اليمن بدخول الحبش اليها، ومن تردي الاوضاع السياسية فيها، والاضطرابات المستمرة التي وقعت بتصادم الوطنيين، والغزاة الاحباش، فاضمحل كل نفوذ سياسي او عسكري، كان لحكومات اليمن في الحجاز، أو على الاقل على بعض القبائل وقاموا بمهمة الوسيط، وفي الوقت نفسه وجدت قريش نفسها حرة مستقلة، وفي وضع يمكنها من ممارسة التجارة، فقامت بنقل تجارة بلاد الشام وحوض البحر المتوسط إلى الحجاز، وبنقل تجارة بلاد اليمن إلى أسواق فلسطين، وبذلك حصلت على ارباح طائلة جعلتها من أغنى العرب عند ظهور الاسلام، وصيرت مكة مركزاً خطيراً من مراكز الثروة والمال في جزيرة العرب في ذلك الحين، حيث أصبحت جسراً ربط الشمال بالجنوب والشرق بالغرب[4].

وبدا واضحاً أن ارستقراطية قريش جمعت ممارساتها الطويلة، وتنوع صلاتها الخارجية ميزتين: الاطلاع الدقيق على شؤون الصراع السياسي بين الفرس والروم، والحس المرهف بحدود الموقع الذي تقف فيه بين المتصارعين لتحتفظ بمصالحها التجارية لدى كل منهما كاملة، فكونت خبرات تجارية، ودبلوماسية وسياسية، دفعتها لاتخاذ موقف سياسي اسماه بعض الباحثين المحدثين " الحياد[5] " أي الابتعاد عن استخدام القوة

(١) بينز: الامبراطورية البيزنطية ص ٢٨٢، جواد: المفصل ١٧٠/٤

(٢) جواد: المفصل ١٧٠/٤. جواد تاريخ العرب ٣٨٨/٤

(٣) جواد: المفصل ١٧٠/٤.

جواد: تاريخ العرب ٣٨٨/٤

(٤) سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص٣٤١، دلو: جزيرة العرب ١٣٠/١.

(٥) شريف ـ مكة والمدينة ص٩٢ ـ ١٤١.

الدوري: (عبد العزيز) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، بيروت ١٩٦٨ ص١١، يختصر إلى الدوري مقدمة في التاريخ الاقتصادي، سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص٣٥٧. جواد: تاريخ العرب ٢٠٤/٤.

كوسيلة لحل المشكلات المتنازع عليها، واللجوء إلى المفاوضات السلمية، وإقامة علاقات ودية أو حسنة، او على الاقل تطبيع علاقات مكة مع امراء العرب، والحكومات الأجنبية، وعدم التورط في الانضمام إلى معسكر الساسانيين، أو معسكر البيزنطيين الذين كانا يتنازعان السيطرة على المنطقة العربية.

لقد أعانهم على اتخاذ موقف الحياد، رغبة المعسكرين في وجود مثل هذا الوسيط المحايد من ناحية، وبعد مكة، وصعوبة الوصول اليها من ناحية اخرى، ومع ذلك فلم تسلم مكة من محاولة السيطرة عليها محاولات حربية وسياسية باءت بالإخفاق[1] بفعل عوامل خارجة عن قدرة المكيين مرة، وبإصرار رجال مكة على حيادهم واطمئنانهم إلى موقعهم مرة أخرى.

كان هذا الموقف من مصلحتهم، فقد انفتحت مكة على رحاب الجزيرة، والعالم الخارجي، وتدل الأخبار التي تتحدث عن علاقاتهم الحسنة مع الروم والفرس، على أن هذه العلاقات، كانت خاضعة للتنظيم بالفعل، فليس من باب العفوية مثلا أن " كانت القوافل التي تذهب من بلاد العرب إلى بلاد الشام، تنزل في أسواق معينة حددتها لهم الحكومة البيزنطية، لتحصل منهم على الضرائب المفروضة، ولتراقب الأجانب الذين يقدمون بلادها، وكانت هذه القوافل أول ما تنزل في البلاد الرومية تنزل في أيلة، وهي المعروفة اليوم بالعقبة، ومنها تذهب إلى غزة، وهناك تتصل بتجار البحر الأبيض المتوسط، ومن غزة يذهب بعض التجار إلى بصرى[2] ". بل لابد أن يكون مثل هذا التحديد، نتيجة لاتفاقات رسمية معقودة بين أصحاب هذه القوافل، أو من يمثلهم من زعامة قريش، وبين الحكومة البيزنطية، أو من يمثلها في بلاد الشام وفلسطين. ولعل الدافع لعقد هذه الاتفاقات ترضية سادات العربية الغربية، لضمان سلامة التجارة عند تعسف الساسانيين

دلو: جزيرة العرب ١/١٣٣-١٣٤.

(١) ابن هشام: السيرة ٤٥/١ وما بعد

الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٣١/٢

ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٤٢/١، النويري: نهاية الأرب ٣٠٦/١٥

ابن كثير: البداية والنهاية ٢١٢/٢. نافع: عصر ماقبل الاسلام ص٨

(٢) امين (احمد) فجر الاسلام - مكتبة النهضة المصرية ط٩، ١٩٦٤ ص١٥ يختصر إلى امين: فجر الاسلام. وينظر شريف: مكة والمدينة ص٢٠٧.

حوفي (احمد محمد) الحياة العربية - دار القلم - بيروت ط٤، ١٩٦٢ ص ٩٩ يختصر إلى حوفي: الحياة العربية.

بالتجارة البرية.

وربما كان هذا منبعثاً من عدم اطمئنان البيزنطيين لحياد زعامة مكة حيال الصراع السياسي بينهم، وبين الساسانيين حتى ليستظهر بعض المؤرخين الغربيين، أنه كان في مكة بيوت تجارية رومية تزاول التجارة للروم، كما كان فيها أحباش يرعون مصالح قومهم[1] ". فلا يستبعد ان يكون من بين تجار الروم في مكة من كان عيناً للبيزنطيين على العرب، يتجسس لهم ويتسقط أخبارهم، ويكتب إليهم عن صلات العرب بالساسانيين، وعن أخبار هؤلاء في الجزيرة العربية، واتصالاتهم بالقبائل، وأهل الجزيرة لحاجة الروم إلى تلك المعلومات بهدف إفساد خطط الفرس الساسانيين، وإبعادهم عن بلاد العرب وعن البحار[2].

وقد يكون من وراء عقد الاتفاقات مع العرب تحصيل الضرائب منهم المفروضة على الصادرات، ومن ثم التطلع إلى مد السلطان للعربية الغربية، وجعلها تحت سيطرتهم، وبما ان تبادل السلع التجارية كانت تحت سيطرتهم، ويتم في المراكز الحدودية مثل قلزم في مصر، وغزة في فلسطين وبصرى في جنوب سورية، فقد كان للحجاز، ومكة لدى بيزنطة اهمية خاصة إذ بها كانت تمر حركة التبادل التجاري كما ذكر، وهذا

---

(١) أمين: فجر الاسلام ص ١٥

حوفي: الحياة العربية ص١٠

(٢) O LEARY, (DELACAY), ARABIA DEFORE MUHAMMED, LONDON ١٩٢٧,P.١٨٤,BRIEF O LEARY.

وينظر جواد: تاريخ العرب ٢٠١/٤.

عوض الله: مكة ص ١٣١ حاشية.

مروة (حسين) النزعات المادية - دار الفارابي - بيروت ١٩٧٨ ج١ ص٢٠٦ يختصر إلى مروة: النزعات المادية.

دلو: جزيرة العرب ١/ ١٣٦ - ١٣٧

تذكر المصادر العربية من بين تجار الروم الذين أقاموا في مكة شخصيات عرفت أنها موالٍ لبعض زعماء قريش أمثال صهيب الرومي الذي كان مولى لعبد الله بن جدعان ثم صار من أثرياء مكة، وقد اسلم فيما بعد، وصار من موالي النبي (ص).

ابن هشام /السيرة / ١/ ٢٨٠.

ضيف: العصر الجاهلي ص٥٠

رفاعي: الإسلام في حضارته ٥/١

ماجذبها للسيطرة عليها[1]، فحرضت الأحباش، وسار أبرهة إلى مكة بحملة سميت حملة الفيل، فلو تحقق هذا المشروع لكان الجزء الغربي من جزيرة العرب تحت سيطرة البيزنطيين، ولكن احلام بيزنطة اخفقت ولم تحقق ماحلمت به[2].

هـ - بيزنطة والقبائل العربية

شغلت القبائل العربية منذ القرن الرابع الميلادي وضعاً فريداً على حدود الإمبراطورية الرومية الشرقية، ذلك أن دورها كدولة عازلة تفصل بين الدولتين بالشرق الأدنى، أي بيزنطة وإيران لم يكن قد تحدد بعد.

غير أن مشاركة هذه القبائل في الحروب الدائرة بين هاتين الدولتين وموافقتها على مد يد العون، أو رفضها لهذا الطرف أو ذاك، كل هذا خلق ضرباً من التعاون لم تلبث أن ظهرت أبعاده بصورة متكاملة فيما بعد، عندما احتلت دولتا الغساسنة واللخميين مكانتهما التي تجلت بوضوح في القرنين الخامس والسادس.

والجدير بالذكر أن القبائل العربية، استغلت الضعف الذي ظهر على الحكومة السلوقية منذ القرن الثاني قبل الميلاد[3]، وأخذت تزحف نحو الشمال وتهدد المدن القريبة من البوادي، وتحاول الاستيلاء عليها، وقد تمكنت من الاستيلاء على بعضها، وكونت حكومات يمكن ان يطلق على كل منها اسم مشيخة، أو إمارة حسب التسمية الحديثة للكلمة، إلا أن هذه المشيخات كانت قصيرة العمر، وكان حجمها يتوسع، أو يتقلص بسرعة، لأن قوتها بقوة حكامها[4].

---

(١) نيكيتا: الشرق الإسلامي ص٥٤ - ٥٥

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية ٤٥/١ ومابعد،

الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٣١/٢.

ابن الاثير: الكامل في التاريخ ٤٤٢/١.

النويري: نهاية الأرب ٣٠٦/١٥.

ابن كثير: البداية والنهاية ٢١٢/٢.

نافع: عصر ما قبل الإسلام ص٨٧.

(٣) جواد: المفصل ٦٠٤/٢

(٤) جواد - المفصل ٦٠٠/٢

فكيف كانت بيزنطة تتعامل مع القبائل العربية؟

١- سياسة بيزنطة مع القبائل العربية

كانت القوة ضرورية مع القبائل العربية، وكانت الصرامة لازمة تجاههم لكبح جماحهم، والحد من غلواء غزوهم للحدود وللحواضر، والمصادر البيزنطية للقرنين الرابع والخامس. تعكس اتجاهين سياسيين للإمبراطورية فيما يتصل بالعرب، أما أحدهما فيهدف إلى اخضاعهم، وربطهم بمعاهدات تتم إما عن طريق القوة أو بالطرق الدبلوماسية، وأما الاتجاه الآخر فهو صبغهم بحضارتها، وعلى وجه خاص إدخالهم في عقيدتها النصرانية[1]، فالتساهل معهم معناه في نظر الأعراب وجود ضعف في تلك الحكومات، وأن معنى ذلك طلب المزيد.

لقد اعتبرت بيزنطة، أنه من الحماقة محارية الأعرابي في دياره لأنه أعلم من الحضري بالبادية، ومن الخير مداهنته، واسترضاؤه، وذلك بالاتفاق مع سادات القبائل الأقوياء، أصحاب الشخصيات والمواهب، ودفع هبات مالية سنوية لهم ترضيهم[2] في مقابل ضبط الحدود، وحمايتها من خطر مهاجمة الأعراب لها، وغاراتهم عليها، مهما كان أصل أولئك الأعراب. والاشتراك مع أولئك الحكام المتحالفين معها في حروبهم لأعدائهم، بتقديم الخدمات الضرورية اللازمة لهم في الحروب، مثل تقديم الجمال لهم لحمل الجنود، والأثقال، والماء، وكل ما يحتاج إليه الجيش في عبوره إلى البوادي[3].

وتقرن الجعالات السنوية بهدايا وألطاف يقدمها الحكام إلى سادات الأعراب، وبألقاب مشرفة، تبهج النفوس الضعيفة، لاستوائهم إلى جانبهم، وبدعوات توجه إليهم في المناسبات لزيارة أولئك الحكام، والنزول في ضيافتهم، فتستغل الوضع وتخلع عليهم الخلع التي تستويهم[4]، وبذلك تكسبهم إلى جانب أولئك الحكام[5] عندما تشتد الأزمات، أو

---

(١) بيغوليفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران ص ٦٠- ٦١

(٢) بيغوليفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران ص٥٣.

الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ١٦٢

(٣) جواد: المفصل ٢/٦٠٣

(٤) نولدكه (ثيودور)، أمراء غسان، ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٣٣ ص ١٣ يختصر إلى نولدكه، أمراء غسان.

(٥) جواد: المفصل ٢/٦٠٣. الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ص ١٦٢

على الأقل إن لم يشاركوا معها فهي تضمن ولاءهم، ولم يخف على الأعراب ذلك، فاستغلوا أهمية الطرق البرية التي كانت تمر بالبوادي، والتي عدت شرايين التجارة العالمية آنذاك، فتحكموا في مسالكها، وأخذوا يعاملون الحكومات وفقاً لحاجتها إلى هذه الطرق، فيجبرونها على تقديم أحسن الترضيات لهم لتقديم خدماتهم والانضمام إليهم، وإلا أضربوا عن الحراسة، وأثاروا الأعراب عليهم، وهاجموا هم أنفسهم تلك الحدود، حتى تجاب مطالبهم أو يسترضوا، وعندئذ يقبلون بالعودة إلى عملهم(١)، لذا فقد أقامت بيزنطة مراكز محصنة على طرق الصحارى زودتها بحاميات قوية ذات بأس، ولها علم بالبادية، ومواقعها، ودروبها، ومعها ما تحتاج اليه من الميرة والماء(٢).

٢- صداقات بيزنطة مع رؤساء العرب

اتخذت بيزنطة صداقات متعددة في بلاد العرب بهدف إقامة توازن مع إمارة الحيرة من ناحية، ولتأمن شر هذه القبائل ذاتها من ناحية أخرى، ولتعمل هذه القبائل على منع الغارات الخاطفة التي اعتادت عليها قبائل البدو الرحل.

فالأمراء الضجاعمة(٣)، كانوا تحت حماية الدولة البيزنطية، واليهم يعود حكم الأراضي الواقعة على الحدود السورية، فقد نجح الروم في كسبهم إلى صفهم في أواخر القرن الرابع الميلادي(٤).

ومع مرور الزمن أخذ الغساسنة يستولون على الأراضي التي كانت تابعة للضجاعمة(٥). وما جاء النصف الثاني من القرن الخامس حتى كانت سيطرة الغساسنة تامة على هذه المناطق، على أن شهرة الغساسنة بدأت في عهد الحارث بن جبلة الذي كان عاملاً للروم(٦)، ومعاصراً للإمبراطور جستيان، وقد مارس جهوداً عسكرية،

---

(١) جواد: المفصل ٦٠٣/٢

(٢) جواد: المفصل ٦٠٢/٢. عثمان: الحدود الإسلامية ٥٧/١

(٣) ينسب الضجاعمة إلى سليح بن حلوان بن ضجعم وهم الذين دحرهم الغساسنة وفرضوا سيادتهم عليهم ابن خلدون: العبر ٢٧٨/٢.

(٤) تولدكه: أمراء غسان ص٦

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢٠٧/١

ابن خلدون: العبر ٢٧٩/٢، تولدكه: أمراء غسان ص٦، باشميل (محمد أحمد) العرب في الشام قبل الإسلام - دار الفكر ط٢، ١٩٨٧ ص١٧٨ يختصر إلى باشميل العرب في الشام.

(٦) تولدكه: أمراء غسان ص٩، جميلي: محاضرات ١٢٥

ودبلوماسية، ودينية طوال عصر جستنيان فمنحه القاباً لم يحظ بها شيخ عربي من قبل طوال التعامل مع الروم، وعين أميرا على جميع قبائل العرب في سورية[1]. وكان غرض جستنيان من ذلك " أن يقيم خصما قوياً في وجه المنذر ملك عرب الفرس[2]".

ولقد عقد الحارث بن عمرو الكندي حلفاً مع بيزنطية، يساعدها بموجبه في حروبها ضد الفرس واللخميين في الحيرة، وقد وجدت كندة تحت حكمها عدة قبائل من وسط الجزيرة[3] وكان لها ملك بالحجاز واليمن[4].

والجدير بالذكر أن العرب الذين انتشروا على حدود الحجاز الشمالية كانوا موالين للبيزنطيين وهم جذام، وبلي، وعذرة وبهراء، وكلب، ولخم، ومجموعة القبائل القضاعية[5]، حيث اعتبرت قضاعة صنيعة الروم[6].

أضف إلى ذلك انه كانت للقيصر جستنيان صداقة مع رئيس اسمه أبو كرب، يقع ملكه في أعالي الحجاز[7]، وفي المناطق الجنوبية من فلسطين عرف هذا الرئيس بالحزم والعزم، فخافه الأعداء، واحترمه الأتباع، واتسع ملكه، وتوسع سلطانه حتى شمل مناطق واسعة، ودخلت في تبعيته قبائل عديدة أخرى، على القانون الطبيعي في البادية الذي يحتم دخول القبائل طوعاً، وكرهاً في تبعية الرئيس القوي.

أراد هذا الرئيس ان يتقرب إلى القيصر، وأن يبالغ في تقربه اليه، وفي إكرامه له، فنزل له عن أرض ذات نخيل كثير عرفت عند الروم بواحة النخيل، أو غابة النخيل، وهي أرض بعيدة، لا تبلغ إلا بعد مسيرة عشرة أيام في أرض قفرة، فقبل القيصر هذه الهدية الرمزية[8] على الرغم من أنه كان يعلم عدم فائدتها له، وأضافها إلى أملاكه، وعين هذا

---

(١) نولدكة: أمراء غسان ص ١٢، ضيف: العصر الجاهلي ص٤١

(٢) نولدكة: أمراء غسان ص ١١

(٣) موسكاتي: الحضارات السامية ص ٢٠٤

(٤) قلقشندي: قلائد الجمان ص ٧٢

(٥) ابن خلدون: العبر ٢٤٧/٢ وما بعد، عثمان: الحدود الإسلامية ٧١/١

(٦) ابن خلدون: العبر ٢٤٧/٢ ، علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي ص٨٨.

(٧) ابن هشام: السيرة ٢١/١

الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٠٨/٢

الشاعر: السياسة الشرقية ص١٨

(٨) موسل: شمال الحجاز ص١٢١، جواد: تاريخ العرب ٢٩٤/٤

الشيخ عاملاً فيلا رخاً على عرب فلسطين[1]، وقد استطاع هذا بدوره السيطرة على واحتي تبوك وتيماء[2].

وأبو كرب هذا من المعاصرين للحارث بن جبلة ملك الغساسنة، وقد كان حكمه قبل عام ٥٤٢م بدليل إرساله رسولاً إلى ابرهة لتهنئته عندما رمم سد مأرب الذي أنجز في هذه السنة[3].

هذه الأرض التي حكمها أبو كرب هي الأرض التي حكمها امرؤ القيس من قبل فقد كان له ملك في العراق والحجاز والجزيرة[4]، وكذلك كانت له صلات حسنة بالروم وقد كان في الأصل من عرب المناطق الخاضعة للفرس[5]، ثم هجر دياره لسبب غير معروف إلى الأرض الخاضعة لنفوذ الروم، وأخذ يغزو الأعراب حتى هابته القبائل، فتوسع نفوذه حتى بلغ البحر الأحمر، وامتد إلى العربية الصخرية حيث تمكن في بداية القرن الرابع الميلادي من تثبيت سلطانه على قبائل أسد(آزد) ونزار ومذحج، ومعد. يذكر نقش يعرف باسم نقش النمارة يعود تاريخه لسنة ٣٢٨م[6] بأن هذا الملك قد وضع فرقة من جنوده تحت تصرف الروم[7]، وفي هذا دليل على اعتراف الروم بسلطانه، أضف إلى ذلك، قبره

---

(١) جواد: المفصل ٦٥٨/٢، جواد: المفصل ١٧٤/٤.

(٢) الشاعر: السياسة الشرقية ص١٨٠

(٣) شيخو: النصرانية وآدابها ٦٣/١، جواد: تاريخ العرب ٢٠٢/٣.
عابدين بين الحبشة والعرب ص٦١.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٦١/٢، جواد: المفصل ١٩٤/٣. الحوفي: الحياة العربية ١١١، فرعون: السياسة الساسانية ص٤٦.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٦١/٢، موسل: شمال الحجاز ص١١٩. جواد: المفصل ٦٥٤/٢، عثمان: الحدود الإسلامية ١٢١/١. بيغوليفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران ص٤٦١.

(٦) ديسو: العرب في سورية ٣٤/٣٣. ينظر الملحق رقم (٩).
عابدين: بين الحبشة والعرب ص٣٥.
بيغوليفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران ص ٤٤.
بافقيه: في تاريخ اليمن ص ١٥٠.
علي حسن: التاريخ الإسلامي ص٧١.

(٧) عاقل: العصر الجاهلي ص١٥٥ ،
بيغولفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران ص٤٠ ـ ٤١

الذي أقيم في النمارة في إقليم كان تابعاً للروم[1].

استولى امرؤ القيس على جزيرة ايوتابا[2] "تاران الحالية" التي جعلها " موقعها الجغرافي في ملتقى الطرق البحرية والبرية، حيث تقع إلى الجنوب من شبه جزيرة سيناء عند مدخل خليج العقبة (أيلة)، وبفضل هذا الموقع الجغرافي، شغلت كل من جزيرة تيران، وميناء أيلة دوراً هاماً في سياسة أباطرة بيزنطة، ودولة أكسوم الحبشية، وإيران، والقبائل العربية بالشام، والمستوطنات اليهودية بالجزيرة العربية[3] ".

ترك امرؤ القيس رجاله في هذه الجزيرة، يجبون الضرائب من السفن القادمة من الهند فحصل بذلك على ثروة كبيرة[4]، وعزم في سنة ٤٧٣م على إرسال الأسقف بطرس، أسقف الأعراب التابعين له إلى القسطنطينية ليتصل بالقيصر، وليتوسط لديه هناك أن يوافق على تعيينه عاملاً على الأعراب المقيمين في العربية الحجرية، والخاضعين لنفوذ الروم، مقابل دخوله في حلف معهم، فاستجاب القيصر ليو إلى طلب بطرس، فأرسل بدعوة إلى امرئ القيس لزيارة القسطنطينية، ولما وصل رحب البيزنطيون به ترحيباً جميلاً، ومنح لقب فيلا رخ[5]. ولم يعد خافياً أن الإمبراطور ليو قد تيقن من أهمية منطقة البادية كحزام على الحدود، ومن ضرورة استتباب الأمن والسلام على تخوم الإمبراطورية وأخيراً من أهمية موقع أيوتابا والبطرا، لذا فقد رأى من الأحزم أن ينهج نهجاً سلمياً مع الفيلارخ الذي كان في استطاعته أن يقدم الكثير من الخدمات حتى وإن كان المقابل لذلك حرمان الخزانة من دخل مكوس جزيرة أيوتابا، ولم تعد جزيرة أيوتابا إلى يد الروم

---

(١) ديسو: العرب في سورية ص٣٦.

(٢) موسل: شمال الحجاز ص١١٩.

(٣) بيغولفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران ٧٠ ـ ٧١.

(٤) بيغوليفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران ص٧٠-٧١.

(٥) موسل: شمال الحجاز ص١١٩،

جواد: تاريخ العرب ٢/٢٦٦ ـ ٢٦٧.

جواد: تاريخ العرب ٤/٥٩٤ ـ ٥٩٥.

جواد: المفصل ٢/٦٥٤-٦٥٥.

بيغولفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وايران ص٧٢-٧٣.

عثمان: الحدود الإسلامية ١/١٢١

إلا في عهد القيصر انسطاس الذي انتقل الحكم له حوالي ٤٩١ م[١]، فحوالي عام ٤٩٨ م زحف رومانوس إليها، دوكس قائد جند فلسطين، وأسر حجر الكندي واحتل من جديد جزيرة أيوتابا منتزعاً إياها من الكنديين[٢].

والجدير بالذكر أن المصادر صمتت عن ذكر الوقت الذي تنصر فيه امرؤ القيس، وعن الوقت الذي أنشأ فيه ديوان الضرائب بهذه الجزيرة، إلا أنه يمكن الاستدلال من الأحداث السالفة على ضعف السياسة البيزنطية إزاء القبائل العربية مما شجع امرؤ القيس على مد يده على مناطق واسعة، ومن ثم يمنح لقب فيلا رخ الاعتراف به رسمياً زعيماً أو رئيساً للقبائل - فامرؤ القيس هذا، هو مثل واحد من أمثلة عديدة عن سادات قبائل راجعوا البيزنطيين لاستمداد العون منهم وللحصول منهم على اعتراف رسمي بتنصيبهم رؤساء على الأعراب النازلين في ديار خاضعة لسلطانهم، أو لمساعدتهم في مقارعة عرب الحيرة أو الفرس، والظاهر أن مثل هذا الاعتراف، كان يكسب الرئيس قوة، ويمنحه منزلة ومكانة في تلك الأيام، حتى وإن كان الروم على مسافة غير قريبة من الرئيس، وليس لهم حول مادي يقدمونه إليه.

٣- قضية عثمان بن الحويرث

كانت لأهل الحجاز، ولاسيما مكة علاقة اقتصادية مع الروم، وعلى هذه العلاقة كانت تتوقف العلاقات السياسية في غالب الأحيان، ولا شك أن حملة أبرهة كانت إحدى هذه المحاولات العسكرية كما سبق ذكره.

فقد كانت هناك محاولة سياسية أخرى مع العرب هي محاولة تمليك سيد من العرب على مكة، يدين بالولاء لدولة الروم، فارتضى قيصر لملك مكة رجلاً من ساداتها هو عثمان بن الحويرث بن اسد بن عبد العزى القرشي[٣]، ذكر أهل الأخبار: أن عثمان بن الحويرث، كان من الهجائيين في قريش، ومن العالمين بأخبار رجالها، رأى حاجة قريش

(١) runciman: byzantine civilisation, london, ١٩٥٩,p.٣٠١،
brief: runciman,byzantine civilition
وينظر موسل: شما لالحجاز ص١٢٠-١٢١.

(٢) بيغولفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وايران ص٧٣.
عثمان: الحدود الاسلامية ١/١٢١.

(٣) ابن حبيب: المنمق ص٥٤.
عوض الله: مكة في عصر ماقبل الاسلام ص١٣٣

إلى بلاد قيصر ومتجرهم إليهم، فخرج إلى قيصر[1]، وذكر له مكة، ورغّبه بها، وقال: يكون زيادة في ملكك، كما ملك كسرى صنعاء، فكتب له كتاباً إلى قريش بالملك، وفي بعض الروايات، ختم الكتاب بذهب[2]، وحمله على بغلة بسرج مذهب، فأتى قريشاً وقال:

" يا قوم إن قيصر قد علمتم مكانكم ببلاده، وما تصيبون من التجارة في كنفه، وقد ملكني عليكم وأنا ابن عمكم وأحدكم، وانما آخذ من أحدكم الجراب من القرظ، والعكة من السمن، والإهاب فأجمع ذلك ثم أذهب إليه، وأنا أخاف إن أبيتم ذلك أن يمنع منكم الشام فلا تتجروا به، وينقطع مرفقكم منه[3] "، فخافوا قيصر، وأخذ بقلوبهم ما ذكر من متجرهم، فأجمعوا أن يعقدوا على رأسه التاج عشية، وفارقوه على ذلك، فصاح ابن عمه أبو زمعة الأسود بن المطلب بن أسد ابن عبد العزي بن قصي[4]، وقريش على أحفل ما كان عليه في الطواف:

يا عباد الله " ملك بتهامة ألا إن قريشاً لقاح لا تملك ولا تملك[5] " وبذلك لم يتحقق حلم عثمان بن الحويرث[6].

---

(١) ابن حبيب: المنمق ص٥٤، عوض الله: مكة في عصر ماقبل الاسلام ص١٣٣

(٢) الزبيري (عبد الله بن المصعب) نسب قريش - دار المعارف ط٣، ١٩٥١ص٢١٠ يختصر إلى الزبيري: نسب قريش

(٣) ابن حبيب: المحبر ص١٧١.

عوض الله: مكة في عهد ما قبل الإسلام ١٣٣.

شريف: مكة والمدينة١٦٢

(٤) ابن حزم الأندلسي (أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد) جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف بمصر ١٩٦٢ح١ ص١١٨ يختصر إلى ابن حزم: الجمهرة. الجارم (محمد نعمان) أديان العرب في الجاهلية مطبعة السعادة بمصر ط١٩٢٣ ص ١٨ يختصر إلى الجارم: أديان العرب.

(٥) الزبيري: نسب قريش ص٢١٠، الفاسي: شفاء الغرام ٢/١٧١-١٧٢.

ابن رستة: الأعلاق النفيسة ص٥٨. الجارم: أديان العرب ص١٨

مجلة دراسات تاريخية العدد (١١) عام ١٩٨٣، مقالة بقلم صالح درادكة ص٢٨

(٦) ابن هشام: السيرة النبوية ١/٢٣٤. ابن حبيب: المحبر ١٧١، ابن حبيب: المنمق ١٥٢ وما بعد. السهلي: الروض الأنف ١/١٤٦، الحلي: (هبة الله) المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية - تحقيق صالح موسى دراركة، ومحمد عبد القادر خريسات، الجامعة الأردنية ط١ - ١٩٨٤ ح١ ص٦٤ وما بعد يختصر الحلي المناقب. الفاسي: شفاء الغرام ٢/١٧١ -١٧٢، شيخو: النصرانية وآدابها ١/١٢٠-١٢١ كستر (م.ح) الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية، ترجمة يحيى الجبوري جامعة بغداد ١٩٧٦ ص٢١، يختصر إلى كستر

قد يبدو الأمر غريباً أن يملك قيصر رجلاً على مكة، وليس للبيزنطيين نفوذ على هذه الجهات، فإن نفوذهم الفعلي لم يتجاوز في وقت من الأوقات أعالي الحجاز، ومن ناحية أخرى فكيف وصل عثمان إلى قيصر وقابله في القسطنطينية مع العلم أن الروم قد عينوا بعض الأماكن في بلاد الشام لا يمكن لعربي تجاوزها؟، ومن ثم فبأي لغة تكلم عثمان مع القيصر؟، وما هي إمكانيات عثمان المعنوية حتى يتوصل إلى ذلك ؟.

لو أخذ بعين الاعتبار أن عثمان تاجر، والتاجر يجوب أنحاء العالم وله طريقة خاصة في التفاهم مع الآخرين، ولكن الروم عينوا حتى للتجار بعض المواضع فلا يستطيع التاجر أن يتجاوز أكثر من بصرى في سفرته.

من الممكن أن عثمان في تجارته قابل بعض حكام بلاد الشام، وتفاهم معه بطريقة أو أخرى، وهذا الحاكم أخبر القيصر، وأخذ منه اعترافا بتمليك عثمان أو أن هذا الحاكم اعتبرته الروايات قيصر.

ثم أن الرواية تذكر أن عثمان رغب قيصر بمكة وذكرها له وقال:

" يكون زيادة في ملكك كما ملك كسرى صنعاء" فهل كان خافياً على قيصر مكة، وهو الذي حرض الحبشة على الاستيلاء على اليمن وغزو مكة رغبة منه بالاستيلاء على المنطقة الغربية من الجزيرة، والاتصال بملكه في بلاد الشام، وبالتالي التحكم في منافذ البحر الأحمر لتمرير تجارة بيزنطة ولكن باءت محاولته بالإخفاق، والآن فبدلاً من غزوها من الجنوب يمكن تحقيق ذلك بالاستيلاء عليها من الشمال وبالطريقة الدبلوماسية مع عثمان. يبدو أن بالأمر بعض الريبة عجزت المصادر المتوفرة عن ذكره، أو التوصل إليه.

وبالمقابل فإن حصول عثمان أو غير عثمان على براءات وأوراق اعتراف من الروم بملك سيد على قبيلة، أو أرض ليس للروم عليها سلطان، فقد كان حصول المشايخ والأمراء على أمثال هذه الأوراق، وبراءات الاعتراف، نوعاً من أنواع الإكرام، والتقدير الأدبي، يكسب حاملها قوة معنوية، وتجعله من جملة أصدقاء الروم، وحلفائهم، والحائزين على تقديرهم، ومنحهم، وقد كان الروم يشجعون هذا النوع من التودد السياسي لكسب

الحيرة ومكة: جواد: المفصل ٤/ ٤٠ - ٩٢ - ٢٣ - ٩٤، جواد: تاريخ العرب ٥/ ٣٧٧.

العلي: محاضرات ص٩٥ - ٧٩

شريف: مكة والمدينة ص١٦١

العرب، وجرهم إلى جانبهم، إذ به يتمكنون من بسط نفوذهم على القبائل[1].

وهذه المحاولة السياسية، هدفها كما هو ظاهر مثل هدف المحاولة العسكرية التي قامت بها الحبشة على مكة فيما سبق. ولكن باءت هذه المحاولة كما سبق القول بالإخفاق كسابقتها، ولم يجد عثمان من يوافقه على خطته من أهل مكة، ورأى أشرافها أنه ليس من مصلحة بلدهم أن يرتبط ارتباطاً خاصاً بأي من المعسكرين المتعاديين في هذه الأوقات التي وصل فيها الصراع بين الدولتين إلى مرحلة حادة، مما يبرز أهمية الحياد، وقد كان أهل مكة، يرون الغلب في هذه المرحلة معقوداً لفارس على الروم، ويعتقدون أن النتيجة النهائية ستكون في مصلحتها[2].

قد شجعهم على معارضة هذا الاتجاه الرومي، اطمئنانهم إلى بعد بلدهم عن متناول الروم، وقوة مركزهم، إزاء حاجة البيزنطيين للبضائع التي كانوا يحملونها، ولم يترتب على رفض العروض البيزنطية أي نتائج خطيرة، بالنسبة لمكة، باستثناء السجن المؤقت لبعض الرجال[3].

على أن العلاقات التجارية استمرت بعد ذلك في حالة طيبة، بل إن تجارة مكة ازدادت نشاطاً واتساعاً بعد ذلك إلى أن كانت الهجرة النبوية إلى يثرب.

يستخلص من كل ما تقدم أن بيزنطة أقامت سلسلة من الحصون على طرف الصحراء المطلة على الفرات للمحافظة على الحدود، واستعانت بالقبائل الضارية في البادية على أعمال الحراسة، والدفاع، ولم تشأ التورط في محاولات توسعية عقيمة، بل دعمت سلسلة الحصون في الصحراء الشامية، ثم جعلت سورية، وفلسطين ولاية واحدة، وهي الولاية المشرقية، وكانت هذه الحصون أشبه بالمعسكرات تقيم بها فرق الجيش التي تحرس الحدود، والطرق التجارية[4].

على أنه لم يثبت " أن وجهت سفارات خاصة أو وفود إلى العرب[5] "

غير أن الروابط التي نشأت بين بيزنطة والعرب بسبب العلاقات الشخصية التي تم

---

(١) شريف: مكة والمدينة ص١٦٢

(٢) ينظر في سورة الروم الآية ١-٢

(٣) شريف: مكة والمدينة ص١٦٣

(٤) عثمان: الحدود الإسلامية ١/٥٧

(٥) بيغوليفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران ص٦٢-٦٥

توطيدها، كما شغلت العقيدة في هذا الشأن دوراً مهماً[1].

لهذا يمكن القول بوجه عام إنه لم تكن هناك حكومة عربية واحدة تحكم القبائل والمدن، والقرى في فلسطين والحجاز، بل مشيخات وحكومات مدن تؤدي الجزية للأعراب، جزاء ترك أذاها[2].

فالقبائل التي كانت بالقرب من الحيرة، تبعاً لملك العرب بالحيرة، وما كان في بادية الشام تبعاً لملك آل جفنة بالشام، إلا أن هذه التبعية اسمية لا فعلية لأن العرب لا يطيقون أن يحكموا حكماً ملوكياً يقيد حريتهم التي ليس عندهم ما يعدلها.

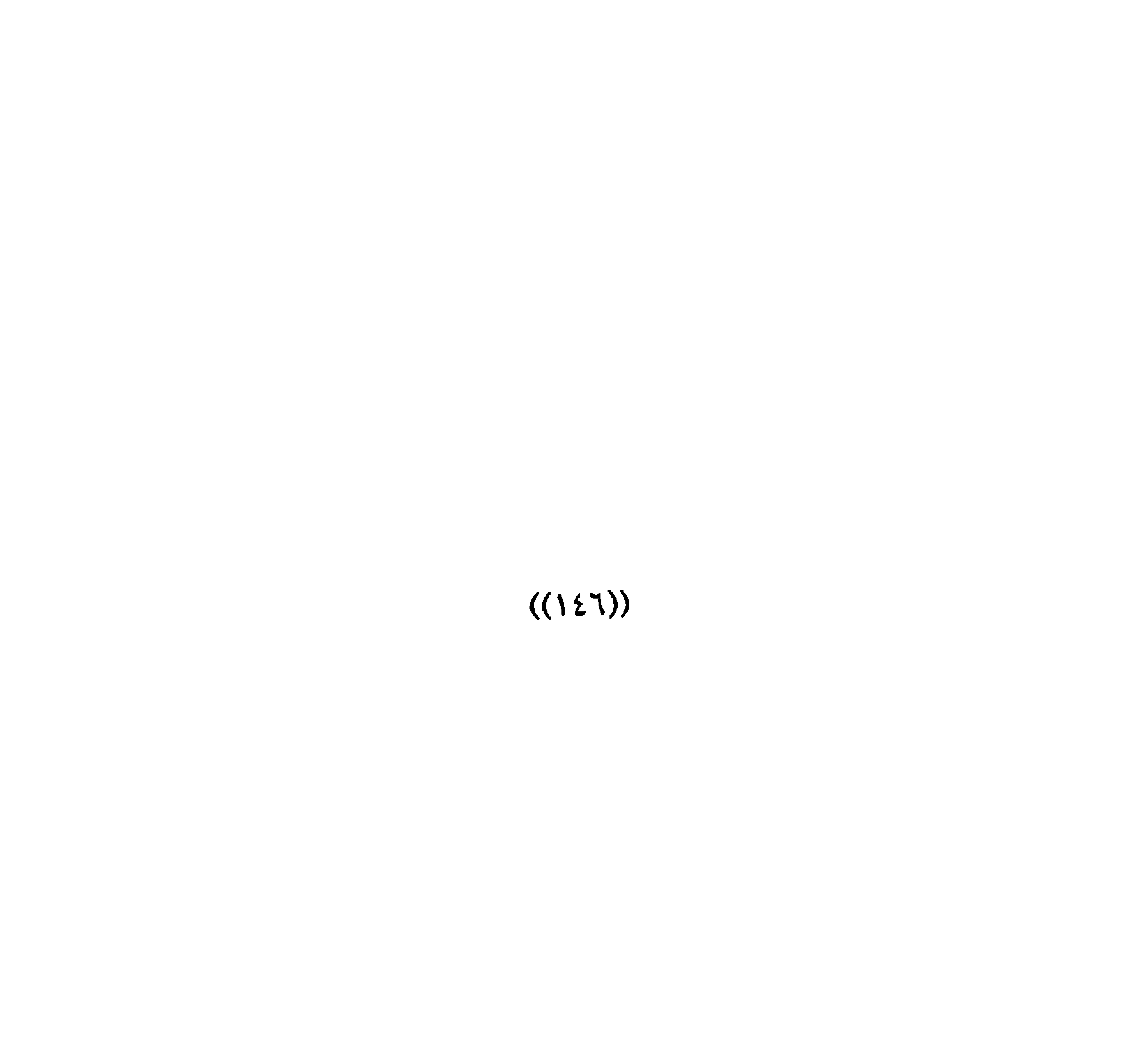
وهكذا فقد نجحت الإمبراطورية البيزنطية إلى حد كبير في تأمين حدود الإمبراطورية المتاخمة لشمال شبه الجزيرة العربية بأقصى ما استطاعت، وحافظت على وحدة أراضي الدولة في منطقة من أهم مناطق الإمبراطورية وأقربها إلى الفرس، وذلك بفضل ممارسة كل أساليب السياسة والدبلوماسية التي درجت عليها الإمبراطورية البيزنطية وكما حافظت على استمرار وسير وتأمين الطرق التجارية التي كانت تربط جنوب الجزيرة العربية بشمالها بفضل وجود إمارة الغساسنة القوية، وبفضل سياستها تجاه البحر الأحمر، التي دار محورها حول تحقيق المصالح التجارية للدولة في كل علاقاتها مع دول هذه المنطقة من العالم.

فقد كانت سياسة بيزنطة قائمة على المحافظة على مصالح الإمبراطورية في شتى المجالات، والسير وفقاً لخطة دبلوماسية تقليدية لها أسسها القوية مع تميزها بالنشاط، وسرعة الحركة في عصر جستنيان، الأمر الذي وسّع دائرة التحالف مع شعوب البحر الأحمر ـ لسد الطريق على التدخل الفارسي هناك، وبذلك ظل البحر الأحمر بأهميته التجارية والاستراتيجية بحيرة رومية، وهذا ما سيفرد له فصل خاص.

---

(١) بيغوليفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران ص٦٢=٦٥

(٢) عثمان: الحدود الإسلامية ٧١/١



((١٤٦))

الفصل الرابع

البحار والصراع الدولي

كانت الصراعات المختلفة وستظل العوامل التي تحرك الأحداث التاريخية في كل العصور والصراع بين الأمم الكبرى يكون عادة من أجل فرض النفوذ وهو يقوم على مبدأين، أولهما الصراع من أجل البقاء، الذي إذا ما تحقق تسعى هذه القوى إلى المبدأ الثاني، وهو الصراع من أجل فرض النفوذ على المناطق الحيوية بدعوى الأمن.

وبما أن البحار أقدم الطرق بين الأمم، وأيسرها في السيطرة عليها، فإن القوى الكبرى سعت إلى فرض نفوذها عليها، لكن ليست البحار جميعاً ما دار حولها الصراع بين القوى العظمى، إنما دار فقط حول البحار التي تقع في وسط مناطق خلاقة للحضارة والتجارة، مثل البحر المتوسط والبحر الأحمر، فقد كان التنافس بين قوة فارس وقوة بيزنطة لا يقتصر على ميدان القتال فحسب، بل كانت التجارة وبسط النفوذ السياسي من أهم الميادين التي امتدت إليها المنافسة[1].

---

(١) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني = التجارة في عصر ما قبل الإسلام - مقالة بقلم محمد

و بما أن موضوع البحث عن الجزيرة العربية فسيقتصر الحديث على البحر الأحمر وعلى المياه التي تحيط بجزيرة العرب.

١) أهمية البحر الأحمر

قد يجد المرء نفسه في بعض الأحيان مضطراً لأن يقدم معلومات عامة عن الموضوع المبحوث، وذلك إما لندرة المعلومات الخاصة، وإما لأن المعلومات الموجودة بعيدة عن التحديد الزمني، فيعتمدها بالقياس على مؤشرات أخرى.

لقد رسم البحر الأحمر للجزيرة العربية تاريخها وجعلها تتعرض لقوى خارجية تضغط عليها، وتحاول التأثير فيها سياسياً واقتصادياً وذلك لأن جزيرة العرب تقع على البحر الأحمر، وكان البحر الأحمر موضع اهتمام الدول الكبرى آنذاك، لذا فقد تأثرت الجزيرة العربية بذلك الصراع بسبب امتداد حدودها الغربية على هذا البحر، وبسبب أهمية هذا البحر أيضاً.

لقد كون البحر الأحمر مع الخليج العربي وحدة ملاحية مرتبطة ومتكاملة، وهما يحيطان بالجزيرة العربية[1]، مما جعل بلاد العرب معبراً سهلاً، وقصيراً للتجارات بين الشرق والغرب، وملتقى للطرق بين عالم المحيط الهندي، وعالم البحر المتوسط، ومع الزمن، وبازدياد حجم التبادل التجاري ازداد النشاط الملاحي في المحيط الهندي اتساعاً، حتى وصل إلى أطرافه الشرقية والغربية، وعلى مر العصور كان البحر الأحمر، والخليج العربي، موضع أطماع الدول الكبرى، الأمر الذي كان دائماً يثير الصراع بينها من أجل السيطرة عليهما وبالتالي التحكم في حركة المرور فيهما، عبر الأراضي المجاورة لهما.

إذاً حاولت الدول المتصارعة على النفوذ السياسي والتجاري منذ أقدم العصور، فرض نفوذها على سواحلها بقدر المستطاع، ليس طمعاً في مواردها الطبيعية، بقدر ما كان من أجل التحكم في منافذ البحار المحيطة بها من الشرق والجنوب والغرب[2]، وفي طريق

السيد غلاب ص١٩٥.

(١) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ـ الكتاب الثاني، الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة ـ مقالة سيد أحمد علي الناصري ص٤٠١.

(٢) شهاب: فن الملاحة عند العرب ص٣٩.

القوافل الشهير الذي يمتد بحذاء البحر الأحمر، ويربط بين اليمن والشام[1].

ومن ثم وجدت الجزيرة العربية نفسها مسرحاً للصراع العالمي على النفوذ.

٢) تاريخ البحر الأحمر والصلات مع الشرق

إن نظرة حول الفترة ما قبل الفترة المدروسة تظهر أهمية التجارة، ودورها الرئيسي في حياة العرب في عصر ما قبل الإسلام وما بعده، حيث كان العرب إما تجاراً، وإما ناقلين للتجارة، وإما حماة لمسيرها.

لقد سعى المصريون منذ عهد الملكة المصرية حتشبسوب للحصول على البخور المقدس الذي كان يحرق في المعابد، وكان يؤتي به من جنوب غرب الجزيرة العربية، والتي ذكرت في بعض النصوص المصرية باسم الأرض المقدسة[2].

ومنذ عهد سرجون (٧٧٢)ق.م حاول الآشوريون فرض سيطرتهم فأصبحت مصر في عهد خلفائه تابعة للإمبراطورية الآشورية[3].

وجاء الفرس بعدهم، وأخفقوا في السيطرة على التجارة البحرية فيما بين مصر وفارس، فقد كان السبئيون يسيطرون، ويتحكمون في جنوب البحر الأحمر، والفينيقيون يسيطرون على شماله، وكان الصراع بين هاتين القوتين، مجرد تنافس تجاري واقتصادي، نظراً لظروفهما السياسية وطاقاتهما العسكرية المحدودة.

وحاول الإغريق، ومن بعدهم الرومان السيطرة الكاملة على التجارة بين الهند ومصر[4] ولكنهم أخفقوا أيضاً.

وعلى الرغم من أنهم نجحوا فيما بعد في توسيع دائرة تجارتهم البحرية المباشرة مع الهند في عهد أغسطس، وخلفائه حتى مطلع القرن الثالث[5]، فقد تقلصت بعدها نتيجة

---

(١) ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص١٣٤ وما بعد.

(٢) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ـ الكتاب الثاني ـ الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة ـ مقالة سيد أحمد علي الناصري ص٤٠٣ وما بعد.

(٣) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ـ الكتاب الثاني ـ الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة ـ مقالة سيد أحمد علي الناصري ص٤٠٣.

(٤) شهاب: فن الملاحة عند العرب ص٣٩.

(٥) جواد: المفصل ح٧ ص٢٦٩.

للضعف والتفكك الذي اعترى كيان الإمبراطورية الرومانية، ثم الحروب المتوالية بين الساسانيين والبيزنطيين، حتى غدت السفن البيزنطية لا تتعدى موانئ بلاد العرب الجنوبية، والموانئ المجاورة لها من شرق أفريقيا[1].

وأصبحت التجارة الرومية مع الشرق البعيد لا يقوم بها الروم، وأساطيلهم في البحر الأحمر، والمحيط الهندي، ولكن أصبح يقوم بها الوسطاء والعملاء من الأحباش وحمير[2].

ففي هذه الفترة بلغ سلطان حمير ذروته السياسية والعسكرية، ففي أواخر القرن الثالث الميلادي، ظهر شمر يهر عش الملك الحميري الذي وحد كل ممالك الجنوب من الجزيرة، وهو أمر يفهم من اللقب الطويل الذي اتخذه ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة[3].

والجدير بالذكر أن العرب كانوا قد دخلوا بأنفسهم في التجارة، وبدؤوا البحث عن التوابل والبخور لسد حاجة التجارة الرومية، ابتداء من القرن الأول الميلادي[4].

لعل في هذه الإلمامة السريعة عن الصلات بالشرق الأقصى بعض الغناء في التدليل على الأوضاع التي تميزت به أوضاع المشرق في ذلك الزمن، بما فيها بلاد العرب، وعن الدور الذي شغله البحر الأحمر فيها، وذلك لأن السيادة على البحر المتوسط بحرياً، ارتبطت دوما بالسيادة على البحر الأحمر، لأن البحر الأحمر كان ومازال الشريان الحيوي لطرق التجارة بين عالم المحيط الهندي، وعالم الغرب الأوربي.

إن البحر الأحمر ليس المنفذ الحيوي إلى العالم الغربي فحسب، بل كان يشكل المصدر الأكبر لاقتصادها، فالملاحظ أن مناطق ازدهار الحضارة في شبه جزيرة العرب، ارتبطت دوماً بحركة التجارة عبر الشرق والغرب، وأن الحضارات كانت تضعف وتنهار إذا تدهورت التجارة عبر البحر الأحمر، وتعود من جديد مع عودة النشاط التجاري فيه، لأن

دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ـ الكتاب الأول، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية ـ لطفي عبد الوهاب يحيى ص٦١

(١) حوراني: العرب والملاحة ص٩٢.

شهاب: فن الملاحة عند العرب ص٤

(٢) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ـ الكتاب الأول ـ الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية ـ لطفي عبد الوهاب يحيى ص٧٦.

(٣) أرياني: نقوش مسندية ص١٨٦.

(٤) دراسات في تاريخ العربية ـ الكتاب الثاني ـ التجارة في عصر ما قبل الإسلام، مقالة بقلم محمد السيد غلاب ص١٩٤.

دويلات الجزيرة العربية القديمة، إن لم تكن المالكة للحركة التجارية، فقد كانت على الأقل تستفيد منها مادياً، سواء من جمع المكوس أو الإتاوات من القوافل المارة عبر أراضيها مقابل تقديم الحماية اللازمة لها[1]، ومن الخدمات التي كانت تقدمها لهذه القوافل من خلال مدنها الواقعة على طرق التجارة، ولهذا لوحظ أنه عندما تكون الحركة التجارية في البحر الأحمر نشطة، تجد الحواضر والبوادي في حالة استقرار واستكانة، وتقدم حضاري، فإذا ما اضطرب هذا النشاط التجاري، انعكس أثره بسرعة على الحالة الداخلية لغرب الجزيرة، وعندئذ تخرج القبائل من بواديها لتغير على الحواضر الكبرى القريبة منها، فتنهبها وتلحق بها أضراراً ترجعها إلى الوراء عشرات السنين[2].

فالأزمات التاريخية التي شهدتها جزيرة العرب في العصور القديمة ليست في جوهرها سوى انعكاس داخلي لما كن يجري من صراع على البحر الأحمر في الساحة الدولية، وبخاصة بالنسبة لما يتعلق بالصراع حول ميزان القوى بين الأمم المتصارعة، ومن ثم يتوجب دائما الربط بين مراحل ازدهار، الحضارة في الجزيرة العربية، ومراحل الصراع الدولي من أجل السيطرة على البحر الأحمر.

" فالتجارة الواسعة التي كانت تحملها السفن عبر البحار بين مصر من ناحية، وبلاد العرب والهند من ناحية أخرى. كانت تتطلب، ولاشك الهيمنة على شواطئ البحر الأحمر، أو على الأقل على المواقع الهامة المطلة عليه[3] "

"ويحدثنا تاريخ التجارة للهند والعرب، وبلاد البحر المتوسط، أنه على الرغم من الاضطرابات السياسة في بلاد العرب الجنوبية، أخذت تجارة مصر تتقدم وتتطور حتى بلغت شأواً بعيداً أيام الرومان، وذلك لأن الشاطئ الجنوبي الغربي للبحر الأحمر، أصبح المهيمن الأول على سياسة بلاد العرب الجنوبية وعلى الطريق البحري الجنوبي الروماني كما رسمه البطالمة[4]".

---

(١) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني - الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة - مقالة سيد أحمد علي الناصري ص٤٠٢.

(٢) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني - الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة - مقالة سيد أحمد علي الناصري ص٤٠٢.

(٣) نيلسن: التاريخ العربي القديم ص١١٩.

(٤) نيلسن: التاريخ العربي القديم ص١١٧.

فالبحر الأحمر كان منذ أقدم العصور الطريق الذي حمل إلى العالم القديم أول مبادئ الاتصال الفكري والتجاري[1].

٣) القوى العربية والبحر الأحمر

يلاحظ مما سبق أن البحر الأحمر كان من أهم طرق التجارة البحرية وأقدمها، وقد نشطت التجارة فيه في عصر البطالمة خاصة[2].

فقد ورد في أخبارهم أنهم أرسلوا سفنهم إلى البحر الأحمر، فوصلت إلى السواحل الأفريقية وأنهم قد حفروا قناة لتصل بين نهر النيل والبحر الأحمر ليكون في وسع السفن القادمة من البحر المتوسط من اليونان أو من إيطاليا أو من أي مكان آخر دخول نهر النيل والمرور من القناة إلى المحيط للاتجار مع أسواق البلاد الحارة، والعودة من تلك الأسواق بحاصلات آسيا وأفريقيا إلى أوربا[3].

سميت هذه القناة فيما بعد، بقناة عمرو بن العاص، وكان اسمها فيما سبق قناة الملك الفرعوني سنوسرت الثالث[4].

و شيد ميناء أر سينوي وكليز ما (القلزم) السابقين للسويس[5]. كما استخدم طريق تجاري بري آخر في مصر يصل بين ثنية قنا، والبحر الأحمر، وقامت "قفط" أو "كويتوس" مركزاً تجارياً على النيل، ومثلها لوكوس ليمن أو القيصر الحالية على البحر الأحمر، وكذلك برينيكي أو رأس بناس الحالية، وميوس هرموس أبو شعر الحالية[6] ".

---

(١) فخري: اليمن ماضيها وحاضرها ص٦٠

(٢) فخري: اليمن ماضيها وحاضرها ص٦٩.

(٣) جواد: المفصل ٢٦٧/٧.

برو: تاريخ العرب القديم ص٧٦

دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ـ الكتاب الثاني ـ التجارة في عصر ما قبل الإسلام ـ مقالة بقلم محمد السيد غلاب ص ١٩٣.

(٤) شهاب: فن الملاحة عند العرب ص١٨.

(٥) دراسات في تاريخ الجزيرة العربي ـ الكتاب الثاني ـ الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة ـ مقالة سيد احمد علي الناصري ص٤١١.

(٦) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ـ الكتاب الثاني ـ التجارة في عصر ما قبل الإسلام ـ مقالة بقلم محمد السيد غلاب ص١٩٢.

وكانت هذه الموانئ تتاجر مع موانئ عربية مقابلة لها هي الوجه وينبع وجدة، حيث كان للبطالمة محطات على طول ساحل البحر الأحمر حتى جزيرة سو قطرة[1].

ولقد أظهر أهل السواحل العربية الجنوبية والشرقية نشاطاً في ركوب البحر لا نجده عند أهل السواحل الغربية شمال اليمن والذين كانوا يكرهون ركوب البحر[2]، ويتهيبون منه، وأنهم لم يكونوا يملكون سفناً لعبوره، فلم نسمع عن ملاحتهم في ذاك الوقت شيئاً أبداً[3]، حتى أن المهاجرين الأولين من المسلمين لما هربوا من مكة إلى الحبشة، ركبوا سفناً بدائية حبشية أوصلتهم إلى الحبشة[4]. وإن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان يتهيب ركوب البحر، وكان يوصي قواده بتجنيب جيوشهم مخاطره، والابتعاد عنه قدر الإمكان، وبضرورة وضع أرض آمنة وراء الجيش ليكون في وسعهم الرجوع إليها عند المهالك والمآزق[5].

من خلال مطالعة المصادر والمراجع لم يعثر على صورة مفصلة واضحة عن العرب والبحر، غير ما ذكر، ولعل قول طرفة بن العبد[6]:

عدولية أو من سفين ابن يامن ... يجور بها الملاح طوراً ويهتدي

سفن منسوبة إلى قرية بالبحرين يقال لها عدولي[7]، أو إلى قوم كانوا ينزلون هجر،

---

(١) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ـ الكتاب الثاني ـ التجارة في عصر ماقبل الإسلام ـ مقالة بقلم محمد السيد غلاب ص١٩٣.

(٢) جواد: المفصل ٧/٢٤٤

(٣) bury: histiry of the later roman empire, vol.٢.p.٣١٦-٣٢١.

حوراني العرب والملاحة ص٩٦

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٢ ص٣٢٩.

جواد: المفصل ٧/٢٥٩.

(٥) جواد: المفصل ٧/٢٤٤.

شهاب: فن الملاحة عند العرب ص١٦.

(٦) ديوان طرفة بن العبد ـ بيروت ـ دار صادر ص٢٠.

زوزني: شرح المعلقات السبع ص٤٦.

جواد: المفصل ٧/٢٥١.

حوراني: العرب والملاحة ص٢١

كوبيشانوف: الشمال الشرقي ص ٢٢

(٧) ياقوت: معجم البلدان مادة عدولي ـ لسان العرب مادة عدل.

أو إلى عدول، رجل كان يتخذ السفن[1]، ولا يستبعد أن يكون مراد الشاعر من السفن العدولية السفن القادمة من ميناء ادولس " عدولي " وهو ميناء تجاري على ساحل الحبشة اشتهر بالتجارة قبل الإسلام.[2].

إن العرب في العصر المتقدم على الإسلام لم يتمكنوا من مواجهة السفن الرومية وتحديها حين دخلت سفنهم البحر الأحمر، والبحر العربي، والمحيط الهندي بسبب تيارات المحيط الهندي، والشعب المرجانية في البحر الأحمر، وضعف البحارة في ذاك العصر، وتدهورها بعد أن كان للبحارة العرب الجنوبيين فيما سبق تجارة رائحة في البحر، والسبب في ذلك أن صناعة السفن تحتاج إلى أخشاب، وإلى أيدي فنية عاملة ، وعلم بهندسة السفن وهذه الأشياء لم تتيسر في جزيرة العرب.

فعلى الرغم من أنه كان لسكان سواحل جزيرة العرب علم بالبحر، وكانت لهم سفن مهما كان حجمها، كانوا يركبونها في اتجارهم مع إفريقية، ومع بلاد الهند، وإيران، وعلى الرغم من أنه عرف عنهم (العرب الجنوبيين) أنهم أقاموا دولة أكسوم في الحبشة[3]، وامتلكوا السواحل الإفريقية المقابلة للعربية الجنوبية أمداً طويلاً، وأنه كان لهم أسطول تجاري مخروا به عباب البحار للاتجار، فقد زاحمهم البيزنطيون والأحباش لأن سفنهم لم تكن ضخمة في ذاك الوقت، فقد صنعوها بأيديهم، مستعينين بالخشب المستورد، وبالخشب المحلي، صنعوها في مواضع متعددة من سواحل جزيرة العرب، ولا سيما على سواحل الخليج، حيث تيسر لسكانها استيراد الخشب الصالح لبناء السفن من الهند، فقد ذكر صاحب كتاب الطواف حول البحر الإريتري " أنه وجد المخا مزدحماً بالمراكب والبحارة، والتجار، وأن الناس في شغل شاغل بالتجارة وهي مدينة أسواق، أقيمت على أساس من القانون وأهلها يحكمون بعض السواحل الأفريقية، باسم أمير المعافر في عهد الملك الحميري (كريب ايل) المقيم في ظفار، وقد أصبحت المخا الميناء الرئيسي لليمن[4] ".

(١) تاج العروس مادة عدل

الألوسي: بلوغ الأرب ٣٦٥/٣

جواد: المفصل: ٢٥١/٧

(٢) بيغوليفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران ص١٨٩ حاشية

(٣) mosati ; histoire et civilisation,p. ٢١٢-٢١٣- ٢١٤

(٤) أرياني: نقوش مسندية ص١٨٢ نقلا عن غيره

ولا يستبعد أن تكون سفن العرب أنواعاً متعددة بحسب أغراضها ووفرة الخشب الصالح لبناء السفن، وعلى قدر اختلاط سكان سواحل الجزيرة بغيرهم من أصحاب السفن[1]، ولا يستبعد أن يكون أهل العربية الجنوبية والعربية الشرقية، قد تأثروا بصناعة السفن اليونانية والساسانية والهندية والأفريقية، لاختلاطهم بهم، ومجيء سفن هؤلاء إلى مراسي السواحل العربية، ولتمكنهم من شراء الخشب الصلد لبناء السفن من أفريقيا والهند أضف إلى ذلك أن الاتجار مع أفريقية سهل يسير بالنسبة إلى تجار العربية الجنوبية، ولا سيما تجار اليمن، فإن الشقة بين سواحل أفريقية وسواحل اليمن ليست واسعة كبيرة.

٤) محاولات بيزنطة والحبشة الهيمنة على البحر الأحمر

بالرجوع قليلاً لأخبار العصور المتقدمة على عصور ما قبل الإسلام، نجد الأخبار تتحدث عن ازدهار الطريق التجارية المعروفة قديماً في جزيرة العرب باسم طريق العطور، أو طريق البخور التي كانت ممراً لتجارة العطور والبخور وما أشبهها بين الهند واليمن وبلدان البحر المتوسط[2].

فقد اشتهرت بلاد العرب منذ القديم، بأنها "البلاد الوحيدة التي تنتج المر واللبان والأقاصيا والقرفة، واللاذن[3]". واشتهر السبئيون بغناهم باللبان، وأنهم أحرزوا ثروة كبيرة من تجارة الطيوب[4].

ففي عصر المعنيين والسبئيين، اشتهرت هذه الطريق إذ كان هؤلاء، وهؤلاء يتنافسون للسيطرة عليها، وعلى الواحات التي تمر بها من الشمال الغربي من جزيرة العرب[5].

---

(١) ذكرت للسفن أسماء كثيرة ورد بعضها في القرآن الكريم في الكثير من سوره.

وذكر ابن سيده أسماء كثيرة لها في المخصص في الجزء العاشر، وأحصى بعضها جواد علي في المفصل في الجزء السابع ينظر: جواد: المفصل ٢٤٧/٧ وما بعد.

(٢) حتي: تاريخ العرب ص٧٧.

مروة: النزعات المادية ١٩٢/١

(٣) حتي: تاريخ العرب ص٧٧

(٤) حتي: تاريخ العرب ص٧٧ - ٧٨

(٥) موسل: شمال الحجاز ص ١.

مروة: النزعات المادية ١٩١/١

نيلسن: التاريخ العربي القديم ص٢٤

إلا أن هذه الطريق ما لبثت أن فقدت أهميتها منذ أن فقد المعينيون، والسبئيون سيطرتهم على البحر الأحمر، وسواحل أفريقية الشرقية بسبب انتقال التجارة البحرية إلى أيدي اليونان والرومان، فألحق الضرر باقتصاد اليمن التجاري والزراعي معاً، إضافة إلى ما ألحقه به سيل العرم آنذاك[1]، ولربما كان من أسباب هذا ذاك التدهور الاقتصادي الذي ألحق بالبلاد.

ولأهمية هذا الطريق فقد حاول الرومان الاستيلاء عليه عن طريق الاستيلاء على اليمن نفسها، حيث أن الاستيلاء على اليمن كان يمكن أن يمكنهم من السيطرة على الطرق التجارية في المنطقة، وتمرير التجارة البيزنطية بحرية تامة، فتتحرر بذلك من تحكم الساسانيين[2]، ويتمكن التجار من الوصول إلى الهند. إلا أن ذلك كان يتطلب قوة يعتمد عليها لحماية التجارة، والقوافل، وتوجب أن تكون هذه القوة بالقرب من منطقة التجارة، وقد وجدها الإمبراطور جستنيان في الحبشة، فاتصل بنجاشي الحبشة، وتودد إليه باسم الدين الذي يربط بينهما والمصلحة المشتركة، وأرسل إليه رسولاً اسمه يوليانوس تمهيداً لهذا المشروع، وذلك بقيام الحبشة نفسها بالوساطة في شراء الحرير من جزيرة سيلان وبيعه إلى الروم، وبذلك يتفادوا انقطاع هذه المادية في أثناء الحروب مع الساسانيين، وارتفاع الأسعار، وذهاب أموالهم إلى خزينة أعدائهم الفرس، لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد خاب ظن جستنيان في الحبشة، فلم يتمكن الحبش من منافسة الفرس في جزيرة سيلان، ولا في الموانئ الهندية التي كانت تبحر بهذه البضائع الثمينة[3].

---

(١) امين: فجر الإسلام ص٥-٦

مروة: النزعات المادة ١٩٢/١

سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص١٤٢

ترسيسي: اليمن وحضارة العرب ص٤٢

برو: تاريخ العرب القديم ص٨٢

الحوت: في طريق الميثولوجيا ص٤٨

(٢) جواد: تاريخ العرب ٣٨٧/٤، فرعون: السياسة الساسانية ص١٠٨

(٣) جواد: تاريخ العرب ٣٨٨/٤-٣٨٩.

رستم (أسد) الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب دار المكشوف بيروت ١٩٥٦ م ج١ص١٧٧ يختصر إلى رستم: الروم وصلاتهم بالعرب.

حوراني: العرب والملاحة ص١٠٣.

فالقوة التي كان يريدها جستنيان في الحبشة لم تكن على ما يرام، ولم تكن كثيرة العدد، بدليل ما ورد في بعض الروايات من أن السفن التي حملت جيش ملك الحبشة إلى اليمن لغزوها سنة ٥٢٥ م وذلك في عهد ذي نواس، كانت سفناً يونانية فحين بلغ القيصر بما فعله ذو نواس، أمد النجاشي بأسطول حمل الجيش إلى اليمن[١].

أضف إلى ذلك أن السفن التي حملت الفرس إلى اليمن، كانت ثماني سفن غرقت منها سفينتان وبقيت ست سفن فقط[٢]، وقد تغلب من كان بها مع ذلك على الحبش، فلو كان للحبش أسطول بحري قوي، ولو كانت لهم هيمنة على البحر، لما كان بإمكان هذه السفن الفارسية الست الوصول إلى مياه اليمن وإنزال ما فيها من جنود، والتغلب على الحبش، والقضاء على حكمهم.

رب قائل يقول: إن أهل البلاد استنجدوا بالفرس، وساعدوهم على ذلك، ولكن هذا لا يعني ان للحبش قوة بحرية، فلو كان لهم قوة بحرية ضخمة لما كان للفرس ما كان.

أضف إلى ذلك أن علاقة الحبش باليمن كانت علاقة رديئة مما أثر على تقديم المساعدات.

يستخلص من ذلك. أنه كان للحبش أسطول بحري، ولكنه عبارة عن سفن صغيرة، بدليل أنه عندما هاجر المسلمون الأولون للحبشة، ركبوا سفناً بدائية حبشية[٣].

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٢٤/٢.

مقدسي: البدء والتاريخ ١٨٤/٣.

عابدين: بين الحبشة والعرب ص٤٩

ينظر في الفصل الثاني والثالث.

(٢) الحميري: ملوك حمير ١٥١.

ابن هشام: السيرة النبوية ٦٥/١.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٤١/٢.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٤٨/١

الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص٥٢، ابن كثير: البداية والنهاية ٢٢٣/٢ تاريخ الخميس ص١٩٣، نافع: عصر ما قبل الإسلام ص٩٠.

جميلي: محاضرات ص٩٧ وينظر في الفصل الثاني والثالث.

(٣) دليلنا على ان هذه السفن بدائية سؤال جعفر بن ابي طالب رسول الله (ص) عن الكيفية التي يصلي بها في السفينة وإجابته (ص) صلي قائما إلا ان تخاف الغرق جواد: المفصل ح٧ ص٢٥٩.

حيث كان الجار فرضة أهل المدينة ترفأ إليه السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين والبحرين وبحذائها جزيرة في البحر ميل في ميل يسكنها التجار[1]، وهي من الموانئ التي كان يقصدها التجار من السواحل المقابلة ، ومن سواحل إفريقيا الشرقية، والمحيط الهندي، وذكر أن الناس، كانوا لا يعبرون إلى الجزيرة إلا بالسفن، وهو مرسى الحبشة خاصة، وأن بينها، وبين المدينة يوم وليلة، وبينها وبين أيلة نحو من عشر مراحل، ومنها إلى سواحل الجحفة نحو ثلاث مراحل[2].

لذا بقيت السفن الرومية هي المهيمنة على البحر الأحمر، فكانت تصل إلى ميناء أدوس[3] ومنه يصل التجار إلى أسواق الحبش الداخلية أو إلى موانئ سقطرى التي كان بها مستوطنون يونانيون، أقاموا فيها منذ أمد طويل، وبنوا الكنائس، والمستوطنات للإقامة فيها، وظل بعضهم بها إلى أيام الإسلام[4].

وكان ميناء المخا، الميناء المفضل للسفن الرومية تقصده للاتجار ولتموين نفسها بالماء والغذاء[5]، وكان من موانئ اليمن الهامة على البحر الأحمر.

أما الشعبية فكان من المراسي القديمة في الحجاز، وهي أقدم من جدة، كانت تقصده السفن لتتزود بما تحتاج إليه من زاد وماء، ولتفرغ فيه ما تأتي به من شحن من أفريقيا إلى الحجاز، وهو مرفأ مكة، ومرسى سفنها قبل جدة، وإليه جنحت سفينة باقوم التي تحطمت بدفع الريح لها، ومنه هاجر المسلمون إلى الحبشة، ومنه كان يذهب تجار

---

(١) تاج العروس مادة جار.

جواد: المفصل ٧/٢٧٢-٢٨.

(٢) ياقوت: معجم البلدان: مادة جار

جواد: المفصل ٧/٢٧٢

(٣) بينز: الإمبراطورية البيزنطية ص٢٨١

(٤) الإكليل ١/٢٧١-٢٧٢.

ياقوت: معجم البلدان: مادة سقطرى

شيخو: النصرانية وآدابها ١/٦٩

جواد: المفصل ٧/٢٧٩ وما بعد

(٥) ياقوت: معجم البلدان مادة مخا، تاج العروس:مادة مخا

جواد: المفصل ٧/٢٧١-٢٧٣

مكة إلى أفريقيا للتجارة قبل الإسلام[1]. وكان باب المندب مرسى ببحر اليمن، ومركزاً لتبادل السلع الإفريقية والهندية والمصرية، ومكاناً تبحر منه السفن إلى الهند، كما تلتجئ إليه السفن الواردة من تلك البلاد، وقد استولى عليه الروم في بعض الأحيان[2].

أما جزائر فرسان فهي من الجزر التي كان يتاجر أهلها مع الحبشة، ذكر الهمداني أن سكانها كانوا يعملون في التجارة إلى بلاد الحبش، ولهم في السنة سفرة[3].

إذاً كانت السفن الرومية هي المهيمنة على البحر الأحمر في ذاك الوقت، وقد دعموا مركزهم هذا، وأنشؤوا قوة بحرية حربية لحماية السفن، والتجار، وحماية المستعمرات التي أقاموها على سواحل هذه الطرق المائية العالمية المهمة، على الرغم من أنه لم تكن المسافات بين المستعمرات الساحلية قصيرة. وذلك ليكون في الإمكان الدفاع عنها، والتعاون فيما بينها، ولحمايتها حماية قوية، زودوها بما تحتاج إليه من مياه عذبة، ومن أطعمة، ومن جنود لصد غارات المعتدين، وبذلك هيمنوا على البحار، وضبطوا البحر الأحمر بصورة خاصة، ولم يبق للعرب من مجال في التجارة العالمية آنذاك إلا بسلوك الطرق البرية الموصلة إلى بلاد الشام والعراق وقد ضمنت تلك القوة البحرية الضخمة للروم السيطرة على البحر الأحمر، واستطاعت احتلال عدن[4].

كانت الطرق التي سلكها الروم في البحر الأحمر، عبارة عن طريقين أحدهما يمتد من الإسكندرية مصعداً في النيل، ثم يعبر الصحراء إلى أحد الموانئ، ومنه يسلك البحر الأحمر حتى أدولس (عدولي) ثم إلى أكسوم عاصمة الحبشة في الداخل، إذا دعت الضرورة. وطريق آخر يبدأ من أيلة[5]، ويمتد على طول الشاطئ الغربي، وله بعض المراسي فكانت

---

(١) ياقوت: معجم البلدان مادة شعيبة.

سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ٣٦٣-٣٦

(٢) ياقوت: معجم البلدان مادة شعيبة.

جواد: المفصل ٢٧٤/٧

(٣) الهمداني: الصفة ٧٣-٢٠٧

جواد: المفصل ٢٧٤/٧

وفرسان من جزائر اليمن، ياقوت: معجم البلدان مادة فرسان.

(٤) جواد: المفصل ج٧ ص٢٧٧ وينظر مصور رقم (٥)

(٥) أيلة مدينة على ساحل بحر القلزم (الأحمر) مما يلي الشام وقيل آخر الحجاز وأول الشام. ياقوت: معجم البلدان مادة أيلة.

السفن ترسو إذا جن الليل عند أحد المراسي الطبيعية على ذلك الشاطئ خوفاً من مضاحله[1].

٥) الفرس ومطامعهم في اليمن، وجزيرة العرب

لم يعثر على معلومات تثبت وجود قوة بحرية ساسا نية، أو نشاط بحري في البحر الأحمر في كل العهود، وذلك لاقتصار نشاطهم على الخليج العربي، والمحيط الهندي، فقد كان الخليج العربي ميداناً رائعاً للملاحة بين جنوب غرب آسية، والشرق الأقصى، لا سيما وأنه كان مدرسة قديمة للملاحة بسبب وجود مصايد اللؤلؤ، واعتماد أهله على البحر[2]، وقد استطاعت فارس أن تتغلغل ثقافياً وسياسياً في بلاد العرب، كما كان للفرس تجارة رابحة تركت أثرها في نفوس جميع العرب حتى بلاد اليمن، وكانت لها هيمنة في تلك المواضع[3]، حيث بنى اردشير الأول جملة موانئ بحرية، يقول كريستنسن نقلاً عن رينو: " أن الفرس، وقد اتحدوا مع العرب، واشتركوا معاً في الحكومة بمهارة، كونوا بحرية جديرة بالإعجاب بالتدريج، وقد أخذت السفن الفارسية تمخر عباب البحار الشرقية كلها، وبدأت منافسة للأسطولين الرومي، والحبشي أول الأمر، ثم صارت قوة متفوقة بعد ذلك، وكان النفوذ الذي كسبه الفرس في البحر من الأسباب الرئيسية للتدهور ثم للسقوط الكلي الذي لحق سمعة الروم في البحار الشرقية[4].

وكانت حدود الدولة الساسانية مع البلاد العربية غير ثابتة تتبدل، وتتغير بحسب الظروف والأحوال، وتتوسع أحياناً، وتتراجع، وتتقلص أحياناً أخرى. فعندما كانت تضطرب أوضاع الإمبراطورية الرومية كانت تستغل هذه الظروف الحرجة وتلك الأوضاع القلقة، وتزيد من نشاطها في البحر وبالوقت نفسه تمعن في مطاردة التجار البيزنطيين في البحر العربي وفي الخليج ، وفي الهند، وكان من جراء ذلك أن قل عدد سفن الروم في المحيط، وبالتالي اكتفت بالوصول إلى باب المندب، والسواحل الأفريقية في بعض الأحيان،

---

(١) حوراني: العرب والملاحة ص١٠٠

(٢) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني - التجارة في عصر ماقبل الإسلام - مقالة بقلم محمد السيد غلاب ص١٩٦.

(٣) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني - التجارة في عصر ما قبل الإسلام - مقالة بقلم محمد السيد غلاب ص١٩٧.

(٤) كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين ص١١٦

عند اشتداد الأزمات، ونشوب الاضطرابات الداخلية، أو نزول كوارث بالروم في البحر[1].

فحين يكون للساسانيين قوة بحرية كافية كانوا يتقدمون نحو الجنوب في اتجاه العروض، وبقية الأقسام الشرقية من جزيرة العرب، وينسحبون منها حين تضعف هذه القوة، وحين تلهيهم الأحداث الداخلية وحروبهم عن التفكير في الجنوب[2].

فقد أعار الساسانيون انتباهاً كبيراً للقدرة القتالية لجيوشهم الموجودة في الشمال الغربي للحدود مع بيزنطة، أما المناطق الغربية للخليج العربي " شرق الجزيرة العربية " التي كانت محتلة من قبل الفرس في القرن الأول، ومنتصف القرن الثالث الميلادي، فلم يحشدوا فيها قوات عسكرية كبيرة، وهذه الحالة تفسر بأن شرق الجزيرة لم تشكل خطراً كبيراً على الفرس[3].

وسعوا للسيطرة على طرق القوافل التجارية المؤدية إلى الهند عبر خليج فارس، وامتلاك الموانئ التجارية، والأسواق لبيع البضائع في شرق الجزيرة العربية ولذا عاش في المدن الساحلية عدد كبير من التجار الفرس.

و بغض النظر عن التأثير الكبير لإيران على تجارة شرق الجزيرة العربية، لم تستطع إيران الساسانية إخضاع القبائل العربية بالكامل، فغالباً عندما ما كانت السلطة المركزية في إيران محاطة بالصراعات الداخلية، كانت القبائل العربية تهاجم ممتلكات الساسانيين محدثة خسائر كبيرة. ففي أوائل القرن الرابع نجد عرب البحرين والساحل يعبرون الخليج العربي للإغارة على الإمبراطورية الفارسية حوالي ٣١٠م[4].

و بعد ذلك لسنوات قلائل يرد الملك الساساني سابور الثاني على هذه الغارة بمثلها ويذبح كثيراً من سكان البحرين، وفيها يومئذ بنو تميم، ويقيم فيها جالية من الفرس[5]، كانت

---

(١) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ـ الكتاب الثاني ـ التجارة في عصر ما قبل الإسلام، مقالة بقلم محمد السيد غلاب ص١٩٦.

(٢) جواد: المفصل ٢/٦٣٣

(٣) فرعون: السياسة الساسانية ص١١٤

(٤) حوراني: العرب والملاحةص٩١

(٥) الطبري: (ابن جرير) تاريخ ملوك العرب والفرس ـ مطبعة محمد مصر ١٣٣٧ ـ ١٩١٩ ص٧٧ يختصر إلى الطبري: تاريخ ملوك العرب والفرس.و ينظر المسعودي:مروج الذهب ١/ ٢٨١.

شيخو: النصرانية وآدابها ١/ ٧٠، كحالة: العالم الإسلامي ١/ ٦٣

حوراني: العرب والملاحة٩١.

هذه الحملة واسعة، أوصلته إلى البحرين، وهجر واليمامة والحجاز، وتخوم الشام[1].

وقد استعرض الطبري هذه الحملة بقوله:

"........ واستقرى بلاد البحرين يقتل أهلها، ولا يقبل فداء ولا يعرج على غنيمة، ثم مضى على وجهه فورد هجر، وبها ناس من أعراب تميم، وبكر بن وائل، وعبد القيس، فافشى فيهم القتل وسفك فيهم من الدماء سفكاً سالت كسيل المطر حتى كان الهارب منهم يرى أنه لا ينجيه منه غار في جبل، ولا جزيرة في بحر، ثم عطف إلى بلاد عبد القيس، فأباد أهلها إلا من هرب منهم فلحق بالرمال، ثم أتى اليمامة، فقتل بها مثل تلك المقتلة، ولم يمر بماء من مياه العرب إلا غوره ولاجب من جبابهم إلا طمه. أتى قرب المدينة، فقتل من وجد هنالك من العرب وأسر، ثم عطف نحو بلاد بكر تغلب فيما بين مملكة فارس، ومناظر الروم بأرض الشام، فقتل من وجد بها من العرب، وسبى وطم مياههم، وأنه أسكن من بني تغلب من البحرين دارين واسمهما هيج والخط ومن كان من عبد القيس وطوائف من بني تميم هجر، ومن كان من بكر ابن وائل كرمان، وهم الذين يدعون بكر أبان، ومن كان منهم من بني حنظلة بالرملية من بلاد الأهواز[2]".

إلا أنه على الرغم من ذلك فقد امتازت السياسة الخارجية لإيران بالمرونة إلى جانب الضغط القوي على الجيران، فقد كان الساسانيون يلجؤون إلى سياسة العلاقات الطيبة مع الجوار، كي يأمنوا على حدودهم الغربية، وكما هو معروف دافع عن مصالح الفرس في الغرب دولة اللخميين العربية التي كانت تقود وتراقب، وتسيطر على قبائل شرق الجزيرة العربية[3].

عثمان: الحدود الإسلامية ١٢٢/١

(١) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ـ الكتاب الأول ـ الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية ـ مقالة لطفي عبد الوهاب يحيى ص٧٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٢ ص٥٧. الطبري: تاريخ ملوك الفرس والعرب ص٧٦ وما بعد وينظر ابن خلدون: العبر ج٢ ص١٧٢.

وينظر أيضاً: الثعالبي: غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ص٥١٧ وما بعد

جواد: تاريخ العرب ج٤ ص٣٠١-٣٠٦

(٣) يذكر أنه امتد حكم امرؤ القيس بن عمرو بن عدي من الحيرة وبلاد الشام إلى نجد والحجاز حتى بلغ نجران.

ديسو: العرب في سورية ص٢٦ وما بعد.

جواد: المفصل ١٩١/٣

وكانت البحرين تدخل في قوام الدولة الساسانية منذ زمن سابور الثاني، حكمها الوالي العربي المعين من قبل ملك الحيرة[١]، وقد كان والي البحرين عند ظهور الإسلام المنذر بن ساوى. وهو من بني تميم حكمها باسم الفرس[٢]، إلا أنه في الزمن الساساني المتأخر كان إلى جانب الوالي العربي مرزبان إيراني[٣]، " وفي أخريات القرن الرابع، كان الخليج العربي يعج بالملاحة وكانت السفن البحرية تختتم رحلاتها في تيريدون عند مصب الفرات "[٤].

وكان بالمنطقة عدة موانئ محمية، ومراسي، وكان السكان قادرين على استغلال ثروات البر والبحر معاً[٥].

ولم تكن البحرين المركز الوحيد للساسانيين فقد أسكن أردشير الأول، الأزد في عمان فبقوا فيها، تحت حكم الفرس[٦]. واعتنقوا المزدكية[٧]، فلقد كان للبحرين وعمان ملاحتهما، وكان في موانئهما عنصر فارسي قوي، وكانتا قد أصبحتا تابعتين قليلاً أو كثيراً للإمبراطورية الساسانية[٨]، فلقد شهد القرن الرابع الميلادي ضغطاً حربياً

عابدين: بين الحبشة والعرب ص٣٥.

جميلي: محاضرات ص١٣٨ وقد كان لابنه النعمان الأول كتيبتان كان يغزو الشام بهما وإلى جانبهما ثلاث أخرى غير نظامية.

الميداني: مجمع الأمثال ١١٨/١، لسان العرب مادة دوسر

الألوسي: بلوغ الأرب ١٧٦/٢، جواد: المفصل ٢٧٨/٣.

سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ٢٥٩-٢٦٠

جميلي: محاضرات ص١٣٩. علي حسن: التاريخ الإسلامي العام ص٧٢

(١) فرعون: السياسة الساسانية ص١١٥

(٢) ابن حبيب: المحبر ص٢٦٥.

جواد: تاريخ العرب ٣٠/٤

(٣) فرعون: السياسة الساسانية ص١١٥

(٤) حوراني: العرب والملاحة ص٩١

(٥) حوراني: العرب والملاحة ص٩١

(٦) جواد: تاريخ العرب ٢٦١/٤

جواد: المفصل ٦٣٤/٢

حوراني: العرب والملاحة ١٠٦-١٠٧

(٧) ينظر في فصل الديانات لتفسير معنى المزدكية.

(٨) حوراني: العرب والملاحة ص١٠٧

من الشرق من قبل الفرس في منطقة عمان[1]، ولكن الفرس لم يشكلوا ثقلاً سياسياً، ولا تحالفياً مع حكومة المدينة في عمان، مثلما شكله الأبناء في صنعاء، وبهذا ذاب بعضهم ضمن الإطار القبلي الكبير لقبيلة الأزد اليمنية في عمان[2].

فهذه السيطرة تجارية بحتة، ولم تكن استيطاناً بشرياً، تبعه سيطرة سياسية واقتصادية على بعض المراكز بحيث أصبح " الفرس في السواحل وشطوط البحر، والأزد ملوك في سائر البلاد، والأمور كلها منوطة بهم. وكان كل من غضب عليه كسرى من الفرس وأهل بيته ومملكته أو خافه على نفسه وملكه أرسله إلى عمان يحبسه بها، فلم يزالوا كذلك بين ظهراني الأزد إلى أن أظهر الله الاسلام بعمان، فأخرجوهم منها[3]"، وكان نعام بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن عدي أول رجل أغار على الفرس بعمان[4]، مما يدل على وجودهم في عمان.

أضف إلى ذلك أنه ربما كان لعلاقات التحالف العسكرية والاقتصادية بين الحكم المركزي في صنعاء أيام سيف بن ذي يزن وكسرى انو شروان في فارس[5] ما يسوغ هذه السيطرة على المراكز في شرقي اليمن (عمان) بحكم القرب الجغرافي والمصالح الاقتصادية.

وقد ظلت سوق عمان تحت نفوذ الفرس الفعلي، وكان ملوك الفرس هم الذين يولون عليها الأمراء، وكان لهم نفوذ على هجر، وفيها مرزبان يدعى سيبخت، واليه ذهب العلاء بن الحضرمي يدعوه إلى الإسلام، فأسلم معه جميع العرب وبعض العجم[6].

---

(١) لاندو"روم" الإسلام والعرب، تعريب منير بعلبكي - دار العلم للملايين بيروت ط١ ١٩٦٢ ص٢٢ يختصر إلى لاندو الإسلام والعرب. وينظر شكري: الأوضاع القبلية ص ٨٧.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٣٤٨/١٤.

شكري: الأوضاع القبلية ص ٥٢

(٣) السالمي: (نور الدين عبد الله بن حميد) تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ط٢ ـ مطبعة الشباب ـ القاهرة ١٣٥٠ ج١ ص ٣٧ يختصر إلى السالمي: تحفة الأعيان.

(٤) نسب معد واليمن الكبير ج٢ ص ١٧٢.

ابن حزم: الجمهرة ج٢ ص ٣٧٠

(٥) ابن خلدون: العبر ج٢ ص ١٧٧.

شكري: الأوضاع القبلية ص ٥١

(٦) ياقوت: معجم البلدان مادة هجر.

جواد: تاريخ العرب ٤١٠/٤

وكان للفرس نفوذ على المشقر، لأن المكعبر واسمه دار فروز بن حشنشفان، تولى وادي البحرين، وعمان إلى اليمامة واليمن ونواحيها[1]، فتكون فارس قد بسطت سلطانها على سواحل الخليج العربي كله، وعلى سواحل بحر اليمن[2]، وذلك حين أرسلوا قوات طردت الحبشة منها، واستولت على نصف سواحل جزيرة العرب[3].

ولم يأت القرن السادس الميلادي إلا وللفرس مكانة عالية وممتازة على طرق التجارة البرية والبحرية الموصلة بين الهند والصين، والإمبراطورية البيزنطية، حيث كونت لها مراكز تجارية حتى جزيرة سقطرى نفسها، وفي أدولس ميناء الحبشة الرئيسي، وبهذا سيطروا على جميع المياه الواقعة بين سيلان من جهة، وساحل شرق أفريقية من جهة أخرى[4]، فسلطة فارس انتشرت في الأساس على المدن الساحلية، والمراكز التجارية لشرق الجزيرة العربية، وكل الأراضي الباقية، بقيت في أيدي زعماء القبائل المحليين، الذين كانوا يملكون السلطة الحقيقية على القبائل التي كانت تعيش في القسم الشرقي لشبه الجزيرة العربية، لذلك في فترة انتشار الإسلام، أرسل الرسول محمد (ص) عدة رسائل لحكام، وزعماء شرق الجزيرة العربية يدعوهم إلى دخول الإسلام[5]، وتشهد هذه

---

(١) الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص ١١٦

(٢) الثعالبي: غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ص٦١٤،

أبي مخرمة: (أبي محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد)

تاريخ ثغر عدن، مكتبة المثنى بغداد ١٩٣٦ ج١ص٢٢.

يختصر إلى أبي مخرمة ـ تاريخ ثغر عدن

(٣) الأفغاني: أسواق ص٢٥٤.

وينظر الفصل الثاني فقرة الفرس في اليمن.

(٤) عاقل: (نبيه) دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ـ جامعة دمشق ١٩٦٧ ص ٧١-٧٢ يختصر إلى عاقل الإمبراطورية البيزنطية، حوراني: العرب والملاحة ٢١٨. شكري: الأوضاع القبلية ص ٥٠

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٦٥٤، الحلي (أبي البقاء هبة الله) المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية. تحقيق صالح موسى درازكة ومحمد عبد القادر خريسات ـ الجامعة الأردنية عمان ـ مكتبة الرسالة الحديثة ١٩٨٤ ج١ ص ٤٦ ـ ٤٧ يختصر إلى الحلي: المناقب المزيدية.

السالمي: تحفة الأعيان ٤٥.

الحيدر ابادي (محمد حميد الله) مجموعة الوثائق السياسية ـ القاهرة ١٩٤١ ص ١٢٩ ـ ١٣٠ يختصر إلى الحيدر ابادي، وثائق، سعيد(أمين) تاريخ الاسلام السياسي مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي ص ١٨٦، يختصر إلى سعيد: تاريخ الإسلام السياسي، فرعون: السياسة الساسانية ص ١١٦.

الرسائل على أن القسم الشرقي من جزيرة العرب، لم يكن تحت سلطة حاكم واحد، حيث لم يبد الحكام الفرس أية مقاومة للجيش العربي، وهذا دليل على ضعف موقعهم.

إذ أن الساسانيين لم يكونوا أقوياء في البحر، في القسم الشرقي عند ظهور الإسلام، وآية ذلك هو أن عاملهم على اليمن كان يرسل ألطاف اليمن، وما يجمعه منها إلى كسرى عن طريق البر حيث تعتبر اليمامة في الوسط عقدة المواصلات التي كانت السبب الأكبر في التنافس بين القبائل للسيطرة عليها[1].

وكان على اليمامة هوذة بن علي الحنفي، وكان ملكاً على دين النصرانية، وعلى علاقات حسنة بالفرس، وبأرضه تمر عير كسرى في طريقها إلى اليمن لتسلم إلى أعماله هناك[2]، وقد تعرض بنو تميم لقافلة كسرى التي كانت قادمة من اليمن في طريقها إلى المدائن، وانتهبوها وسلبوا رسل كسرى وأساورته[3]، فأوقع بهم كسرى حتى وهنوا، ويقال لهذا اليوم يوم الصفقة[4].

وكان الساسانيون كالبيزنطيين، وقد اتخذوا مسالح لهم على مشارف البوادي، والحدود لحماية أملاكهم من الغزو، ولإخبار الحكومة عند دنو العدو، وحالة حدوث خطر، وهي أبنية حصينة[5]، كما ذكر عن مسلحة العذيب على طريق البادية[6].

ومما تجدر الإشارة اليه ان الفرس حاولوا مراراً السيطرة على طريق الحرير الموصل إلى مكة، وكان لهم لأجل ذلك عدة حوادث كحادثة البراض، وإجارة لطيمة النعمان بن

---

(١) الأفغاني: أسواق ص ٢٢٥-٢٣٠

وينظر دراسات تاريخية عدد(١١) عام ١٩٨٣ ـ الردافة ـ مقالة بقلم صالح درادكة ص ٢٥.

(٢) جواد: تاريخ العرب ٤/ ٤١٠

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١/ ٦٢٠ وما بعد ـ جواد: المفصل ج٧ص٢٨٣ حوفي: تيارات ثقافية ص٢٢

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج١ص٦٢٠-٦٢١.

ابن خلدون: العبر ٢/ ٦٥.

جواد: تاريخ العرب ٣/ ٢١٢

جاد المولى (محمد احمد) ايام العرب في الجاهلية ـ دار إحياء التراث العربي ص١ومابعد. يختصر إلى جاد المولى أيام العرب.

حوفي: الحياة العربية ١١٦.

(٥) جواد: المفصل ٢/ ٦٤٧ ـ ٦٤٨

(٦) ابن رستة: الأعلاق النفيسة ص٢٧٥

المنذر، وقيام حرب الفجار، فكل ذلك محاولات لتحقيق هذا الفرض، علاوة على المحاولات الأخرى كنشر الزندقة التي قامت في فارس للسيطرة على بلاد العب، والطريق التجارية إلى مكة[1].

وكان على يثرب وتهامة عامل من قبل مرزبان البادية يجبي خراجها[2]، وذكر أن الفرس فتحوا سلع أو البتراء عام ٥٤٠[3] م، وحاولوا السيطرة على مكة[4]، إلا أن ذلك موضع جدل كبير بين المؤرخين ففريق يرى أن ضعف نفوذ تميم، وارتفاع سلطان غطفان كان مسبباً بفعل السياسة الفارسية.

وقد نفذت هذه السياسة بواسطة مملكة لخم كي يحصلوا على موطئ قدم في هذه المنطقة.

فهناك محاولة هامة أقدم عليها الفرس، وذلك أنهم أرادوا أن يفرضوا سلطانهم على مكة، كان ذلك في زمن قباذ الذي تزندق، وتبع مذهب مزدك، وعزل بني نصر الذين رفضوا قبول دينه. ورافقه الحارث الكندي. وأمر قباذ ـ كما تذكر القصة ـ الحارث أن يجبر العرب من أهل نجد وتهامة على اعتناق هذا الدين، وحين بلغ هذا التيار مكة اعتنق بعض الناس دين المزدكية فمنهم من تزندق، ومنهم من امتنع، من هؤلاء عبد مناف الذي جمع قومه، وأخبرهم أنه لن يتخلى عن دين إسماعيل وإبراهيم ويتبع ديناً يفرض بالسيف، وحين عرف الحارث بالأمر أخبر قباذ فأمره بهدم البيت وبقتل عبد مناف وإزالة رئاسة قصي، فكره الحارث ذلك وداخلته حميةاللعرب، فدرأ عنهم، وشغل قباذ بغيرهم.[5]

و قد استدل بعض المؤرخين من بيت شعر يقول:[6]

نؤدي الخرج بعد خراج كسرى وخرج بني قريظة والنضير

أن سلطان الفرس وصل إلى المدينة، إلا أن ذلك غير مؤكد لأنه لم يعزز بمصادر، بل

(١) ابن هشام: السيرة النبوية ١/١٩٦ وما بعد

تاريخ اليعقوبي ح٢ ص١٥. جاد المولى: أيام العرب ٢٣٢٧ وما بعد

(٢) ابن رستة: الأعلاق النفيسة ص٦٣-٦٤-١٧٥

(٣) روم لاندو: الإسلام والعرب ص ٣٠

(٤) كستر: الحيرة ومكة ص١٠ - ٥٨

(٥) كستر: الحيرة ومكة ص١٠

(٦) ياقوت: معجم البلدان مادة مدينة يثرب

المؤكد أن أهل المدينة كانوا أحراراً لا سلطان للفرس أو الروم عليهم، ثم كيف يستطيع عامل المرزبان جباية الخراج من شمالي الحجاز، وقوته ضعيفة في البحرين[1].

يستخلص من كل ذلك أن التنافس بين قوة فارس وقوة بيزنطة لم يقتصر على ميدان القتال فحسب، بل كانت التجارة وبسط النفوذ السياسي من أهم الميادين التي امتدت إليها المنافسة. وقد تجسد التنافس بين الذراعين البحريين الكبيرين. فبينما انشأ البطالمة خطاً شبه منتظم للتجارة بين خليج عدن، وشرقي البحر المتوسط، نشط هذا الطريق فيما بعد، وأصبح مجالاً للهيمنة الرومية، يقابله هيمنة الفرس على سواحل الخليج العربي، والمحيط الهندي، فقد حكم الفرس الكثير من الأطراف الشرقية حتى وصلوا إلى اليمن، لكن لم تكن هيمنة الفرس على طرق الملاحة بالمحيط الهندي، والقسم الجنوبي من البحر الأحمر في مصلحة أكسوم وعدولي وبيزنطة، فعمدت إلى نشر النصرانية، وأنفقت على بناء الكنائس بسخاء، وعني الجميع بتقوية الحدود مع البادية ببناء المسالح.

والجدير بالذكر أن ملوك الروم لم يرسلوا قوافل تجارية خاصة بهم لتتاجر مع شبه جزيرة العرب على غير ماكان يفعل الملوك الساسانيون. فقد كانوا يتاجرون مع العرب، يشترون منهم ويبيعون، ويرسلون القوافل بأسمائهم إلى العربية الجنوبية لبيع ما تحمله في أسواقها ولشراء السلع العربية الجنوبية يحملونها إلى أسواق العراق.

---

(١) كستر: الحيرة ومكة ص١١

الفصل الخامس

الدين والصراع الدولي

١) المعتقدات البدائية

كانت معتقدات قدماء العرب الدينية بسيطة بساطة حياتهم الاجتماعية[1]. فلم تتعد عبادة وتقديس بعض مظاهر الطبيعة وقواها، والاعتقاد بمخلوقات وهمية كالجن والغول والسعلاة[2].

وفيما بعد أفضى تطور القوى المنتجة، وقيام صلات حضارية بين الجزيرة العربية، والعالم الخارجي إلى تطور في مستوى الوعي الديني عند العرب، تمثل في تراجع الظاهرات الدينية البدائية دون زوالها نهائياً، وظهور الوثنية التي غدت أكثر الأشكال الدينية انتشاراً،

---

(١) خربوطلي: الحياة الاجتماعية في الحجاز قبيل ظهور الإسلام ص٣٨.

(٢) الجاحظ (أبي عثمان عمرو بن بحر) الحيوان ـ دار أحياء التراث العربي بيروت ط ٣ ١٣٨٨هـ-١٩٦٩ م ج٦ ص٢١٧ يختصر إلى الجاحظ: الحيوان.

وأقواها جذوراً في المجتمع قبل ظهور الإسلام[1]، لأنها كانت انعكاساً لأوضاعهم الاجتماعية وشروطها المادية، وهي على أشكال مختلفة ذكرها القرآن الكريم[2].

فلما كانوا محترفين للزراعة والتجارة، فقد برزت لديهم عبادة النجوم، والكواكب السيارة، مثال على ذلك أن كنانة وقريش وطائفة من تميم عبدت الدبران[3].

ولخم وخزامة وحمير عبدت الشعرى[4] والعبور وعبدت طيء سهيلاً، وعبدت أسد عطارد[5].

أما تقديس الأشياء المادية كالحجارة مثلاً اعتقاداً بوجود قوة سحرية (الروح) تحل فيها، فقد كانت أكثر الديانات البدائية شيوعاً في الحجاز، كان الرجل منهم إذا سافر منزلاً، أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً وجعل ثلاثة أثافي لقدره، وإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك، فكانوا ينحرون ويذبحون عندها ويتقربون إليها[6].

وآمنوا بوجود صلة لهم بحيوان أو نبات[7]، فإن دل هذا على شيء، فإنه يدل على أن أقدم آلهة العرب كانت متصلة بالطبيعة وقواها الخفية.

ومع تطور القوى المنتجة، وازدياد الصلات مع العالم الخارجي، تطورت لديهم هذه

---

(١) ابن الكلبي: الأصنام ص١٠ وما بعد

(٢) سورة نوح الآية ٢١ وما بعد.

(٣) الدينوري: الأنواء ص٣٧- ٣٨.

دلو: جزيرة العرب ج٢ ص١٧٠

(٤) الدينوري: الأنواء ص٤٦.

لسان العرب: مادة عبر، تاج العروس مادة عبر

(٥) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص١٥٩.

(٦) ابن الكلبي: الأصنام ص٣٣.

وينظر الطبري: جامع البيان ج١٩ ص١٧.

(٧) اعتقدت بعض القبائل بوجود صلة لها بحيوان أو نبات يكون في نظرها مقدساً فإذا كان حيواناً لا تقدم على قتله أو نباتاً لا تقطعه ولا تأكله إلا في أوقات المجاعة والشدة، وقد سميت هذه الديانة الطوطمية.

خان: الأساطير العربية قبل الإسلام ص٢٥.

جرجس: أديان ص١٣

وافي: الأسرة والمجتمع ص٧

ضيف: العصر الجاهلي ص٨٩.

المعتقدات، فظهرت الوثنية وغدت أشكالاً وألواناً مختلفة واتخذت لها المعابد، وكان لها سدنة وحجاب، يحجون إليها، ويطوفون بها، ويقدمون لها القرابين والنذور والعطايا لنيل رضاها، ودفع الأذى عنهم[1].

وتطور مستوى الوعي الديني، فاعتقد أناس من العرب بالرجعة[2] والمسخ[3]. والثنوية[4]، والقضاء والقدر[5]، والقدرية[6]، والزندقة[7] ودانت جماعات باليهودية والنصرانية.

إذن لم يكن للعرب قبل الإسلام عقائد دينية موحدة في نظام ديني شامل، مع العلم أن الوثنية نشأت كتعبير ديني عن العلاقات القبلية التعددية الانقسامية، وكانت أكثر الظاهرات الدينية انتشاراً في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام.

وبما أن موضوع البحث هنا عن الدين والصراع الدولي فسيقتصر الحديث عن الديانات التي كانت مجالاً لهذا الصراع وهي اليهودية والمسيحية حيث أصبح إعلان هذا الدين أو ذاك وسيلة لإقامة العلاقات مع بيزنطة أو إيران.

---

(١) ابن الكلبي: الأصنام ص٢٧ وما بعد

ابن حبيب: المحبر ص٣١٠؛

ابن كثير: البداية والنهاية ج٢ ص١٩٢

الألوسي: بلوغ الأرب ج٢ص٢٠٥

(٢) الرجعة: مذهب قوم من العرب في الجاهلية، ويعني الرجعة للدنيا بعد الموت، لسان العرب مادة رجع.

(٣) المسخ: تحويل صورة إلى صورة اقبح منها. لسان العرب مادة مسخ.

(٤) الثنوية: وهو ان للعالم إلهين احدهما خير وهو معدن النور، والأخر شر وهو معدن الظلمة، وانهما تمازجا فانتصر الخير على الشر فانتقل الشر إلى جهة الجنوب ليعمل هناك عالماً ويتسلط عليه، وهي نوع من الزندقة.

ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص١٣٠

سالم: تاريخ العرب ص٤٨٠

(٥) القضاء والقدر: القضاء الخلق والقضاء والقدر أمران متلازمان لاينفل احدهما عن الأخر لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر والأخر بمنزلة البناء وهو القضاء، لسان العرب مادة قضي.

(٦) القدرية: الإنسان خالق لإفعاله ومسؤول عن عمله من خير أو شر، وهم معتزلة أيضاً، وإنما لقبوا بالقدرية لنفيهم القدر لا لإثباتهم إياه بأنهم يقولون إن العبد الخالق لأفعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثواباً أو عقاباً.

ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص١٦٥ جواد: المفصل ج٦ ص١٦١

(٧) الزندقة: والزنديق: القائل بدوام بقاء الدهر وإنكار الآخرة والخلق والخالق والرسل. لسان العرب مادة زندق.

٢) اليهودية

أ- اليهودية في الحجاز والعربية الغربية

اضطربت أقوال المؤرخين حول أسباب ظهور الديانة اليهودية في بلاد العرب، ولكن بما أن فلسطين امتداد طبيعي للمنطقة الغربية من بلاد العرب، فمن الطبيعي اتصال سكانها بالحجاز واتصال سكان الحجاز بفلسطين، وذهاب جاليات يهودية إلى العربية الغربية للاتجار، وللإقامة هناك. خاصة بعد استيلاء الدول الكبرى على فلسطين، وهجرة اليهود إلى الخارج[١]. إن فلسطين جزء متمم للحجاز جغرافياً ومنفذه التجاري، وميناء غزة من المواضع التي كان يقصدها تجار الحجاز للاتجار، والحركة مستمرة دوماً بين فلسطين والحجاز[٢]، فمن الطبيعي أن يوجد اليهود في الحجاز، وينتشروا في أماكن متعددة ويستقروا في مواضع المياه والعيون، وفي الأرض الخصبة، والعامرة من وادي القرى، وتيماء وخيبر إلى يثرب. وبحكم وجودهم في مثل هذه الأرض فقد مارسوا الزراعة والتجارة والصناعة وإقراض المال بربا فاحش للمحتاجين إليه[٣]، أضف إلى ذلك أنهم كانوا يبيعون بالرهن. يرهن المشتري بعض أمتعته عندهم ليستدين منهم ما يحتاج إليه، وقد ورد أن الرسول (ص) رهن درعاً له عند يهودي من أهل يثرب في مقابل شعير كان به حاجة شديدة إليه[٤].

---

(١) ولفنسون: اليهود في جزيرة العرب ص٩.

جواد: المفصل ٥١/٦

(٢) جواد: المفصل ٥١٦/٦

(٣) الربا: الزيادة على أصل المال من دون عقد تبايع.

لسان العرب مادة ربا.

ولفنسون: اليهود في جزيرة العرب ص١٨ وما بعد

جواد: المفصل٥١١/٦،

وقد وجه القرآن الكريم إليهم بسببه أشد تقريع، وأنبهم أعنف تأنيب قال تعالى: " فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليه طيبات أحلت له وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما ".

سورة النساء الآية ١٥٨.

(٤) البخاري: صحيح البخاري ٨٨٧/٢-٨٨٨

وينظر أيضاً ولفنسون: اليهود في جزيرة العرب ص١٨.

ولذلك فقد أثروا ثراء فاحشاً، ومن أجل ذلك بنوا الأطام[1] لحماية أنفسهم بالاتفاق مع رؤساء القبائل الساكنة في جوارهم على دفع إتاوة لهم، أو على تقديم الهدايا إليهم لاسترضائهم، وكان من شأنهم أيضاً التفريق بين الرؤساء، وإثارة الشحناء بين القبائل، حتى لا تصفوا الأحول فيما بينهم، وتلتئم، ولئلا يكون اتفاقها والتئامها خطراً يتهدد اليهود. وقد أدى التنافس بين سادات اليهود، إلى نشوب معارك بينهم في الجاهلية أشار إليها القرآن الكريم وأنبهم على ذلك[2]، كحرب سمير ويوم السرارة وحرب الفجار ويوم الفجار الأول والثاني[3] وغيرها.

وقد خضع اليهود في نظامهم السياسي والاجتماعي لرؤسائهم وساداتهم، فكانوا يدفعون لهم ما هو مفروض عليهم أداؤه في كل سنة، وهؤلاء السادة هم أصحاب الأطام والحصون، والأرض، ولمن يشتغل في الأرض تسديد ما عليه لصاحبها في مقابل استغلاله لها، وقد اعتنوا عناية خاصة بزراعة النخيل، وعرفت القطعة من الأرض المزروعة نخلاً عندهم بالصورين" الصورة "[4].

وتولى الأحبار الأمور الدينية، وتنفيذ الأحكام، والنظر فيما يحدث بين الناس من خصومات يقيمون لهم الصلوات، وبقية طقوس دينهم ويعلمونهم في بيوت المدارس[5].

والجدير بالذكر أنه كان بالطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن ويثرب فجاؤوا إليها.

وقد وضعت الجزية عليهم أيام الرسول (ص) ومنهم ابتاع معاوية أمواله بالطائف[6].

جواد: المفصل ٥٣٥/٦

(١) الأطام والأطم: حصن مبني بحجارة، لسان العرب مادة أطم

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٤ وما بعدها.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥٨٨/١-٦٥٨-٦٧٨.

وينظر السمهودي وفاء الوفا ٢١٥/١.

جاد المولى: أيام العرب ص٦٢ وما بعد.

(٤) تاج العروس: مادة صور

لسان العرب مادة صور

(٥) جواد: المفصل ٥٣٣/٦

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ص٦٧ ـ ٦٨

جواد: المفصل ٥٣٠/٦

ولكن لم تكن لهم جاليات كبيرة في جنوب المدينة حتى اليمن لعدم إشارة أهل الأخبار إليهم.

ولكن لا يستبعد وجود أفراد وأسر منهم في مكة، وفي عدن، وفي المدن التي اشتهرت بالتجارة كبعض موانئ البحر الأحمر، وموانئ سواحل العربية الجنوبية، غير أن وجودهم في هذه المواضع لم يكن له أثر واضح مهم فلم يتجاوز محيطاً التجارة والاتجار[1].

لقد اختلط اليهود بالعرب، وتعايشوا معهم، وكانوا في حياتهم الاجتماعية والسياسية كالعرب[2]، حتى أن أسماءهم حملت الطابع العربي، فتعرب بعض منهم كالشاعر السموءل بن عاديا[3] إلا أنهم على الرغم من اختلاطهم بالعرب، وتعايشهم معهم لم يؤثروا في العرب ولم يستطيعوا أن ينجحوا في نشر اليهودية بينهم بشكل كبير، حيث ذكر تهود قسم من العرب، فقد كانت اليهودية في حمير، وبني الحارث بن كعب، وبني كنانة، وكندة[4]، وغسان[5].

ب- اليهود في العربية السعيدة

وجدت اليهودية في العربية السعيدة، فقد ذكر اليعقوبي أن ممن تهود من العرب، " اليمن بأسرها، كان تبع حمل حبرين من أحبار يهود إلى اليمن.

فأبطل الأوثان، وتهود من باليمن، وتهود قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن، لمجاورتهم يهود خيبر، وقريظة والنضير، وتهود قوم من بني الحارث بن كعب، وقوم من غسان، وقوم من جذام[6]".

---

(١) جواد: المفصل ٥٣٠/٦

(٢) جواد: المفصل ٥٣٢/٦

(٣) جواد: المفصل ٧٧١/٦

(٤) ابن حزم: الجمهرة ٤٩١/٢.

ولفنسون: اليهود في جزيرة العرب ص٤٠

جواد: المفصل: ٥١٤/٦.

سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ٣٣٤، يونس: كندة ص١٣

(٥) المقدسي: البدء والتاريخ ١٨٢/٣ وما بعد.

ولفنسون: اليهود في جزيرة العرب ص٢٦. جواد: المفصل ٥١٤/٦

سعد: تاريخ العرب قبل الإسلام ص٣٦٢

(٦) تاريخ اليعقوبي ٢٥٧/١.

وذكرت طريقة من طرق تهود بعض العرب " كان من نساء العرب من تنذر إذا ولدت، وعاش ولدها أن تتهود، لأن اليهود كانوا في نظرهم أهل علم وكتاب[1]".

فاليهودية من ناحية التبشير كانت جامدة خامدة لايهمها نشر الدين، بقدر ما تهمها المحافظة على الحياة، وعلى المركز الذي توصلت إليه، وعلى تجارتها التي تعود عليها بمال غزير، لهذا فهي لم تهتم بحركة إلا إذا وجدت فيها فائدة لها، ومنفعة ترتجى منها، ولم تحارب رأياً إلا إذا وجدت أنه سيكون خطراً عليها، فحاربت النصرانية في اليمن لما وجدت الروم يسيرون على سياسة معادية لليهودية، وأن النصرانية مهما كانت كنيستها هي فرع من شجرة واحدة هي الشجرة التي يقدسها الروم، فامتداد أي فرع منها إلى اليمن كفيل بتحقيق ما ترغب به بيزنطة في البلاد العربية، وإلحاق الأذى منها بإخوانهم اليهود.

قد لا يوجد بين القبائل العربية يهود مبشرين لإقناعها بمختلف الوسائل والطرق للدخول في دين يهود، كما فعل النصارى، لهذا انحصرت سكنى اليهود، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في المواضع الخصبة وطرق المواصلات من جزيرة العرب.

لهذا لا يعرف إلا القليل جداً مما يتعلق بالأساليب التي انتشرت بها اليهودية وسط أعيان حمير[2]، واضطربت أقوال المؤرخين في أسباب ظهورها، منها:

١)- نتيجة لنضال عنيف وقع بين اليهودية والنصرانية تمكنت فيه الأولى من أن تتغلب على الأخرى في بادئ الأمر.

٢)- تنبه ملوك حمير لحيل ملوك الروم في نشر الديانة المسيحية بغية ضم اليمن إلى أملاكهم، فهداهم فكرهم إلى أن يعتنقوا الديانة اليهودية ليقاوموا ديناً توحيدياً بدين توحيدي آخر.

وقد أصاب ملوك حمير في هذه الفكرة كل الإصابة لأن اعتناقهم لليهودية قضى على كل الحجج التي كان ملوك الدولة الرومية يعتمدون عليها في الترويج لدعوتهم السياسية، وانقطعت الوسائل التي كانوا يتوسلون بها للتأثير في عقول أفراد الشعب وجماعاته[3]".

وينظر جواد: المفصل ٥١٤/٦

(١) ولفنسون: اليهود في جزيرة العرب ص ٨٨.

(٢) بيوتروفسكي: اليمن قبل الإسلام ص٢٣٦.

(٣) ولفنسون: اليهود في بلاد العرب ٣٥-٣٦

وتاريخ ظهور اليهودية في بلاد حمير موضع جدل عنيف بين العلماء، فريق منهم يقرر أن دولة حمير اليهودية ظهرت في القرن الأول ق. م[1]. وآخرون يرون أن ظهور اليهودية في اليمن لم يسبق القرن الثاني الميلادي[2].

والمؤرخون العرب يؤيدهم طائفة من المؤرخين الغربيين يرون أن دولة حمير اليهودية لم تظهر إلا في القرن الخامس الميلادي[3].

فبزعم الإخباريين أن تبعا[4] وهوتبان أسعد أبو كرب اهتدى إلى هذه الديانة عند اجتيازه ليثرب، وهو عائد إلى اليمن من حرب قام بها، وذلك بتأثير حبرين من أحبار بني قريظة عالمين راسخين في العلم حيث هديا تبع إلى اليهودية، وأبعداه عن عبادة الأوثان، فاتبعهما وأخذهما معه إلى اليمن، ودعا قومه إلى الدخول في الديانة اليهودية فأجابوه[5].

قد يكون لهذه الرواية شيء من الصحة، إلا أن هذه الأسطورة، تحكي عن تهود الملك، وتعكس النفوذ الكبير للديانة اليهودية، وسط قمة المجتمع اليمني، وتتضمن

---

(١) ولفنسون: اليهود في بلاد العرب ص٣٦

(٢) ولفنسون: اليهود في بلاد العرب ص٣٨.

(٣) ولفنسون: اليهود في بلاد العرب ص٣٨.

سوسه: العرب واليهود في التاريخ ص٥٩٦.

(٤) تبع والتبابعة اما بمعنى ان الناس يتبعونهم، وأما بمعنى انه يتبع بعضهم بعضا.

قلقشندي: صبح الأعشى ٢٤/٥

(٥) وهب بن منبه: التيجان ٢٩٤ - ٢٩٦.

حميري: ملوك حمير ١٤٦

ابن هشام: السيرة ٢٠/١ وما بعد

ابن حبيب: المحبر ٣٦٧.

تاريخ اليعقوبي ١٩٨/١.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٠٥/٢ وما بعد.

نيلسن: التاريخ العربي ٣٠٢.

سيديو: تاريخ العرب ٤٧-٤٨.

جواد: المفصل ٥٣٧/٦، سعد: تاريخ العرب قبل الإسلام ٣٦٠

سوسه: العرب واليهود في التاريخ ص٥٩٦ ، عقيلي: اليهود في شبه جزيرة العرب ص٧٤

دلو: جزيرة العرب ٢٢٠/٢

شكري: الأوضاع القبلية ١٦٦.

أصداء نزاعات حقيقية، ما مؤداها التطاول على المقدسات الوثنية، وتدل على نفوذ اليهودية إلى أعيان المجتمع، وليس إلى المجتمع بأسره، إذ لا يعقل أن يكون دخول اليهودية إلى اليمن عن هذا الطريق فقط.

فلو كان ذلك صحيحاً، لأحدث دخول اليهودية فتناً داخلية، إلا أنه كان هناك أناس من ذوي النفوذ السياسي سمحوا للديانة اليهودية التوحيدية أن تتسرب إلى اليمن، وتركوها تنتشر شيئاً فشيئاً، أو ساعدوا على انتشارها بين الشعب، قبل أن يعلن تبان أسعد أنها صارت دين البلاد.

على أن المعقول أن يكون اليهود قد وجدوا في تلك الأرجاء منذ زمان بعيد، وإذ لا يمكن أن يكون اليهود انتشروا في بلاد الحجاز في حين لا يكون منهم أحد في بلاد اليمن، لاسيما وعدد كبير من اليهود تجار دأبهم التنقل والارتحال لتبادل البضائع في مختلف البلدان، فلا بد أن يكون هناك جماعة يهودية قد وصلت إلى ثغور اليمن، وحضرموت، ثم توغلت إلى الداخل شيئاً فشيئاً، ثم تأصلت جذورها وظهر الميل عند قيل أو عدة أقيال لاعتناق اليهودية، كما اعتنقت بطون عربية الديانة المسيحية بسبب نفوذ الرهبان وانتشار الدعوة إليها تدريجيا.

وقد يكون في حكم الممكن أنه بعد أن قفل تبان أسعد راجعاً من يثرب جمع الأقيال المتهودة، وكون فيها دولة حميرية يهودية لصد هجوم الدولة الحبشية وسد السبيل في وجه مطامعها ولمنع انتشار النصرانية التي كان ملوك الروم يتوسلون بها إلى تنفيذ مطامعهم التوسعية.

ففي نجران، وهي منطقة زراعية خصبة، وذات موقع تجاري هام على طرق القوافل بين اليمن والشام من جهة، وبين اليمن وبلدان الخليج والعراق على طريق عاصمة دولة كندة من جهة أخرى، أنشأ المهاجرون اليهود مستوطنات لهم، عاشوا فيها مع غيرهم من عرب المنطقة الوثنيين والمتنصرين[1].

من كل ذلك يستخلص أن دخول اليهودية إلى اليمن مرده إلى التجارة واتصال اليمن منذ عهد قديم بطرق القوافل التجارية البحرية والبرية ببلاد الشام، وإلى هجرة جماعات

---

(١) بيوتروفسكي: اليمن قبل الإسلام ص٢٣٦.

جواد: المفصل ج٦ ص٥٤١.

دلو: جزيرة العرب ٢/ ٢٢١

من اليهود إليها عن طريق الحجاز، جذبهم إلى هذا القطر المتحضر، ازدهار التجارة، وتقدم الزراعة فيه. على أن هناك عوامل أخرى لظهور الديانة اليهودية في اليمن وهي أن ملوك حمير لم يخشوا على أنفسهم من اعتناق اليهودية من أن تتسلط عليهم دول ذات سلطان كبير، ونفوذ واسع، إذ لم يكن لليهودية في ذلك الوقت دولة سياسية، في حين أن النصرانية، كانت تعتمد على الإمبراطورية البيزنطية الطامعة في فتح بلادهم، ثم أن تعاليم الديانة المسيحية التي كانت تستمد بعض تعاليمها يومئذ من الفلسفة اليونانية كان لها أثر كبير في انتشار اليهودية في بلاد اليمن(١).

ورد في أخبار الشهداء الحميريين أن أخباراً من فلسطين من طبرية، كانوا قد جاؤوا إخوانهم في الدين، يهود اليمن وسكنوا معهم(٢).

ومعنى ذلك أن الصلات بين يهود اليمن، ويهود فلسطين كانت موجودة، وأن يهود اليمن لم يكونوا بمعزل عن يهود فلسطين، ويجب أن يقال مثل ذلك عن يهود الحجاز، إذ لا بد وأن يكون ليهود الحجاز اتصال بيهود فلسطين، وبيهود اليمن(٣).

تذكر مصادر القرن السادس اسم شخصين من أعيان حمير ينتسبان إلى عشيرة ذي يزن، وكان يدينان باليهودية، وكلاهما ابن لأمة، أحدهما ملك حمير ذو نواس، الذي كان ابناً لأمة يهودية من أهل نصيبين(٤).

ج- اليهود في باقي الجزيرة العربية

وجد اليهود في مواضع أخرى من جزيرة العرب، وجدوا في العربية الشرقية، وفي نجد، وفي مواضع من العربية الجنوبية، فلما ارتد بنو وليعة، والأشعث بن قيس بن معد يكرب بن معاوية الكندي، وتحصن الأشعث في النجير، وهو حصن لهم كانت فيه امرأة

---

(١) ولفنسون: اليهود في بلاد العرب ص٣٧.

(٢) الشهداء الحميريون ص٤٧.

وينظر بيغوليفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران ص١٠٤.

(٣) التوراة: سفر اخبار الأيام الثاني الفصل ١٦-١٧.

قاسمية (خيرية) وعبده علي إبراهيم: يهود البلاد العربية مركز الأبحاث الفلسطيني بيروت ١٩٧١ ص١٣٥، يختصر إلى قاسمية: يهود البلاد العربية ز

شكري: الأوضاع القبلية ص١٦٦.

(٤) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص٢٦

من اليهود عرفت بشماتتها بوفاة الرسول (ص) اسمها هند بنت يامين اليهودية[1].

مما يدل على وجود اليهود في هذا المكان، كان بالبحرين قوم من اليهود، صالحوا المسلمين مثل النصارى على دفع الجزية عن رؤوسهم[2].

وقد كتب المنذر بن ساوى العبدي يخبر الرسول أن بأرضه يهود ومجوس، فكتب إليه الرسول (ص) من أقام على يهودية، أو مجوسية فعليه الجزية[3].

مما تقدم، يمكن القول إن اليهود انتشروا في الكثير من مناطق الجزيرة العربية، إلا أنهم كانوا أكثر انتشاراً في المنطقة الغربية من البلاد بحكم الاتصال التجاري مع فلسطين ووجود المناطق الخصبة.

٣) النصرانية أو المسيحية[4]

لم تكن اليهودية الديانة السماوية الوحيدة التي وجدت لها سبيلاً إلى جزيرة العرب، بل وجدت ديانة سماوية أخرى طريقاً لها إلى العرب هي الديانة النصرانية وهي ديانة أحدث عهداً من الديانة الأولى، لأنها قامت بعدها، ونشأت على أسسها ومبادئها، ولكنها كانت أوسع أفقاً وتفكيراً من الأولى.

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص١١٠- ١١١

جواد: المفصل ج٦ ص٥٤

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص٨٩- ٩١

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ص٨٩.

ياقوت: معجم البلدان، مادة بحرين

جواد: المفصل ٥٤٢/٦

دلو: جزيرة العرب ج٢ ص٢٢٠

(٤) النصرانية لفظ يطلق في العربية على اتباع المسيح وهي من الألفاظ المعربة يرى بعض المستشرقين انها من أصل سرياني هو نصرويو ونصريا.

جواد: المفصل ج٦ ص٥٨٢

وذهب بعضهم إلى انها نسبة إلى الناصرة التي نسب إليها المسيح. لسان العرب مادة نصر، تاج العروس مادة نصر.

أما المسيحية فقد ظهرت هذه التسمية بعد تنصر الأمم الوثنية، ودعي التلاميذ بها في انطاكية أولاً، وجاءت هذه التسمية برهاناً على شجاعة الجماعة المؤمنة في انطاكية معلنة أن الكنيسة لم تعد مجرد شيعة يهودية.

ساكا: السريان إيمان وحضارة ج١ ص٤.

أ- انتشار المسيحية

وإذا كانت اليهودية قد دخلت الجزيرة العربية بالهجرة والتجارة، فإن دخول النصرانية إليها كان بعدة طرق منها التبشير، وبدخول النساك والرهبان إليها للعيش فيها بعيدين عن ملذات الدنيا، وبالتجارة بالرقيق، ولا سيما الرقيق الأبيض المستورد من أقطار كانت ذات ثقافة وحضارة.

والجدير بالذكر أنه لم تحدث هجرة نصرانية كهجرة اليهود إلى الحجاز أو اليمن أو البحرين والسبب في ذلك أن النصرانية انتشرت في الإمبراطورية الرومية والساسانية بالتدريج، ثم صارت ديانة رسمية للقياصرة والروم والشعوب التي خضعت لهم.

وبفضل ما كان لكثير من المبشرين من علم، ومن وقوف على الطب والمنطق ووسائل الإقناع ووسائل التأثير في النفوس، تمكنوا من اكتساب بعض سادات القبائل، فأدخلوهم في دينهم، وحصلوا منه على مساعدتهم، وحمايتهم، فتسبب دخول بعض سادات القبائل ممن تنصر إلى مداواة الرهبان لهم، ومعالجتهم حتى تمكنوا من شفائهم، مما كانوا يشكون منهم من أمراض، كما حدث لضجعم سيد الضجاعمة، إذ توسل أحد الرهبان إلى الله أن يهب له ولداً ذكراً، فاستجاب له، فلما رأى ضجعم ذلك دخل في دينه، وتعمد هو وأفراد قبيلته[1].

وذكروا أن سبب نصرانية النعمان ملك الحيرة شفاؤه على يد راهب من مرض عصبي ألم به[2].

---

(١) شيخو: النصرانية وآدابها ٣٥/١

جواد: المفصل ٥٨٧/٦-٥٩٢

وينظر ابن خلدون : العبر ٢٧٨/٢.

ضجعم بن سعيد بن سليح واسمه عمرو بن حلوان بن عمران بن الحاف. ملكوا بلاد الشام إلى أن جاءهم غسان فسلبوهم ملكهم ابن خلدون: العبر ٢٧٨/٢

(٢) شيخو: الديورة في مملكتي الفرس والعرب ٣٢-٤٧.

وينظر جواد: المفصل ٥٨٨/٦.

الحوفي الحياة العربية ١٤٤.

الجارم: أديان العرب ٢٠٤

سعد: تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٢٧ - ٣٦

سوسه: العرب واليهود في التاريخ ٢١٤.

على أن أناساً من العرب، دخلوا بالنصرانية باتصالهم بالتجار النصارى، وبمجالستهم لهم، وإن دخول النصرانية إلى جزيرة العرب، كان مع بضاعة مستوردة من الخارج هي تجارة الرقيق من الجنسين.

أضف إلى ذلك أن الأديرة أثرت تأثيراً مهماً في تعريف التجار العرب، والأعراب بالنصرانية، لأنها كانت مواطن تبشير ونشر دعوة، حيث تشير جغرافية توزع الأديرة على انتشارها حتى في المواضع القصية من البوادي، فنجد لها ذكراً في الحجاز، ونجد وجنوبي جزيرة العرب، وشرقيها، تتلقى الإعانات من كنائس العراق والشام، ومن الروم، حتى تمكنت من التبشير بين أكثر القبائل.

- من ذلك يستطاع القول: إن طرق تنصير البلاد كانت ":

١- البعوث الرسمية التي أرسلتها حكومة نصرانية (بيزنطية) والتي قصد بها الحكام المحليون.

٢- إدخال التجار المحليين في العقيدة، وهم ممن كانوا يقدمون بقوافلهم إلى الأقطار النصرانية (أو الذين أخذوا إليها طريق البحر).

٣- نشاط نصارى الأجانب بما في ذلك أولئك الذين وقعوا في أسر الأغنياء والأعيان بحمير ونجران.

٤- إدخال أرباب الأسر الكبيرة ممن اعتنقوا النصرانية أهل بيوتهم وأقاربهم في العقيدة الجديدة، كما شغل الشعراء أيضاً دوراً خاصاً في نشر النصرانية ببلاد العرب فيما بعد[1] ".

ب- النصرانية ببلاد الشام

لعل انتشار النصرانية بين العرب ببلاد الشام كان واضحاً ظاهراً أكثر منه في أي مكان آخر وهو شيء طبيعي فقد كانت بلاد الشام تحت حكم البيزنطيين، وديانتهم الرسمية هي الديانة النصرانية، وكانوا يعملون على نشرها، وترويجها بين شعوب إمبراطوريتهم، وبين الشعوب الأخرى، لاسيما الشعوب التي لهم مصالح اقتصادية معها، ففي نشر النصرانية بينهم، وإدخالهم فيها تقريب لتلك الشعوب منهم، وتوسيع لنفوذهم

ساكا: السريان ايمان وحضارة ١/١٧٧ ـ ١٧٨.

(١) كوبيشانوف: الشمال الشرق الأفريقي ص٢٥

السياسي بينهم وتقوية لمعسكرهم المناهض لخصومهم الفرس، أقوى دولة معادية لهم في ذلك الوقت، أضف إلى ذلك محاولة الروم تنصير الشعوب الخاضعة لها لا تقرباً إلى الله وحده، بل لتمكين سلطانهم عليها، وإخضاعها روحياً لهم، لذا كان من سياسة البيزنطيين نشر النصرانية، وإرسال المبشرين، والإغداق عليهم ومدهم بالأموال لنشر الدعوة، وتأسيس مكاتب للتبشير.

فدخل سادات القبائل والحكام العرب، والتابعون لهم في هذه الديانة، فصاروا نصارى، ولكنهم لم يأخذوا نصرانية الروم، بل أخذوا نصرانية شرقية، مخالفة لكنسية القسطنطينية فاعتنقوها مذهباً لهم[1]، لتتناسب والمعتقدات الشرقية، اتجاهات المنطقة المحيطة.

على أن النصرانية التي شاعت بين عرب بلاد الشام هي النصرانية اليعقوبية، وهو مذهب اعتنقه أمراء الغساسنة وتعصبوا له، ودافعوا عنه وجادلوا رجال الدين في القسطنطينية، وفي بلاد الشام في الذبّ عنه، كالذي نسب إلى الحارث بن جبلة، وإلى المنذر بن الحارث، ودفاعه عن المونوفيزية مذهب الغساسنة[2]. وقد " وجه جستيان وفداً إلى المنذر ملك العرب ليصالحه لأنه كان غزا الروم، وخرب وسبا، وكان سبب الفتنة بين العرب والروم وهو اضطهاد جستيان الآباء القائلين بالطبيعة الواحدة، لأن النصارى العرب يومئذ، إنما كانوا يعتقدون اعتقاد اليعقوبية لا غير[3] ".

وقد قبلت بيزنطة وضع مسيحية الغساسنة على مضض، تمشياً مع سياسة قبول الأمر الواقع طالما ظل انتفاعهم مستمراً، بولاء الغساسنة في مجال التصدي لأي تحرشات من جانب الإمبراطورية الساسانية، أو من جانب أمراء الحيرة الداخلة في نفوذها.

ولكن حين بدأ حماس الغساسنة لتدعيم مذهبهم الديني المسيحي يظهر بشكل

---

(١) الدبس (الياس) تاريخ سورية - بيروت ١٨٩٩ ج٢ ص٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ يختصر إلى الدبس: تاريخ سورية.

(٢) شيخو: النصرانية وآدابها ١/٣٥-٣٨.

وينظر نولدكة: امراء غسان ص٢١.

BURY:HISTORY OF THE later roman vi١،٢.p.٢٩١.

ساكا: السريان إيمان وحضارة ١/١٨٩

المشرق: السنة الرابعة والثلاثون لك - آذار ١٩٣٦ ص٦١ وما بعد

جواد: المفصل ٦/١٣١ -٥٩٢.

علي حسن: التاريخ الإسلامي العام ص٩١

(٣) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص١٤٨

متواتر وملحوظ بدأت الشكوك تساور البيزنطيين، فنجدهم يأمرون بالقبض على المنذر بن الحارث في أثناء افتتاحه لكنيسة حوارين[1]، وذلك رغم ما قام به هذا الأمير الغساني من تصد للأمراء اللخميين، وصل إلى حد إحراقه للحيرة عاصمتهم قبل ذلك بقليل، في السنة ذاتها، وقد اقتيد المنذر إلى القسطنطينية، ثم سجن في صقلية[2].

ج- النصرانية في العراق

انتشرت النصرانية في العراق، بالرغم من أن ديانة الحاكمين، كانت ديانة أخرى، إذ أن النصرانية لم تكن في مصلحة الفرس، ولم يكن الفرس يبشرون بها، فالفرس يدينون بديانة أخرى هي المجوسية[3].

ولم يكن يهمهم دخول الناس فيها، وهذا مما صرف الحكومة عن الاهتمام بأمر أديان الخاضعين لها من غير أبناء جنسها، إلا إذا وجدتها تتعارض مع سياستها، وتدعو إلى الابتعاد عنها، ثم إن النصرانية التي انتشرت فيها لم تكن من النصرانية المتشيعة للروم، ولهذا لم تجد الدولة الساسانية من هذه الناحية وما يهدد سياستها بالأخطار، فغضت النظر عنها بعد أن قاومتها مراراً، واضطهدتها، وفتك ملوكها بعدد من الداخلين فيها، أشير إليهم في كتب مؤرخي الكنيسة في تواريخهم عن الشهداء القديسين[4].

والملاحظ أن نصرانية بلاد الشام انتشرت بين الملوك لأنها كانت ديانة الحكومة الرسمية، أما في العراق فانتشرت النصرانية بين سواد الشعب لأنه لم يكن يهم ملوك

---

(١) حوارين: بلدة هي من تدمر على مرحلتين
ياقوت: معجم البلدان:مادة حوارين.

(٢) نولدكة: امراء غسان ص٣٠-٣١.
جواد: المفصل ٤١٦/٣.
برو: تاريخ العرب القديم ص٤٥
سعد: تاريخ العرب قبل الإسلام ٢١٠- ٢١١.
سرور: قيام الدولة العربية ٣٥،
علي حسن: التاريخ الإسلامي العام ٩٢

(٣) ينظر في فقرة أخرى من هذا الفصل.

(٤) الشهداء الحميريون ٨٦.
ساكا: السريان إيمان وحضارة ٣٥/١
جواد: المفصل ٥٩٥/٦

الحيرة موضوع انتشارها أو عدم انتشارها[1].

ولعل عدم اعتناق ملوك الحيرة للمسيحية كان خشية من الإمبراطورية الفارسية وإثارتها ضدهم، حيث أن المسيحية هي العقيدة الرسمية للإمبراطورية البيزنطية، وهي العدو اللدود للفرس، والاستثناء الوحيد، هو اعتناق النعمان الثالث أبو قابوس للمسيحية، ولكنه حين اعتنقها كان مخالفاً لمذهب البيزنطيين، فقد كانت ديانته نصرانية نسطورية، لتصبح أقرب المذاهب إلى القبول لدى حكام الإمبراطورية الفارسية.

د- النصرانية في جزيرة العرب

دخلت النصرانية إلى جزيرة العرب، كالعربية الغربية والجنوبية، والشرقية وذلك بسبب اتصالها بطرق القوافل البرية والبحرية في البلاد التي انتشرت فيها النصرانية ومجيء التجار النصارى، والمبشرين مع القوافل إليها، فتجار النصارى لم يكونوا على شاكلة تجار اليهود فقد رأوا أن التجارة هي كسب مادي، ولكن التبشير مع التجارة ربح مضاعف، هو ربح في الدارين الدنيا والآخرة، فكانوا يغتنمون فرصة وجودهم في البلاد التي ينزلونها لنشر دينهم فيها. فكانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة[2]. فأما من تنصر من أحياء العرب " فقوم من قريش من بني أسد بن عبد العزى، منهم عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى، وورقة بن نوفل بن أسد، وبنو امرئ القيس بن زيد مناة، ومن ربيعة بنو تغلب، ومن اليمن طئ، ومذ حج، وبهراء، وسليح، وتنوخ وغسان ولخم[3] ".

---

(١) الأعظمي: الدول الفارسية في العراق ص٤٦

علي حسن: التاريخ الإسلامي ص٨

(٢) ابن قتيبة: المعارف ٢٦٦.

ابن رستة: الأعلاق النفيسة ٢١٧

ابن حزم: الجمهرة ٢/٤٩١

شيخو: النصرانية وآدابها ١/٢٧ وما بعد

جواد: المفصل ٦/٥٩٠

الجارم: أديان العرب ص٢٠٤

ساكا: السريان إيمان وحضارة ١/١٧٥ وما بعد

(٣) تاريخ اليعقوبي ١/٢٥٧.

وينظر ابن حزم: الجمهرة ٢/٤٩١

شيخو: النصرانية وآدابها ١/٨١١ وما بعد

جواد: المفصل ٦/٥٩٠-٦٠٦-٦٠٧

فطيء من القبائل التي وجدت النصرانية سبيلاً إليها فقد كان عدي بن حاتم الطائي في جملة الداخلين في النصرانية من طيء[1] ".

والجدير بالذكر أن النصرانية لم تكن قوية في المدينة بدليل أن أهل الأخبار، لم يذكروا شيئاً يستحق الذكر عن النصرانية في يثرب، غير أن هذا لا يعني عدم وجود النصارى في هذا الموضع الزراعي المهم، ففي قصيدة لحسان بن ثابت رثى بها النبي، دليل على وجود نفرمن النصارى يقول[2]:

فرحت نصارى يثرب ويهودها   لما توارى في الضريح المجلد

وكان بين سكان مكة، جماعة من النصارى، هم من الغرباء النازحين إليها لأسباب منها الرق، والاتجار، والتبشير، والحرفة، فقد أشير إلى عامل رومي استخدم في بناء الكعبة عندما أرادت قريش تجديدها[3] وكان في مكة أيضاً عند ظهور الإسلام جالية كبيرة كثيرة العدد من الأحابيش، وبين هؤلاء عدد كبير من النصارى، استوردوا للخدمة وللقيام بالأعمال اللازمة لسراة مكة.

أضف إلى ذلك أن الدليل على أثر وجود النصرانية في مكة صورة المسيح ومريم التي كانت مرسومة على جدران الكعبة و" مقبرة النصارى دبر المقلع على طريق بئر عنبسة بذي طوى[4] دليل آخر على أثر وجود النصرانية في مكة.

ساكا: السريان إيمان وحضارة ١٧٥/١ وما بعد

(١) البلاذري: أسد الغابة ٣٩٢/٣.

شيخو: النصرانية وآدابها ١٠٩/١

دلو: جزيرة العرب ٢٢٤/٢

(٢) ديوان حسان ص٥٨، ابن رستة: الأعلاق النفيسة ٦٣، جرجس: أديان ص٨٠

جواد: المفصل ٦٠٢/٦.

عوض الله مكة ٩٢.

سعد: تاريخ العرب قبل الإسلام ص٢٦٩

ضيف: العصر الجاهلي ص١٠٠.

(٣) الأزرقي: اخبار مكة ١٥٧/١

(٤) الأزرقي: أخبار مكة ٢٩٨/٢

شيخو: النصرانية وآدابها ١١٨/١

وكان في الطائف نفر من الموالي على دين النصرانية، من هؤلاء عداس[1].

ولعل أهل دومة الجندل، كانوا خليطا فيهم نصارى لعباد الكوفة[2]، " أما آيلة فكان صاحبها نصرانياً، كما يدل اسمه عليه يحنة بن رؤية، صالحه النبي (ص) على الجزية، وبقي في محله[3].

هـ- النصرانية في اليمن والعربية الشرقية

أما الحديث عن النصرانية في اليمن فهو حديث مبهم أوله، فليس لدينا دليل واضح يشير إلى مبدأ دخول النصرانية إلى العربية الجنوبية، غير أن الذي نشرها في اليمن بزعم الموارد الإسلامية، رجل صالح من بقايا أهل دين عيسى اسمه فيمون.

وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا، مجاب الدعوة، وكان سائحاً ينزل بين القرى في بلاد الشام، إلى أن حط به التجوال في اليمن، وقد جعلته الأسطورة صالحاً ورعاً يقوم بالمعجزات ولأجل ذلك آمن بدينه أهل نجران، فمن هنالك كانت النصرانية بنجران[4]، حيث عين فيمون أحد النجرانيين واسمه عبد الله بن الثامر رئيساً عليهم[5].

---

(١) ابن هشام: السيرة ٦٢/٢

البلاذري: أسد الغابة ٣٨/٣

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ٧٤ ، ياقوت معجم البلدان مادة دومة

جواد: المفصل ٦٠٠/٦، دلو: جزيرة العرب ٢٢٤/٢

(٣) ابن هشام: السيرة ١٦٩/٤، البلاذري: فتوح البلدان ٧١

المسعودي: التنبيه والأشراف ص٢٧٢، جواد: المفصل ٦ /٦٠١

دلو: جزيرة العرب ٢٢٤/٢

(٤) وهب بن منبه: التيجان ص٣٠١. ابن هشام السيرة ٣٢/١ وما بعد

الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١١٩/٢ وما بعد

السهيلي: الروض الأنف ٤٥/١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٢٦/١ وما بعد.

المقدسي: البدء والتاريخ ١٨٢/٣ وما بعد.

ابن كثير: البداية والنهاية ٢٠٦/٢ ـ٢٠٧.

ابن خلدون: العبر ٥٩/٢.

جواد: المفصل ٦٠٨/٦، حتي:تاريخ العرب المطول ٨١/١

عابدين: بين الحبشة والعرب ص٤٨

(٥) الإكليل ١٣٤/٨ ـ١٣٥. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٢٦/١

جواد: المفصل ٦٠٩/٦

تدل هذه الرواية على قدوم المسيحية من الشمال من بلاد الشام التابعة للبيزنطيين، وتنقل فيمون من مكان إلى مكان دليل على التبشير بالمسيحية وانتقالها إلى اليمن بواسطة المبشرين، وفي ذلك دليل على رغبة البيزنطيين بوضع يدهم على الجزء الغربي من الجزيرة، والتحكم في طرق التجارة العالمية، وأن المسيحية كانت إذ ذاك على درجة من القوة، وفي أخبار مكة أن أهل نجران كانوا أشلاء سبأ و" كانوا على دين النصرانية على أصل حكم الإنجيل، وبقايا من دين الحواريين، ولهم رأس يقال له: عبد الله بن ثامر[١]" حيث أخذ يبشر بالنصرانية، ويأتي بالمعجزات إذ يشفي المرضى.

وزعم بعض الإخباريين أن الذي أدخل النصرانية ونشرها في الحميريين، هو التبع عبد كلال بن مثوب، أخذ التبع نصرانيته بزعم من رجل من غسان ذكروا أنه كان قد قدم عليه من الشام، فلما علمت حمير بتنصر التبع، وبتغيير دينه، وإعراضه عن عبادتها، وثبت بالغساني فقتلته[٢]. وقد أشير إلى تنصره في القصيدة الحميرية[٣].

فناقل النصرانية إلى نجران إذاً رجل غريب جاء إلى البلد من ديار الشام، ويرجع أوليري هذه الرواية إلى أصل يرى جذوره في السريانية، واسم هذا الرجل الصالح غير عربي بالطبع فلعله كما سلف القول من المبشرين الذين كانوا يطوفون بين الديار للتبشير[٤].

ولقد جعل كتاب استشهاد الحارث اسم هذا الشخص سمعان الرسول[٥].

ولا يستبعد أن يكون المبشرون قد أدخلوا النصرانية إلى اليمن عن طريق الحجاز، فقد كانوا يطوفون بين العرب لنشر هذا الدين. وليس بمستبعد أيضاً أن يكون قد دخل عن طريق الساح أيضاً مع السفن فقد كان المبشرون ينتقلون مع البحارة والتجار لنشر النصرانية وقد تمكنوا بمعونة الحكومة البيزنطية من تأسيس جملة كنائس على

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة ١٣٤/١

وينظر السهيلي: الروض الأنف ٤٧/١

جواد: المفصل ٦٠٩/٦

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٨٩/٢. شيخو:النصرانية وآدابها ٥٥/١ وما بعد

جواد: المفصل ٦١٠/٦ بيوتروفسكي: اليمن قبل الإسلام ٢٤٣

(٣) شيخو: النصرانية وآدابها ٥٥/١

جواد: المفصل ٦١٠/٦

(٤) o ieary,p.١٤٣

(٥) استشهاد الحارث ص٣٤٢ ملحق بكتاب كوبيشانوف الشمال الشرق الأفريقي.

سواحل جزيرة العرب وفي سقطرى والهند[1].

تحدث بعض كتبة التواريخ الكنسية من اليونان أن القيصر قسطنطين الثاني أرسل في عام ٣٥٤- ٣٥٦ م ثيوفيلوس أندس من جزيرة سرنديب أي سيلان إلى العربية الجنوبية للتبشير بالنصرانية بين الناس، وفي ذلك دليل على وصول نفوذ البيزنطيين إلى أقصى المشرق، ومن هناك بدؤوا ببث النصرانية، ليظلوا على سيطرة على التجارة العالمية، على كل حال تمكن ثيوفيلوس من إنشاء كنيسة في عدن، وأخرى في ظفار، وثالثة في هرمز، وعين للمتنصرين رئيساً ثم رحل[2]. وصارت ظفار في سنة ٣٥٦ مقراً لرئيس أساقفة يشرف على شؤون نصارى نجران، وهرمز، وسقطرى[3].

إذاً تمكن المبشرون بمساعدة الأباطرة من إنشاء ثلاث كنائس، كما كان قادة الكنيسة يهتمون بنشر المسيحية في أقطار المشرق العربي وخارجه لزيادة نفوذ الكنيسة وتنمية مواردها مما يتدفق على خزائنها من هبات المؤمنين الجدد وتبرعاتهم.

وجاء في رواية أخرى أن القيصر قسطنطين الثاني أرسل ثيوفيلوس إلى ملك حمير، ونجاشي الحبشة ، وذلك في ٣٥٦ م برسائل كتبها القيصر إلى الملكين، فلما أنهى مهمته لدى ملك حمير، انتهز هذه الفرصة، فزار وطنه الهند، ثم عاد فذهب إلى الحبشة، وعاد منها فذهب إلى إنطاكية، ومنها إلى القسطنطينية[4] ويظهر من هذه الرواية أن مهمته هذه لم تكن مهمة دينية، إنما كانت ذات طابع سياسي، الغاية منها ضم حمير، والأحباش

---

(١) جواد: المفصل ٦١٢/٦

جواد: تاريخ ١٧٦/٣

يحيى: العرب في العصور القديمة ص٣٩١

جميلي: محاضرات ص٢٣٦

(٢) شيخو: النصرانية وآدابها ٦٥/١

مقالات افرام الأول برصوم ص٤٤

كوبيشانوف: الشمال الشرقي ص٢٨

دلو: جزيرة العرب ٢٢٢/٢

(٣) جواد: المفصل ٦١٢/٦

سالم: تاريخ العرب ص٤٨

(٤) bury ; history of the iater roman empire,vo١.٢.p.٣٢٢.

وينظر: جواد: المفصل ٦١٣/٦.

حوفي: الحياة العربية ص١٤٥

إلى معسكر البيزنطيين، خاصة، وأنه في تلك الفترة اشتد الصراع البيزنطي الفارسي للسيطرة على منطقة الشرق الأوسط وتخومه، لما في ذلك من فوائد سياسية ومصالح اقتصادية، فمن جهة يعقد معاهدة تجارية مع الحميريين يحقق بها التجارة البحرية، ومن جهة أخرى يحرض اليمانيين على الفرس ويدخلهم في معسكره حيث الدين يجمع عندئذ بينهم وبين الروم[1].

هذه رواية من روايات أخرى نشرها شيخو في كتابة النصرانية، تحكي قصة انتشار المسيحية في نجران، ومن نشرها[2]. وتجمع غالبية الروايات على أن النصرانية كانت قد وجدت لها سبيلاً إلى اليمن في القرن الرابع للميلاد، وأنها لم تدخل العربية الجنوبية من طريق واحد، إنما دخلتها من البر، ومن البحر، دخلتها من البر من ديار الشام إلى الحجاز، فاليمن، ومن العراق أيضاً مع القوافل التجارية المستمرة التي كانت بين اليمن والعراق[3].

ودخلتها من البحر بواسطة السفن اليونانية، ودخلتها من الحبشة كذلك، فقد كانت على اتصال دائم باليمن وبقية العربية الجنوبية منذ ما قبل الميلاد، وأن نجران كانت أهم موطن للنصرانية في اليمن، ولعلها الموطن الوحيد الذي رسخت هذه الديانة فيه في هذه البلاد، والمركز الرئيس للنصرانية في اليمن منذ ظهور الإسلام، لها نظام سياسي، أداري خاص تخضع له، وعليها العاقب والسيد[4] والأسقف[5].

وقد كان عبد المسيح رجلاً من كنده عاقبُ نجران في أيام النبي (ص)، وكان معه الأيهم، وهو سيد نجران يومئذ، وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل، وكان أسقفهم وحبرهم، وإمامهم يومئذ، وله مقام عظيم عندهم، وقد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن

---

(١) شيخو: النصرانية وآدابها ٥٩/١

مقالات افرام الأول برصوم ص٤٤

جواد: تاريخ العرب ١٧٦/٣

(٢) شيخو: النصرانية وآدابها ٥٧/١ وما بعد

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٢٠٩/٢

شيخو: النصرانية وآدابها ٦٧٨/١ وما بعد

جواد: المفصل ٦٢١/٦

جواد: تاريخ العرب ١٧/٣

(٤) العاقب والسيد من رؤساء وأصحاب مراتب نصارى نجران، لسان العرب مادة عقب.

(٥) الأسقف: رئيس النصارى في الدين، لسان العرب مادة سقف

علمه بدينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه وملوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينه[1].

فإن دل هذا على شيء، فإنه يدل على أن الرئاسة عند النصارى العرب لم تكن تتبع العرف القبلي في الزعامة، وإنما كانت عن تنسيب واختيار، وأنه لا يستبعد وجود مجامع كنسية تنظر في المسائل العامة للطوائف.

وقد ارتبط نشر المسيحية في العربية الجنوبية بالأهداف السياسية والاقتصادية لأباطرة بيزنطة، وملوك أكسوم الرامية إلى السيطرة على هذه المنطقة الاستراتيجية، والطرق البحرية الموصلة إلى الهند، وقد اتبعوا وسائل مختلفة لتحقيق أطماعهم في الجزيرة العربية.

كان من جملتها التقرب من ملوك أكسوم، لضمان مصالحهم وللضغط على حكام السواحل العربية المقابلة لسواحل لبلادهم لجلبهم إلى جانبهم ولمنعهم من التحرش بسفنهم وبتجارهم الذين كانوا يرتادون البحار إلى الهند، والسواحل الأفريقية ويقيمون في مواضع من السواحل والجزر على شكل جاليات كما هي الحال في سقطرى[2].

وأما اليمامة فكانت النصرانية قد وجدت لها سبيلاً بين قراها وقبائلها فقد كان هوذة بن علي نصرانياً على قوم من تميم[3].

فالنصرانية التي انتشرت في جزيرة العرب، كانت نصرانية نسطورية[4] ونصرانية

---

(١) ابن هشام: السيرة ٢٢٤/٣ وما بعد

لسان العرب مادة عقب.

تاج العروس مادة عقب، جواد: المفصل ٦١٧/٦.

ضيف: العصر الجاهلي ٩٩

(٢) جواد: المفصل ٦٢٧/٦.

دلو: جزيرة العرب ٢٢٧/٢.

(٣) ابن خلدون: العبر ١٧٧/٢.

ديوان الأعشى ص٥.

شيخو: النصرانية، وآدابها ٧٢/١.

جواد: المفصل ٦٢١/٦.

دلو: جزيرة العرب ٢٢٥/٢.

(٤) نسبة إلى نسطور الذي جعل للمسيح طبيعتين طبيعة الإنسان يسوع وطبيعة الله الكلمة وذكر ان مريم هي بشر ولدت بشراً وهو المسيح الذي هو إله من ناحية الأب الإله فقط.

مونوفيزية[1].

تسربت النسطورية إلى العربية الشرقية من العراق وإيران، فقد ذكر أن الجارود بن عمرو بن حنش المعلى كان نصرانياً[2].

وقد سعى الفرس لنشر مذهب النساطرة بين أهل نجران كما سعوا إلى تقوية الصلات بين الحيرة ونجران، على الرغم من أنهم أنفسهم لم يكونوا على دين المسيح، ولعل مرد ذلك إلى الأهداف السياسية البعيدة التي كانوا يبتغونها من هذا التقارب، ومن نشر المذهب النسطوري في اليمن.

ومن الطبيعي أن يقع اختلاف بين المذهب النسطوري والمذهب اليعقوبي، مع العلم أن كلا المذهبين لم يكن مذهب أحد الإمبراطوريتين، حيث إن القسطنطينية حاربت هذا المذهب، واعتبرته من المذاهب المنشقة الباطلة[3].

إن القسطنطينية حاولت نشر المسيحية بين العرب، لغايات سياسية اقتصادية، ولكن المذهب الذي انتشر مخالف لعقيدتها فهل كان ذلك ليتناسب مع اتجاهات المنطقة، وليتناسب مع المعتقدات الشرقية كما سبق ذكره قبل صفحات.

والجدير بالذكر أن الكنائس كانت بيوت تقوى وعبادة، وهي أيضاً بيوت سياسية، ودعوة وتوجيه، لذا اهتم الروم في الإكثار من المساعدات لبنائها، ونشر النصرانية، ومهما

---

(١) ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر ٩٠/١

كريستينسن: إيران في عهد الساسانيين ت٢٧٧

ساكا: السريان إيمان وحضارة ٥١/١

جواد: المفصل ٦٢٧/٦

فروخ: العرب والإسلام ٢٦-٢٧

دلو: جزيرة العرب ٢٢٣/٢

(٢) تاج العروس مادة جرد، جواد:المفصل ٦٢٢/٦

(٣) ينظر قبل صفحات من هذا الفصل.

ويجدر الملاحظة انه كان للأباطرة الروم، ومن ثم للأباطرة البيزنطيين اطماع هيمنة، وتوسعية في اقطار المشرق العربي، وخارجه باتجاه إيران، وجنوب شرقي آسية لاحتكار تجارة التوابل والحرير والذهب، والسيطرة على مسالكها، وطرقها البرية، والبحرية، والتحكم بتوزيعها على الأسواق العالمية، ولهذا وجدوا في نشر النصرانية وإرسال المبشرين، ومدهم بالمساعدة في إنشاء الأديرة، وتشييد الكنائس الفخمة، وسيلة لتحقيق اهدافهم الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.

كان المذهب المسيحي فهو يفيد الروم، لأن النصراني، سيميل إلى إخوانه في العقيدة والدين، ففي انتشار النصرانية فائدة من هذه الناحية كبيرة للبيزنطيين.

٤) ديانات أخرى

وجدت في جزيرة العرب، ديانات متعددة إلى جانب اليهودية والنصرانية، ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ((إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى، والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة، إن الله على كل شيء شهيد))[١].

فالمجوس[٢]، والصابئة[٣]، ديانات وجدت في الجزيرة العربية، كيف لا وأهل مكة على اتصال وثيق بالحيرة وباليمن حيث يوجد الفرس الذي يدينون بالمجوسية، ثم إنه كان في حضرموت، وفي العربية الشرقية أناس منهم، أقاموا هناك، وقد كان وكلاء الأكاسرة على هذه الأماكن منهم، وهم على دين المجوسية. أشار الإخباريون إلى وجودهم في أخبار الفتوح وأسلم معهما جميع العرب، وبعض العجم، فأما أهل الأرض من المجوس واليهود، والنصارى، فإنهم صالحوا العلاء[٤] ".

والظاهر أن هؤلاء كانوا مقيمين فيها من أمد طويل، بدليل ورود عبارة، فأما أهل الأرض من كذا.

---

(١) سورة الحج: الآية ١٧.

(٢) القائلين بالأصلين النور والظلمة. الخير والشر، فيزعمون أن الخير من فعل النور وان الشر من فعل الظلمة، لسان العرب مادة مجس،
تاج العروس مادة مجس.
علي حسن: التاريخ الإسلامي ص١٦٧.
جواد: المفصل ٦٩١/٦

(٣) هو من خرج من دين لدين. لسان العرب مادة صبأ، تاج العروس مادة صبأ
جواد: المفصل ٧٠٢/٦، والصابئون قوم يشبه دينهم دين النصارى، إلا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب، يزعمون أنهم على دين نوح، لسان العرب مادة صبأ، علي حسن: التاريخ الإسلامي ١٦٦

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ص٨٩-٩١ وينظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢٩/٣
السالمي: تحفة الأعيان ٤٥.
جواد: المفصل ٢٩٢/٦.
شكري: الأوضاع القبلية ص٥

وفي الأخبار ما يفيد بتمجس بعض العرب، فورد أن "المزدكية والمجوسية في تميم"[1]

" وورد أن زرارة بن عدس، وابنه حاجب بن زرارة، وهما من سادات تميم، كانا قد اعتنقا المجوسية، واعتنقها أيضاً الأقرع بن حابس، وأبو الأسود جد وكيع بن حسان[2].

وقيل أن أشتاتا من العرب عبدت النار، سرى إليها ذلك من الفرس والمجوس[3]، وهناك ما يشير إلى الزندقة في قريش أخذوها من الحيرة[4].

والجدير بالذكر أن مجوس اليمن كانوا من الفرس الذين أرسلهم كسرى لطرد الحبش من اليمن، فهم وأبناؤهم كانوا على هذا الدين دين الإمبراطورية الفارسية، وكان مجوس عمان[5] وبقية أنحاء العربية الجنوبية من الفرس أيضاً، ومن تجار مقيمين من بقية الفرس الذين كانوا قد استولوا على هذه الأرضين، ولعل مجوس البحرين[6]، كانوا أكثر

---

(١) ابن رسته: الأعلاق النفيسة ٢١٧.

الجارم: أديان العرب ص١٩

(٢) ابن قتيبة: المعارف ٢٦٦.

ابن رستة: الأعلاق النفيسة ٢١٧

الجارم: أديان العرب ١٩١.

عوض الله: مكة ص٨

(٣) الألوسي: بلوغ الأرب ٢/٢٣٣

(٤) ابن حبيب: المحبر ١٦١.

ابن قتيبة: المعارف ٢٦٦

ابن رستة: الأعلاق النفيسة ٢٠٧.

كستر: الحيرة ومكة ١٠-١١

الأفغاني: أسواق ١١٥

جواد: تاريخ العرب ٥/٢٥٠ ـ ٣٦٣.

سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ٤٨٠

علي حسن: التاريخ الإسلامي ١٦٨

كحالة: العالم الإسلامي ١/٨٣

طلس: تاريخ العرب ١/٧٧ عوض الله: مكة ٨٨

خشاب: التقاء الحضارتين ص٩٦

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ص٨٨

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ص٨٩- ٩١

ياقوت: معجم البلدان مادة بحرين.

عدداً، وأكبر نفوذاً من إخوانهم في عمان، لقرب هذه الأرضين من إمبراطورية الساسانيين.

ذكر أن الرسول (ص) كتب إلى مجوس هجر يعرض عليهم الإسلام، فإن أبَوا، أخذت منهم الجزية، وبأن لا تنكح نساءهم، ولا تؤكل ذبائحهم[1].

وكان باليمامة، قوم من المجوس، عاشوا في قراها ومواضعها، اشتغلوا بالزراعة والتعدين.

هذا ولم يسمع بدخول أحد من ملوك الحيرة، أو الأمراء الذين عينتهم الفرس على العرب في المجوسية مع علاقتهم بالفرس واتصالهم الوثيق بهم، ووجود الفرس في أرضهم، وفي عاصمتهم، بينما نجد بعضاً منهم وقد دخل في النصرانية، ولعل ذلك بسبب ميل الفرس إلى عدم إدخال أحد من الغرباء عنهم في دينهم، وإلى عدهم المجوسية ديانة قومية خاصة بهم فلا يهمهم دخول أحد من غيرهم فيها.

إذاً إن صنفاً من العرب عبد النار" وهم أشتات من العرب، وكأن ذلك سرى إليهم من الفرس، المجوس[2] ".

أما الصابئة، فيفهم من القرآن الكريم أنهم جماعة كانت على دين خاص، وأنهم طائفة مثل اليهود والنصارى، فلا يستبعد أن يكون من بين سكان مكة أناس كانوا من الصابئة، جاؤوا إليها تجاراً من العراق أو جاء بهم الحظ إليها، حيث أوقعم في سوق النخاسة، فاشتراهم تجار مكة، وجاؤوا بهم إلى مدينتهم، وعرفوا منهم أنهم صابئة.

وقد دعت قريش النبي (ص) صابئا لأنه خرج من دينها إلى دين آخر. كما تصبأ النجوم أي تخرج من مطالعها[3].

ولعل كلمة صابئ مأخوذة من الفعل (صبا) الآرامي ومعناه ير تمس، يغتسل، يتعمد[4] وهذا يأخذ معنى التطهر في الإسلام.

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ص٩١

(٢) الألوسي: بلوغ الأرب ٢٣٣/٢

(٣) لسان العرب مادة صبأ

(٤) الحسين (عبد الرزاق) الصابئون ـ مطبعة العرفان ـ صيدا بيروت ١٩٧٠ م ج٤ ص٢١ يختصر إلى حسني: الصابئون.

وينظر أيضاً درا ود (الليدي) الصابئة المندائيون، ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي، مكتبة خياط، بيروت ١٩٦٤، ج١ ص٩٨، يختصر إلى درا ود، الصابئة المندائيون

وهو مطابق لعقيدة الصابئة، المتبعة حتى اليوم في الاغتسال بالماء الجاري، وقد سموا بالصابئة لكثرة الاغتسال في شعائرهم، وملازمتهم شواطئ الأنهار من أجل ذلك[1].

فهل دعي الرسول (ص) صابئاً لأجل التطهر قبل العبادة، والوضوء قبل الصلاة، وقبل الذهاب إلى المسجد ؟.

٥) اليهودية والمسيحية والصراع الدولي

أ- أسباب الصراع

سارت العلاقات الخارجية العربية في الفترة المدروسة هذه، بتداخل العامل الديني في نسيج العلاقات الخارجية، وهو أمر بدأ يظهر بوضوح خاص في القرن السادس الميلادي، في الصراع الثنائي بين الفرس، والبيزنطيين على السيطرة على القسم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية وفي هذا الصراع تدخل الحبشة كقوة من الدرجة الثانية تساند سياسة الحكومة البيزنطية وتنفذها، وإن كانت الأمور لا تثبت دائماً على هذا الوضع، فتتخذ هذه الدولة مواقف تبدو فيها، وكأنها تعمل لحسابها.

كان لبيزنطة والحبشة أطماع في اليمن، فكيف يعملان على تحقيق ذلك؟

لا بد من وسيلة، فاتخذ كلاهما الدين وسيلة لكسب نصارى اليمن كحلفاء لها، فرد الحميريون على ذلك بأن أخذوا يعملون على نشر اليهودية في بلادهم[2].

ويبدو أن أعلان اليهودية ديانة رسمية للبلاد، كان معارضة للبيزنطيين أعداء اليهود الذين كانوا يدعمون سياسة الأحباش التوسعية تجاه اليمن، فلماذا أصبحت اليهودية، وليس النصرانية عقيدة شطر معين من أعيان حمير ؟ أتخذ موقف العداء من بيزنطة وأكسوم،

---

(١) عليان (رشدي) وغيره - الأديان دراسة تاريخية مقارنة - وزارة التعليم العالي - جامعة بغداد - ط ١ ١٩٧٦. ص١٤٣، يختصر إلى عليان: الأديان دراسة تاريخية مقارنة.

(٢) حميري: ملوك حمير ٤٧-٨٤

بليابيف: العرب والخلافة ٢٣، لاندو: الإسلام العرب ٢٢

سيديو: تاريخ العرب ٤٨، فخري: اليمن ماضيها وحاضرها ص٧١

كحالة: العالم الإسلامي ٧٣/١

مروة النزعات المادية ٣٠٧/١

عوض الله: مكة ص٨٩

بمعنى أن الكثير من الحميريين اعتنقوا اليهودية، ولم يعتنقوا المسيحية فما هو السبب؟.

إن المنافسة الحادة التي كانت بين الطوائف النصرانية أضعفها وحط من قدرها في أعين الصفوة المحلية، فأصبحت اليهودية في أعينهم، أكثر أصالة، هذا إلى جانب قربها من عدد كبير من العبادات التقليدية لقبائل العرب الجنوبية.

لكن في القرن السادس نجد النصارى بالجنوب العربي أكثر عدداً من اليهود، لعل مرد ذلك التزايد نتيجة لتدفق اللاجئين من إيران بعد الاضطهادات الكبرى لأتباع النصرانية بعد عام ٥٠٢ [١]. وفيما بعد تمكن النصارى بحمير من وضع يدهم على السلطة العليا " ساعدت على هذا ظروف الأحوال السياسية بين الدولتين الكبريين، فقد قيد من يد إيران المشاكل الداخلية مثل ارتفاع شأن المزدكية[٢] من جديد. وأما في الجزيرة العربية، فقد تجدد النزاع بين دولتي كندة واللخميين، و في حمير حدث أن تغيرت الأسرة الحاكمة، والاتجاه السياسي في وقت واحد، إذ رفع الأكسوميون بمساندة النصارى المحليين، والقبائل النصرانية النازلة حول حمير إلى العرش معد يكرب يعفر الذي لم يكن أبوه ملكاً[٣] "، لذا فقد عد مغتصباً وفقاً للتقاليد المتبعة في وراثة العرش.

وتؤكد المصادر السريانية علاقة هذا الملك بالعرب النصارى من أهل نجران وأنهم عاونوه مالياً، فقد أقرضته سيدة نصرانية من أعيان نجران تدعى رحيم (رومي) اثني عشر ألف دينار، ومن المرجح أنه على عهد حكم معد يكرب بالذات أرسل انسطاس إمبراطور بيزنطة ٤٩١ ـ ٥١٩ م أسقفاً إلى الحميريين، كما وجد منذئذ بنجران أسقف مونوفيزي من أهل البلاد ويدعى بولس الأول[٤].

إذاً تنصر الحميريون على المذهب المونوفيزي المناسب لمذهب الأحباش، فاليمن كانت يومذاك تحت حماية الأحباش، ظهر ذلك واضحاً من رسالة أرسل بها ملك حمير اليهودي

---

(١) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الأفريقي ص٣٠

(٢) نسبة إلى مزدك الفيلسوف الفارسي النيسابوري الذي ظهر في أيام حكم قباذ والد انوشروان حوالي ٤٨٧م جاء مزدك بمذهب جديد غايته إصلاح التنظيمات السياسية والاجتماعية للفرس في زمانه فكان ينهى عن البغض والحسد والقتال، ولكنه تطرف في الإباحية في النساء والأموال. عليان وغيره: الأديان دراسة تاريخية مقارنة ٣٨-٣٩.

(٣) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الأفريقي ص٣٠

(٤) الشهداء الحميريون ص٩٩، بيغوليفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران ص٩٨.

كوبيشانوف: الشمال الشرقي الأفريقي ص٣

ذو نواس إلى المنذر الثالث ملك الحيرة ، والذي يقول فيه " ولتعلم أن الملك الذي نصبه الكوشيون (الأكسوميون) ببلادنا قد مات، وجاء في وقت الشتاء فلم يعدم بمقدور الكوشيين العبور إلى بلادنا لتصيب ملك نصراني، كما جرت العادة[1] ".

فمعد يكرب بوصفه نصرانياً، اضطر إلى التحالف مع بيزنطة وأكسوم، قابلاً دور الشريك الأصغر، وهذا الوضع دعم ارتباط هذه البلاد بكل من أكسوم، وبيزنطة، مما أثار ثائرة ملك اللخميين فاتخذ موقفاً معادياً منه بوصفه مغتصباً للعرش وعدواً لحلفائه من الفرس، واليهود. " وحملة اللخميين بالجنوب جاءت بطبيعة الحال في مصلحة المجموعة المناصرة لليهودية بحمير، غير أن نجاح جند معد يكرب واتفاقية الصلح التي عقدها مع المنذر، أعادت الحال إلى ما كانت عليه، وحرمت أكسوم من ذريعة التدخل في بلاد العرب[2]".

ولكن عندما انتزع العرش يوسف بن ذي يزن من معد يكرب، جعل من اليهودية الديانة الرسمية لحمير، ووفقاً لأسس العقيدة اليهودية، فقد عد نفسه يهودياً، مما يعني قطع العلاقات السياسية مع الحبشة.

فهل حادث انتزاع العرش، والدعوة إلى اليهودية كانا السبب الجوهري في توتر العلاقات بين يوسف ذي نواس والنصارى؟ أم ميل يوسف للساسانيين جعله يفعل ذلك؟ ولماذا كان الاضطهاد في نجران أشد من غيرها؟

"إنه لا حادث انتزاع العرش، ولا حادث الدعوة إلى اليهودية كانا بأي حال من الأحوال هما السبب الجوهري في توتر العلاقات بين يوسف والنصارى، سواء من رعاياه أو من الأجانب، غير أن العملية في حد ذاتها ساقت إلى تغيير حاد في الاتجاه السياسي لملكة حمير.

حقاً إن اليهودية المضطهدة في بيزنطة والتي تمتعت بالتسامح في إيران ربطت الملك الجديد بالاتجاه الساساني، كضرب لاحلال التوازن مع النفوذ البيزنطي، أما داخل بلاده فقد كانت سياسة يوسف موجهة ضد فئة من أعيان الجنوب العربي جمعت ثروة لا يستهان بها من المتاجرة مع أثيوبيا وبيزنطة، واعتنقت النصرانية[3].

"ونظراً لأن قاعدة هذه الفئة من الأعيان، كانت مناطق الأطراف التي تقطنها

---

(١) الشهداء الحميريون ص٤٣-١١٣

(٢) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الأفريقي ص٣٣.

وينظر بيوتروفسكي: اليمن قبل الإسلام ص٧٥

(٣) كوبيشانوف: الشمال الشرقي ص٣٤.

جماعات غير حميرية، فقد بدا هذا في أعين القبائل العربية وكأنه نزاع عنصري بين الحميريين واليهود من ناحية، وعرب نجران، وسكان تهامة سمر الألوان، وأهل حضرموت من ناحية أخرى، أما في أعين الأكسوميين والسريان فقد كان يعني مجرد اعتداء من طرف الحميريين على النصارى العرب[1]".

ب- مجريات الصراع

شهدت تلك الفترة ركود التجارة بسبب تعرض التجار من البيزنطيين الغساسنة والأثيوبيين للنهب والفتك بحياتهم في خضم الأحداث التي كان مسرحها آنذاك الجنوب العربي، فتحكي المصادر السريانية واليونانية عن مصارع التجار البيزنطيين ونهبهم على يد ملك حمير اليهودي[2]، مما ألحق أذى بالمصالح التجارية لأكسوم وغيرها من الدول، وكان هذا في حد ذاته انعاكاسا للعداء تجاه بيزنطة وأكسوم، والدول النصرانية العربية، وإلى جانب الخسائر السياسية تعرضت أكسوم أيضاً لخسائر اقتصادية فادحة، لأن ذا نواس عطل تجارة عدولي ومكوسها.

لكل هذا سارع نصارى الجنوب العربي بطلب العون من أكسوم، فسافر توما أسقف نجران إلى أثيوبيا برجاء للأكسوميين من أجل تعضيد السكان، والتدخل ضد ذي نواس، واعداً إياهم دون شك بعمل ذلك، خاصة النصارى الذين كان يتحدث باسمهم وقد كرس كتاب الشهداء الحميريين فصلاً خاصاً لهذه السفارة[3].

ومال أثناء ذلك عدد من الجماعات المحايدة، وغير المستقرة من الوثنيين إلى جانب ذي نواس في حين أخفق الأكسوميون بسبب الرياح الموسمية الشتوية في إرسال الإمداد من

---

(١) كوبيشانوف: الشمال الشرقي ص٣٤، وينظر برصوم (اغناطيوس، فرام الأول) اللؤلؤ المنثور ـ تقديم ونشر غريغوريوس يوحنا إبراهيم متروبوليت حلب ط٥، ١٩٧٨ ص٢٥٦ يختصر إلى اللؤلؤ المنثور

(٢) GRZETEZ; THE HISTIRY OF THE JEWS,VOL.٢,P,٦٥.٦٦. BRIAF ; THE HISTORY OF THE JEWS.

وينظر: ولفنسون: اليهود في جزيرة العرب ص٤٧

عقيلي: اليهود ص٨٠

الحوفي: الحياة العربية ١٥

(٣) الشهداء الحميريون ص١١٣، وينظر كامل (مراد) ومحمد حمدي. وزاكية محمد رشدي. تاريخ الأدب السرياني ـ دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ١٩٧٨ ص١٨٩ يختصر إلى تاريخ الأدب السرياني. وينظر مقالات افرام الأول برصوم ٥٠-٥

الساحل الأفريقي إلى بلاد العرب[1]. الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أن المسيحيين الحميريين كانوا يومذاك تحت وصاية ملك الحبشة وهو ملك أقرب دولة مسيحية لهم، فمن إذاً أولى منه باتحادهم على أعدائهم اليهود ويبدو أن الوضع تحول لمصلحة يوسف ذي نواس فظهر بجميع قواته العسكرية أمام ظفار، ولكنه لم يكن في وضع يسمح له باقتحام ظفار عنوة أو أنه لم يجرؤ على ذلك، فوجه إلى ظفار رسالة يعرض فيها على الأثيوبيين الأمان إذا ما غادروا المدينة " فوثق الأحباش بأمانه إلا أنه حنث في ذلك، وفتك بهم ثم ظفار، وحرق كنيستها، والأحباش الباقين فيها[2] ".

ثم أوفد رسلاً بصحبة كهنة اليهود إلى البلاد الخاضعة لسلطانه لقتل المسيحيين حيثما وجدوا، اللهم إلا إذا كفروا بالمسيح وتهودوا، وأمر بأن يحرق هو وبيته كل من يخفي مسيحياً، وأن يصادر ماله. ثم أرسل قواده الثلاثة على رأس جنودهم لمحاصرة نجران، فناوشهم النجرانيون القتال، وقتلوا منهم عدداً وافراً، ولما لم يقووا عليهم. جاء الملك بجيش عظيم، وحاربهم ولكنه لما باء بالفشل الذريع، بعث إلى النجرانيين رسالة اشتملت على أيمانه الغليظة.... بأنه لن ينالهم أذى إذا هم خرجوا من المدينة تلقائياً، وعقب ذلك فتح المدينة وحنث الملك في أيمانه وبطش بهم وحرق كنيستهم[3] ".

وقد نجا كل من قبل اعتناق اليهودية، على أن اضطهاد النصارى وحرق البيع شمل حضرموت، ومأرب وهجرين[4].

والجدير بالذكر أن هذه الحادثة حسب ما ذكر الإخباريون وردت في القرآن الكريم[5].

لكن الملاحظ من سورة البروج أن ذا نواس دعا نصارى نجران للعودة إلى الوثنية، وليس إلى اليهودية، فالنصرانية واليهودية المعاصرتين لنزول القرآن الكريم كانتا ديانتين سماويتين لا مجال لتفضيل إحداهما على الأخرى فقد ذكر الطبري " كان أصحاب الأخدود قوماً مؤمنين وإن جباراً من عبدة الأوثان، أرسل إليهم فعرض عليهم الدخول في دينة

---

(١) الشهداء الحميريون ص١١٣

(٢) الشهداء الحميريون ص١٠١

(٣) الشهداء الحميريون ص١٠١-١٠٢

(٤) الشهداء الحميريون ص٩٨ وينظر كوبيشانوف: الشمال الشرقي الأفريقي ص٤٨

(٥) سورة البروج الآية ٤-٩

أي دخول الوثنية فأبوا، فخد أخدوداً[1]، وأوقد فيه النار، ثم خيرهم بين الدخول في دينه وبين إلقائهم في النار فاختاروا إلقاءهم في النار على الرجوع عن دينهم فألقوا في النار[2]".

إذاً لم يذكر الطبري في تفسيره ذا نواس، ولا أهل نجران، والنيسابوري يذكر ثلاث روايات آخرها أنه ذو نواس[3].

ولقد عجب ياقوت من أن ينسب الأخدود إلى ذي نواس، لأن ذلك يفضي إلى أن يكون القاتل والمقتول من أهل التوحيد، والله قد ذم المحرق والقاتل لأصحاب الأخدود. وأما خبر الترمذي أن الملك كان كافراً، وأصحاب الأخدود مؤمنين فصح إذاً[4].

ولعل الأجدر بالذكر، أن ذا نواس لم يكن يهودياً، بل كان وثنياً، وبذلك يكون قد انتقم من المؤمنين بالله، وهو غير مؤمن " وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد[5]".

وقد رأى في انتشار النصرانية، شبح النفوذ الأجنبي، بمعنى أنه ربط بين انتشار المسيحية في اليمن، وبين ازدياد النفوذ البيزنطي والحبشي في بلاده، فكون دولة حميرية يهودية لصد هجوم الدولة الحبشية. وسد السبيل في وجه مطامعهم، ويمنع انتشار النصرانية التي كان ملوك أكسوم يتوسلون بها إلى تنفيذ مطامعهم الاستعمارية، فقد غدت نجران أحد مراكز هذا النفوذ، وهي مدينة تجارية كبيرة في شمالي اليمن حيث كانت تقاطع الطرق التجارية الواصلة من الحجاز (من الشمال) ومن اليمامة (من الشرق)[6].

اتخذ حكام الحبشة من مسألة اضطهاد نصارى نجران وتعذيبهم وقتل الآلاف منهم ذريعة للتدخل المسلح المباشر وشجعهم ملك الروم على غزو اليمن[7].

---

(١) لم نتعرف من خلال البحث على معرفة مكان الأخدود كل ما ذكر انه عبارة عن حفرة مستطيلة. لسان العرب مادة خدد

(٢) الطبري: جامع البيان: ١٣٤/٣
وينظر الحوفي: الحياة العربية ص١٥٢

(٣) الطبري: جامع البيان ١٣٠/٣٠ حاشية.

(٤) ياقوت: معجم البلدان مادة نجران

(٥) سورة البروج: آية ٨

(٦) بيوتروفسكي: اليمن قبل الإسلام ص٧٦

(٧) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٢ ص١٢٤- ١٢٥
وينظر أيضاً: ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج١ ص٤٣١
ابن كثير: البداية والنهاية ج٢ ص٢٠٨.

الطرق التجارية الواصلة من الحجاز (من الشمال) ومن اليمامة (من الشرق)[١].

اتخذ حكام الحبشة من مسألة اضطهاد نصارى نجران وتعذيبهم وقتل الآلاف منهم ذريعة للتدخل المسلح المباشر وشجعهم ملك الروم على غزو اليمن[٢].

من الواضح أنه لما بدأ ذو نواس اضطهاده شرع في إرسال تحدياته إلى العالم النصراني لذلك العهد. أو على الأصح لشطريه الأرثوذكسي والمونوفيزي بمركزيهما في بيزنطة وأكسوم، أما فيما يتعلق بالقسم الشرقي والنسطوري للنصرانية، فقد كان في حال من العداء مع كل من الأرثوذكسية والمونوفيزية، بصورة حالت دون ضم الصف معهما من أجل القيام بعمل مشترك.

ولقد كان بوسع ملك حمير أن يجد التعضيد من يهود الجزيرة العربية كما ذكر في فصل سالف لأجل توسيع أملاكه مستقبلاً تجاه حدود بيزنطة.

فبعث بسفارة على يثرب قوبلت بحماس من طرف القبائل اليهودية المحلية الثلاث، ولكن هذه السفارة لم تحقق أهدافها فمن العسير القول بأنه كانت لديهم آنذاك إمكانات عسكرية تسمح بذلك.

لذا حاول ذو نواس أن يجد سنداً من الفرس، وعمالهم اللخميين وأن يحصل في الوقت ذاته على النفوذ، والمكانة بين القبائل العربية[٣].

على أن ملك حمير وجد نفسه وحيداً، ولم يتلق العون، لا من الفرس، ولا من اللخميين، ولا حتى من الجاليات اليهودية بالإمبراطوريتين البيزنطية والساسانية.

فقد كان إمبراطور فارس قباذ يهيئ نفسه آنذاك لمواجهة نهائية مع المزدكية[٤]،

---

(١) بيوتروفسكي: اليمن قبل الإسلام ص٧٦

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٢ ص١٢٤- ١٢٥

وينظر أيضاً: ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج١ ص٤٣١

ابن كثير: البداية والنهاية ج٢ ص٢٠٨.

وينظر في فصل سابق.

(٣) كامل وغيره: تاريخ الأدب السرياني ١٨٩-١٩٠

عابدين: بين الحبشة والعرب ص٤٣

جواد: المفصل ج٢ ص٥٩

(٤) كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين ٣٤٥ وما بعد

وليس بإمكانه الدخول في مغامرة عسكرية في الجنوب العربي النائي، أضف لذلك أن الأحداث ساقت إلى تقلص في حجم التجارة الدولية في سواحل بلاد العرب الجنوبية والغربية، وعلى طرق القوافل المارة بالجزيرة العربية، ومما مس أيضاً مصالح إيران، ومن المحتمل أن يمس الاضطهاد النساطرة فيما بعد.

أما أثيوبيا فمن الملاحظ أنها لم تحرك ساكناً خلال هذه الأحداث لأسباب داخلية، وهي في أغلب الظن نشوب حرب أهلية[1].

على أن إلا اصبحة عندما أخضع التابعين والعصاة ودعم سلطته بأثيوبيا، أصبح مهيئاً للقيام بعمليات عسكرية بالجنوب العربي.

ج- نتائج الاضطهاد

قرابة عام ٥٢٤ أصبح الجو السياسي على غاية الاستعداد، فتجدد، و تدعم بصورة نهائية الحلف السياسي والعسكري للإمبراطورية الرومية الشرقية مع مملكة أكسوم، ونصارى الجنوب العربي، الموجه ضد ذي نواس، على اللحظة الحاسمة لتنفيذ خطة الغزو فأرسل الأحباش حملتين إلى بلاد حمير، فتلوا أثناءها ملك حمير، وأقيال من الحميريين[2].

وتسلم سميفع أشوع لقب ملك، وشغل عرش حمير مع الاعتراف بالتبعية لـ "إلا أصبحة"، ودفعه الإتاوة له[3].

١) **الاحتلال الحبشي لليمن:** تحولت حمير إلى دولة تابعة أو تعترف بالتبعية لأكسوم، ولكنها تتمتع بحكم ذاتي وكان رأسها هو سميفع أشوع " ملك سبأ وذو ريدان، وحضرموت ويمنات، وأعرابهم في النجاد والتهايم[4] ".

---

(١) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الأفريقي ص٦٠

(٢) استشهاد الحارث ص٤٢٢ ملحق بكتاب كوبيشانوف الشمال الشرقي الإفريقي، الشهداء الحميريون ص١٢١، كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص٨٣ وينظر في الفصل الثاني.

(٣) الشهداء الحميريون ص٧٧-١٢٢

كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص٨٧-٨٩.

جواد: تاريخ العرب ٣/١٨٢-١٩٤

نيلسن: التاريخ العربي القديم ١٠٩

الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ١٧٨

وينظر في الفصل الثاني.

(٤) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ٨٩.

وخضع لملك حمير الأقيال المحليون، وجميع السكان الأصليين للبلاد أما قادة الوحدات العسكرية الأثيوبية، فقد شكلوا مجلساً استشارياً، كان من بين مهامه الرسمية حماية الملك من أعدائه، فمن الطبيعي أن يعمل ملك حمير حساباً لقرارات هذا المجلس الاستشاري ومن الممكن أن رئيس المجلس الاستشاري للقادة الأثيوبيين، كان ممثلاً خاصاً لملك أكسوم، ولعله أرياط، ومن المرجح أن هؤلاء القادة، كان تحت إمرتهم قوة عسكرية أكبر مما كان لملك حمير[1].

لذا كان سلطان سميفع أشوع مهتزاً، استنتج ذلك من سقوطه السريع فقد قلب من العرش، واعتقل بأحد الحصون[2].

فما كان من بيزنطة إلا اتخاذ موقف عدائي من خليفته، ومرد ذلك أن سميفع أشوع دخل مع بيزنطة في اتصال وثيق لتهديد قوات الفرس، وحلفائهم اللخميين وجهد لأرضاء مطالب السياسة البيزنطية.

ولعل بيزنطة كانت تخشى فيما يبدو منافسة أكسوم التي كانت تجهد بدورها، لاستعادة نفوذها المهتز بالجزيرة العربية ، فالأخبار العربية تحفظ أخبار الصراع بين نجاشي الحبشة -(المتمثل بشخص أرياط) وبين أبرهة، وذلك بقوله له: "إنه يجمعني وإياك البلاد والدين والواجب علي وعليك أن ننظر لأهل بلادنا، وديننا ممن معي ومعك[3] ".

فأبى أرياط، وقتل في المعركة وهذا دليل على أن أبرهة استطاع أن يهزم جيش أكسوم الذي أرسل ضده وأما موقف الحميريين من أبرهة، فيبدو أنه كان حيادياً، فلم يسمع عن قتال للحميريين ضد أبرهة، بل لربما ساند بعضهم أبرهة.

وغير مستبعد أن تكون بيزنطة قد عاونت أبرهة في ذلك، فالنصرانية ظلت عقيدة حمير الرسمية، وبذلك حافظت على الصلة الدينية، والروحية مع الإمبراطورية البيزنطية.

جواد: تاريخ العرب ٣/١٩١ -١٩٢ نقلا عن بروكوبيوس.

(١) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الأفريقي ص٩٠- ٩١

(٢) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص١١٢.

بيوتروفسكي: اليمن قبل الإسلام ص٧٩.

جواد: تاريخ العرب ٣/١٩١ وما بعد

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/١٢٨

وينظر ابن خلدون: العبر ٢/٦٠-٦١

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل أبرهة في نزاعه مع أكسوم (المونوفيزية) عاضد بيزنطة (الأرثوذكسية) بمعنى هل تحول إلى الأرثوذكسية؟ لقد صمتت المصادر عن ذكر ذلك.

لكن كان من مصلحة بيزنطة، ومن مصلحة حمير على السواء " أن تضع البحر الأحمر، والطرق الموازية لساحله تحت هيمنة ذلك الحلف الذي كان في جوهره موجهاً ضد إيران[1] فلأجل ذلك وجد بعض التقارب بينهما.

فقد كانت سياسة بيزنطة موجهة إلى محاولة احتواء العربية الجنوبية عن طريق دولة مسيحية صديقة حتى تبعد المنطقة عن النفوذ الفارسي، فسنحت الفرصة لها بذلك بعد حادثة الأخدود واضطهاد المسيحيين واستنجادهم بالبيزنطيين، والأمر الذي جعل البيزنطيين يطلبون من الحبشة، ومن النجاشي، وهو ملك أقرب دولة مسيحية للمنطقة، ليخف لنجدة المسيحيين، وكان يعمل في حقيقة الأمر على مد نفوذه على العربية الجنوبية حتى يبعدها عن نفوذ الإمبراطورية الفارسية التي كانت تسعى جاهدة، لأن تجد موطأ قدم في المنطقة.

ولكن الأحباش الذين دخلوا كمنجدين، بقوا كمستعمرين لمدة نصف قرن حتى عام ٥٧٥.

٢) **الاحتلال الفارسي لليمن**": عندما مات أبرهة شغل عرش حمير ابنه أكسوم الذي كان شراً من أبيه وأخبث سيرة[2]، لأنه عرض الحميريين للبلاء، الأمر الذي جعل الحميريين يطلبون المساعدة من الفرس، الذين كانت لهم أطماع سياسية واقتصادية في الهيمنة على اليمن والجزيرة العربية بكاملها لتمرير تجارة الشرق الأقصى وبحر العرب، وبالتالي استغلال خيرات الجزيرة ومواردها ومرافقها، وجلب العرب إلى جانبهم وتجنيد إمكاناتهم، وتوظيفها لإحباط مشاريع البيزنطيين والأحباش التوسعية في المنطقة العربية، وكما لوحظ سابقاً اتخذوا الدين وسيلة لتحقيق أهدافهم الاستراتيجية، وسعوا لنشر

---

(١) بيغوليفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران ١٠٤-١٠٥

كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ١٣٧

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٣٩/٢.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٤٦/١

تاريخ الخميس ١٩٢

ابن كثير: البداية النهاية ٢٢١/٢

المذاهب النصرانية المعارضة لمذهب الروم، والأحباش، ولتأييد اليهودية كذلك، وهي معارضة لسياسة البيزنطيين أيضاً ولم تكن ديانة الفرس نصرانية ولا يهودية.

وجاءت اللحظة التي طالما انتظرها الفرس، وبمساعدة السكان المحليين انتصر الفرس على الأحباش فتخلص الحميريون من حكم أجنبي لينتقلوا إلى حكم آخر.

وتبدل الوضع السياسي لبلاد حمير، فأصبح اللخميون حلفاء لهم، وبذا فإن جميع بلاد العرب باستثناء الأطراف الشمالية الغربية لشبه الجزيرة العربية اتحدت تحت هيمنة الفرس.

وفيما بعد بدأت ملامح الاستقلال من قبل بعض الممالك، وتحول الجنوب العربي إلى مملكة تدين بالتبعية للفرس، أو ولاية من ولايات الدولة الساسانية، وكانت هذه بداية لسياسة جديدة للفرس بالجزيرة العربية.

واستمرت السيادة الفارسية بالجزيرة العربية إلى لحظة توحيدها على يد المسلمين في الأعوام ٦٢٨-٦٣٠.

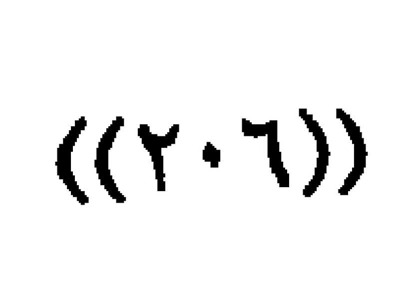
ومن الطبيعي أن الجاليات اليهودية والوثنية باليمن قد دعمت من وضعها، وبقيت إلى لحظة الإسلام وما بعد ذلك موجودة في اليمن[1].

أما غالبية السكان فقد ظلت على النصرانية ولم تتعرض للاضطهاد بسبب عقيدتها.

والجدير بالملاحظة أن أكسوم لم تحرك ساكناً أثناء دخول الفرس للجنوب العربي، أما الذين تقاتل الفرس وأقيال الحميريين معهم فلم يكونوا الأكسوميين، بل نسل جند المستوطنات العسكرية التي استقرت ببلاد العرب، ولم يعثر البتة على معلومات عن تدخل أكسوم في هذا النزاع، على ما يبدو اقتنعت بأن القيام بمحاولة لإخضاع الجنوب العربي لم تكن نتيجتها في أحسن الظروف إلا نجاحاً مؤقتاً يعقبه إما ثورة للسكان ضد الأثيوبيين النازلين بينهم، أو ثورة لأهل المستوطنات الأثيوبية أنفسهم أو الانفصال الفعلي للتابعين لأكسوم عن حكومة (ملك الملوك). ومن ثم فإن الأكسوميين تحاشوا الاشتباك في قتال مباشر مع دولة الساسانيين. وفي هذه المرة، فإن تطور الأحداث بالجزيرة العربية لم يسق إلى حرب فارسية أثيوبية.

---

(١) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص٨٨


((٢٠٦))

الخاتمة

أثار الصراع الدولي

"على شبه جزيرة العرب"

لقد بلغنا نهاية المطاف في بحثنا هذا الذي كرسناه لشبه جزيرة العرب والصراع الدولي عليها في الفترة السابقة لظهور الإسلام، وأصبح لزاماً علينا أن نكشف النقاب عن التأثيرات الحضارية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية التي تركتها الدول الكبرى في هذه المنطقة.

لم تكن هذه التأثيرات على مستوى واحد في كل المناطق فهي عميقة في المناطق الشمالية المتاخمة للعراق والشام، وفي المناطق المحاذية للساحل، والمحيطة بالبادية، ذلك لأن الروم يريدون السيطرة على الطرق التجارية براً وبحراً إلى الهند وسيلان وبالوقت نفسه يرغب الفرس بفرض سيطرتهم وسلطانهم واحتكار التجارة غرباً حتى البحر المتوسط، والأحباش يطعمون في البلاد العربية، وهم والروم سواء، وقد سعوا لاحتلال مكانة

الحميريين التجارية[1].

أما المناطق الصحراوية النائية في الداخل، وعلى الأخص في بلاذ نجد المحاطة بالرمال من جهاتها الأربع فقد كانت هذه التأثيرات الخارجية محدودة فيها، وذلك لأنها لم تخضع في أي وقت من الأوقات لأي سيطرة خارجية مباشرة، وإن كانت في أحيان كثيرة على علاقة إلى حد ما بالقوى الكبرى في الخارج[2].

إزاء ذلك عمل الفرس على تحطيم كل جبهة تميل إلى الروم وتؤيد وجهة نظرهم، وعلى منع سفنهم من الدخول إلى المحيط الهندي: والاتجار مع بلاد العرب، وعمل المعسكران " بيزنطة وإيران " بكل جد وحزم على بث الدعاية والتأثير على عقول الناس لكسبهم إلى صفهم ضد الطرف الأخر.

لذا فقد شجعوا على نشر المذاهب النصرانية المعارضة لمذهب الروم والحبش، ولتأييد اليهودية أيضاً، وهي معارضة لسياسة الروم، وذلك بالوقت الذي لم يكن الفرس يدينون فيه لا بالنصرانية ولا باليهودية إنما كان دينهم بغيضاً لأصحاب الديانيتين[3].

إذاً، والوضع كذلك لا بد من ظهور آثار مختلفة على هذه المناطق وفي نواحٍ مختلفة:

أولاً: الآثار الاجتماعية

عاونت المصادر التي استطعنا استقراءها على تثبيت الخطوط العريضة للنمو المنتظم للمجتمعات العربية وعلى تحديد أشكالها، ومستوى تطورها الاجتماعي، كما عاونت أيضاً على الخروج باستقراءات جديدة ذات طابع عام.

فقد سبق ظهور الإسلام هزات اجتماعية عميقة الأثر، حيث تفكك النظام القبلي البدائي، وانقسم المجتمع إلى فئات غنية تملك وسائل الإنتاج وفئات فقيرة غير مالكة[4].

---

(١) ضرار: العرب من معين إلى الأمويين ص٢٨.

(٢) دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ـ ح٢ "الإطار الخارجي لجاهلية العرب" ص٣١٦ مقالة كمال سليمان الصليبي.

(٣) جواد: تاريخ العرب ٣/ ٢٤

كانت ديانة الفرس المجوسية ولكنهم شجعوا على المسيحية النسطورية.

(٤) مروة: النزعات المادية ١/ ٣٢٣-٣٢٤

وعاشت أغلبية المجتمع في ظل العبودية، لأن الثروات آنذاك لم تستثمر اجتماعياً، إنما كانت تستثمر من قبل أفراد، ولمصلحتهم المحدودة، فلم يترتب على استثمارها ازدهار اقتصادي واجتماعي، لأن وجود الطبقة الغنية والمستغلة كان يعتمد بالدرجة الأولى على احتكار الإنتاج المحلي، وتوظيفه في نشاط تجاري مربح[1].

فمجتمع اليمن مثلاً لم يكن قبل الإسلام متوائماً، فقد وجد فيه حضر وبدو. وأعراب وفلاحون، وعمال وأذواء ومقاول، وأسر أرستقراطية فارسية[2]، تستحوذ على معظم الإنتاج الزراعي والحيواني والمعدني والصناعي وتسيطر على التجارة، وظهرت فيه مجموعات كبيرة من العبيد لكل منهم وضع اقتصادي واجتماعي مختلف.

ويظهر أن السكان باستثناء المقاول والأذواء والأسر الأرستقراطية كانوا يقاسون من تذبذب النظام الاقتصادي، وطابعه الاستغلالي، و بالوقت نفسه فهم محرجون بما عليهم من الخراج والأثقال، غير قادرين على تحمل نفقات إضافية كالجباية التي مارسها الساسانيون[3]. وبدأت أيضاً ملامح الملكية الخاصة تظهر في مكة فقد كان بجانب الأثرياء فقراء وصعاليك كثيرون، والفرق شاسع بين ثراء السيد الشريف وفقر المعوز البائس.

حتى أن الرقيق من الروم النصارى[4] بيع في الأسواق، وكانت مكة في ذلك مقصد الأثرياء، وملتقى التجار، وذلك بفضل ما أدى إليه تجمع زعامة قريش الغنية للحفاظ على مصالحها، ولتنظيم علاقاتها المادية مع الفئات الأخرى من سكان مكة، و سكان شبه الجزيرة العربية بعامة، ومن إنشاء التنظيم السياسي الأول الذي ظهر في الشكل المعروف تاريخياً باسم دار الندوة[5]، فارتفع شأن قريش بين قبائل العرب خاصة بعد عقدها حلف

---

(١) حديثي: أهل اليمن ص١١٣

(٢) تزوج الكثير من الفرس يمنيات، واستوطنوا في اليمن، وقد سمي أولادهم بعد ذلك بالأبناء، ابن حبيب المحبر ٢٦٦. دائرة المعارف الإسلامية ٦٦/١

جواد: المفصل ٣٧٤/٧

شكري: الأوضاع القبلية ص١٤٧.

(٣) حديثي: أهل اليمن ص١١٤

(٤) الحوفي: الحياة العربية ص٢٩٩

ضيف: العصر الجاهلي ص٧٧

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية ١٣٢/١.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢٥٩/٢.

الفضول[1].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن اختلاط العرب بالروم والفرس والأحباش جعلهم يؤثرون فيهم، ويتأثرون فقد قلدوهم في اللباس والطعام والشراب خاصة القرشيين، فمثلاً عبد الله بن جدعان أتى العرب بطعام لا عهد لهم به هو الفالوذج الفارسي، فقد اصطحب معه طباخ خاص ليطبخ له طبيخ أهل الحيرة وأهل فارس.

ولم يكتف بذلك فعندما سمع غناء القيان بفارس اتخذهن لنفسه فغنين له ولأصدقائه، ولمن يقصد داره، وكان يتاجر فيهن، وله نخاس يتولى هذا، وهو صاحب القينتين اللتين اسماهما بجرادتي عاد، ووهبهما لأمية ابن أبي الصلت الثقفي[2].

وكانت القيان فارسيات، وروميات وحبشيات يغنين الشعر العربي بألحان فارسية، أو رومية فيؤثر في النفوس تأثيراً عجيباً[3].

ولقد أدخل الأحباش ضروباً من الرقص والغناء لم تكن معروفة[4].

من هذا نرى أن العرب أخذوا الغناء عن الأمم المجاورة[5]، حيث شاع في أمهات القرى من بلاد العرب كالمدينة، والطائف، وخيبر ووادي القرى ودومة الجندل، واليمامة،

ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢١/٢

مروة: النزعات المادية ٣٢٤/١

(١) ابن هشام: السيرة النبوية ١٤٠/١ -١٤١.

السهيلي: الروض الأنف ج١ ص١٥٦

ابن حبيب: المنصق ص٥٢ - ٥٣،

تاريخ اليعقوبي ١٧/٢

الاصبهاني: الأغاني ج١٧ ص٢٨٧ -٢٩٠، ابن كثير: البداية والنهاية ٢٩١/٢ - ٢٩٣

الفاسي: شفاء الغرام ٩٩/٢، الفاسي: العقد الثمين ١٥١/١

أفغاني: أسواق ١٨٣، علي حسن: التاريخ الإسلامي ١٠٨

(٢) الاصبهاني: الأغاني ٣٢٧/٨

حوفي: تيارات ثقافية ص٦٧

(٣) حوفي: الحياة العربية ص١٢٤

(٤) عابدين: بين الحبشة والعرب ص١٢٤

(٥) المسعودي: مروج الذهب ١٣٤/٤ وما بعد

ابن خلدون: المقدمة فصل صناعة الغناء ص٣٣٥ وما بعد

وكانت هذه القرى مجامع أسواق العرب[1].

ثانياً: الآثار الاقتصادية

كان السبب الرئيس لنشوء العداء بين إيران وبيزنطة، المشاكل المتعلقة بالحدود وطرق التجارة، حيث كان من العسير تحاشي الالتقاء فيها بالقبائل العربية من الرحل وأشباه الرحل. وقد أعانتنا مادة المصادر التي استطعنا الحصول عليها من أن نحدد بثقة تامة دور العرب في التبادل التجاري ومشاركتهم المباشرة في نقل السلع، وإيصالها، بل وفي التجارة نفسها.

ويصدق هذا على طريق الطيب الذي كان يخترق شبه الجزيرة العربية بحالها، والحجاز مهد بني إسماعيل، كما يصدق أيضاً على القسم الشرقي من طريق الحرير الممتد من الأقطار الواقعة وراء نهر دجلة إلى سواحل سورية.

إذاً كانت الصراعات الدولية مرتبطة إلى حد كبير بالمقدرة في السيطرة على الطرق التجارية.

أول ما نشطت التجارة في اليمن، فجنى قدماء اليمنيين أموالا طائلة منها، وحصلوا على فوائد معنوية من اتصالهم بغيرهم، فتطورت الحضارة بينهم تطوراً ملموساً، وبنوا المعابد والقصور، وأقاموا السدود للاستفادة من مياه الأمطار، وخلفوا آلاف النقوش التي تساعد الآن على فهم مدنيتهم القديمة[2].

لكن هذه التجارة المزدهرة تعرضت للاضطراب والتدهور بسبب ما لحق البلاد من فوضى بصراع الفرس والروم والأحباش عليها. وإدخالهم المسيحية البلاد وصراعها مع اليهودية[3]. وكل ذلك من أجل السيطرة على التجارة وطرقها والتحكم في منافذ شبه جزيرة العرب. فتضاءل شأن الطريق البحري، وازدهر الطريق البري من اليمن إلى الشام بحيث أصبح طريق القوافل شرياناً حيوياً للتجارة ولنقل ثقافات البلاد المختلفة. وأدى ذلك إلى دمار منشآت الري باليمن[4]. وهجرة القبائل المتعددة، وطمس معالم كثيرة من القرى

---

(١) شيخو: النصرانية وآدابها ٤٨١/١.

(٢) فخري: اليمن ماضيها وحاضرها ص ٢

(٣) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص٥٨

(٤) موسكاتي: الحضارات السامية ص١٩٣

والمدن القديمة التي كانت تسقى بالمياه التي تخزنها السدود، وتشتت سياسي واضح.

وبالتالي انتقلت الزعامة الاقتصادية إلى مكة فأصبحت محطة تجارية هامة يطلب ودها الملوك والأمراء(١).

ومع الزمن صارت مركزاً مالياً خطيراً في الحجاز وسوقاً لتبادل السلع، واعتماد الروم عليها في كثير من شؤونهم حتى فيما يترفهون به كالحرير والذهب، والبخور، فاستظهر بعض مؤرخي الإفرنج أنه " كان في مكة نفسها بيوت تجارية رومية يستخدمها الروم للشؤون التجارية، والتجسس على أحوال العرب، كذلك كان فيها أحابيش ينظرون في مصالح قومهم التجارية(٢)".

مع العلم أنه لم يسمح للتجار العرب بالدخول إلى داخل الإمبراطوريتين لأن الفرس والروم لم يكونوا يثقون بهم، لذلك اقتصر دخول تجار مكة إلى أسواق معينة مثل الحيرة، وبثى وغزة على أطراف الدولتين(٣).

استفادت قريش من هذه التجارة فوائد جليلة مادية ومعنوية، أما المادية فجعلتهم ينعمون بحياة رخيصة رخية، وأما المعنوية فقد اصبحوا أصحاب ثقافة وأفق عقلي واسع.

ولا غرو فإن مخالطتهم أرباب تلك المتاجر من روم وفرس وأحباش وغيرهم من أرباب الحضارات القديمة والعلوم العريقة جعلتهم أوسع مدارك من غيرهم وأعظم، وأجل نظراً، كما جعلتهم على إطلاع واسع على آداب التجارة والسياسة وأنظمة العلاقات التجارية كما عرفتهم على الكثير من الأحوال التجارية، ودقائق علم الحساب التجاري.

ولا ينسى في هذا المجال دور اليهود بما كان لهم من مزارع وحصون ومتاجر، ومصارف، وما كان منهم من الصناع والصياغ والحدادين، والنجارين بأن أثر ذلك في رفع مستوى الحجاز الاقتصادي والاجتماعي، وعرفهم على ضروب المتاجرة من الصيرفة والربا والنسئ والتطفيف في البيع والحيل التجارية، والتعامل بالنقود، وإدخال أنظمة اقتصادية جديدة.

---

(١) دراسات تاريخية العدد ١٥-١٦ لعام ١٩٨٤
"لمحات من تاريخ آيلة" صالح درادكة ص٤

(٢) امين: فجر الإسلام ص١٣.
افغاني: أسواق ص٩٩ وما بعد
حوفي: الحياة العربية ص١٠١

(٣) دراسات تاريخية عدد ١٥-١٦ لعام ١٩٨٤ " لمحات من تاريخ آيلة " صالح دراركة ص٤.

من كل ذلك يمكن الاستنتاج أن الصراعات الدولية خلفت آثاراً اقتصادية منها ما هو سلبي ومنها ما هو إيجابي.

على أنه يمكن التنويه إلى أن دخول الفرس لليمن أدى إلى حدوث تطور في علاقات أهل مكة بالفرس والروم، فصار الفرس يرسلون بلطائمهم وبضائعهم إلى أسواق مكة للبيع والشراء. أثر هذا الوضع على تجارة مكة تأثيراً كبيراً إذ انتزع الفرس، وملوك الحيرة من أيديهم قسطاً من أرباحهم، وربما لا يستبعد أن يكون الهجوم الذي وقع على لطيمة النعمان بن المنذر ملك الحيرة بتشجيع من أهل مكة، ذلك الهجوم الذي نجم عنه ما عرف بالفجار[1].

وذلك للإضرار بالفرس وبملوك الحيرة، وبثّ الرهبة والخوف في قلوب القوافل التي صارت تسلك طريق الطائف، ثم منها إلى مواضع في البادية إلى الحيرة متجنبة طريق مكة[2].

أما في اليمن فقد أدى دخول الفرس إليها إلى تنمية النظام الإقطاعي فيها وإلى عودة النشاط للتجارة اليمنية، وإلى قيام بعض القبائل كقبيلة مذ حج وسيطرتها على أهم الطرق التجارية آنذاك.

ثالثاً: الآثار السياسية

عانى العرب قبل الإسلام من التفكك السياسي، فلم تنتظمهم دولة موحدة حتى من الناحية الشكلية[3]. كما عانوا من فقدان المثل العليا التي ترتفع بتفكيرهم وتجمعهم وتوجههم إلى القيام بدور حضاري بناء، أي إلى عقيدة تسمو بأفكارهم، وتكون قوة محركة لهم، الأمر الذي يسر للساسانيين، والروم الهيمنة على أطراف الجزيرة العربية، وحصر أهلها ومحاولة مد سلطانهم وفرض سيطرتهم عليها جميعاً، والعمل على إبقائها مفككة خاضعة لمؤثراتهم ومصالحهم[4].

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية ١/١٩٥ ـ١٩٦ وما بعد

ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١/٥٩٠ وما بعد

جاد المولى: أيام العرب ٣٢٦.

(٢) جواد: المفصل ٤/١١٥

(٣) هل: الحضارة العربية ص١٢

(٤) حديثي: أهل اليمن ص٥

ورغم فقدانهم الوحدة السياسية، إلا أنهم في بعض المناطق على الأقل، وصلوا إلى مستوى عال من النمو[1]. فقد تمتع الحجاز مثلا بالاستقلال، وظهرت على أهله طبائع خاصة من حيث عراقة أصلهم، وشرفهم وشهامتهم التي كانت مضرب الأمثال، ولغتهم التي حافظت على نقائها وصفائها بحيث كان النظام القبلي يسيطر على الحالة العامة فيها، فلكل قبيلة كيانها السياسي المستقل، ولكل قبيلة شيخها، وحاكمها، وكاهنها وشاعرها[2] ولا ينسى ما كان لأهل مكة وقريش بصفة خاصة من مكانة مقدسة رفيعة، جعلتهم يمتازون عن بقية العرب بأنهم أهل بيت الله[3].

إن مجتمعاً سياساً هذا شأنه يصعب ظهور دولة قوية كبيرة فيه، فإن هذه النظرة القبلية الضيقة كفيلة بتقويض بنيان الدول الكبيرة من الخارج، ومن الداخل بمنافسة المشايخ والرؤساء للحاكم. وقيامهم عليه حال شعورهم بضعف أصحاب الحل والعقد، وحوادث اليمن خير شاهد على ذلك، فلم يترك الأقيال والأذواء للملوك فرصة للعمل والإنتاج بل شغلوهم في كثير من الأحيان بإخماد الثورات الداخلية وبالقضاء على الفتن التي تثيرها أحقادهم بينهم، حتى صارت الدولة دول طوائف لا شغل لها إلا الحروب[4].

وصار الأعراب يؤثرون في السياسة تأثيراً واضحاً، وأصبح في استطاعتهم إحداث تغيير كبير في الوضع السياسي[5].

فهناك إشارات إلى أعراب مرتبطين ببعض القبائل، فلكندة أعراب، ولمذحج أعراب ومع أن سبب ذلك غير واضح، إلا أن تمتع الأعراب بروح قتالية عالية جعلهم عنصراً أساسياً في الحرب. في وقت كانت فيه الصراعات الداخلية في اليمن نشطة، أي أن قبائل

---

(١) حديثي: اهل اليمن ص١٢

(٢) تاريخ اليعقوبي ٣٠٤/١.

الاصبهاني: الأغاني ٢٥/٣، الألوسي: بلوغ الأرب ١٥/٣

جواد: المفصل ٧٠/٩، شريف: مكة والمدينة ٢٦،

الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه ٣١-٣٢-٣٣-٣٤.

سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام ص٤٠٤

خربوطلي: الحياة الاجتماعية في الحجاز رسالة ما جستير غير منشورة ص٣

(٣) طلس: تاريخ العرب ٧٩/١-٨٠

(٤) جواد: تاريخ العرب ٣/ ٢٢٠

(٥) جواد: المفصل ٥٧١/٢

اليمن فقدت روحها القتالية، فاستعانت بالبدو واستخدمت الأعراب الذين يتنقلون من مكان لآخر، ووجهت روحهم القتالية لخدمة مصالحها بدل التصادم معهم.

ويبدو أنهم شكلوا عنصراً مهماً، فقد أشار ملوك اليمن في القرن الخامس الميلادي إليهم في ألقابهم الملكية بإضافة عبارة " وأعرابها في الجبال والتهائم[1] " إلى ألقابهم.

وصار من المتحتم على حكام الممالك والمشيخات مصانعة الأعراب، ومداهنتهم لتأمين سلامة أرضهم، ووضع قوات لصدهم حين لا تنفع معهم المصانعة والمداهنة، والقيام بغزو الأعراب أيضا لإيقاع الرعب في نفوسهم. فالسكوت عنهم، أو التساهل معهم يعني في عرفهم ضعف ولين، والضعف من موجبات الغزو[2].

شمل هذا الوضع العربية الغربية، خاصة زوال نفوذ حكومة الحميريين عنها، بسبب الأحداث الداخلية، والحروب والفتن التي وقعت في داخل تلك الحكومة وظهور مشيخات نازعت الحكومة المركزية سلطتها، واستقلت كل مشيخة في أرضها، مما مكن الأحباش مراراً من التدخل في شؤون اليمن الداخلية. ثم شجع الفرس من بعدهم بفرض نفوذهم على تلك البقعة الخصبة من الجزيرة[3].

وتجدر الإشارة أنه على الرغم من تعدد القبائل والمشيخات والإمارات فلم يشر أهل الأخبار إلى أسماء ملكات حكمن الجزيرة العربية أو بعض أجزائها قبل الإسلام[4].

حكم مكة عدة رجال قسمت الأعمال بينهم، ولم يلقب زعيمهم، أو المتنفذ فيهم بلقب ملك، وكان الحكم للملأ، وهم أصحاب الحل والعقد في البلد، والحكم في الناس وفق العادات والأعراف، والقوانين الموروثة، وهم أشراف القوم ووجوههم،

---

(١) أرياني: نقوش مسندية ٣٦٤

جواد: المفصل ٥٧١/٢

(٢) جواد: تاريخ العرب ٢٢٠/٤

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٣٩/٢.

الدينوري: الأخبار الطوال ص٥٢

المسعودي: مروج الذهب ٢٥/٢

ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٤٧/١

ابن الكثير: البداية والنهاية ٢٢١/٢-٢٢٢

تاريخ الخميس ١٩

(٤) جواد: تاريخ العرب ٢٢٩/٤

وروءساؤهم، والملأ القوم ذوو الشارة أي ذوو المظهر الحسن[1].

أما يثرب فقد تنازع السلطان فيها الأوس والخزرج، وبعد جدل طويل، وحروب استقروا على أن يكون الحكم بينهما بالمناوبة في كل عام زعيم من زعماء الحي الواحد، يليه في العام الثاني زعيم من الحي الثاني، وبذلك يكونون قد وضعوا نظام التناوب في الحكم[2].

أما بقية المدن العربية، فقد كان يحكم بعضها عند ظهور الإسلام حكام يلقبون أنفسهم ملوكاً، وهم في الواقع مشايخ مدن، ومشايخ مقاطعات، وكذلك كان يحكم العربية الجنوبية مثل حضرموت عدة مشايخ تلقبوا بألقاب الملك[3].

إزاء ذلك طمع الأجانب من فرس وبيزنطيين وأحباش بالسيادة على بلاد العرب، وكانت لهم محاولات متعددة، جعلت الناس يتذمرون في كل مكان من سوء سياسة الإمبراطوريتين وجعلتهم يودون التخلص من الفرس والروم وكذلك الأحباش[4].

وشعر العرب إزاء هذه الظرف بضرورة الاتحاد لما رأوه من تهديد الروم في الشمال، وتهديد الفرس في الشرق، وتهديد الأحباش في الجنوب وأخذت المبادئ القومية تنمو فيهم إلى أبعد حد.

وتكون في الجزيرة نوع من الوعي السياسي، والميل إلى شيء من التكتل في بعض الجهات، ففي منتصف القرن الخامس الميلادي، تكونت في وسط الجزيرة مملكة قبلية نتيجة اجتماع عدة قبائل يمنية في وسط الجزيرة برئاسة رئيس واحد، . وتلك هي مملكة كندة[5] التي عاشت في القرنين الخامس والسادس الميلاديين واعتمدت في بقائها على عصبيتها، ولم تعتمد على قوة فارس أو بيزنطة[6].

ومن حسن الحظ أن بدت الأحوال مساعدة للعرب عندما أحبطت الحجاز غزو أبرهة[7].

---

(١) لسان العرب مادة ملأ

تاج العروس مادة ملأ

(٢)(٣) جواد: تاريخ العرب ٤/٢٢٩-٢٣٠

(٤) جواد: المفصل ٢/٦٥٩

(٥) جانار: ملوك كندة ص١٨١

(٦) نيلسن: التاريخ العربي القديم ص٢٤٩

(٧) الأزرقي: اخبار مكة ١/٤٥ وما بعد

وأخذت بعز لقب العاصمة، فعزم عبد المطلب على ربط جميع القبائل المستقلة بهذا المركز المشترك، وبينما كانت النفوس تميل إلى الوحدة في الداخل ميلاً عاماً، وكان استقلال العرب يتم بفضل ما وقع بين الروم والفرس من الحروب الطاحنة، وما وقع بين هاتين الأمتين من الصراع بلغ غايته قبل الإسلام[1].

وتنبه العرب إلى ضرورة الوحدة، وصنع جبهة واحدة ضد الأعداء الطامعين بالبلاد وظهر ذلك في موقعة ذي قار حيث انتصر العرب على الفرس لأول مرة في تاريخهم[2].

هذا أفضل أثر تركته الصراعات.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٣٨/٢

ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٤٥/١

ابن كثير: البداية والنهاية ٢١٦/٢ ـ ٢١

(١) سيديو: تاريخ العرب ص٦٣

(٢) ابن الكلبي: نسب معد واليمن ٩٧/١ وما بعد.

ابو عبيدة: النقائض ٦٣٨/٢ وما بعد.

ابن بكار: نهاية الأرب ١٣١-١٤١

ياقوت: معجم البلدان مادة قار

الحلي: المناقب المزيدية ٤٠٣/٢ وما بعد

المسعودي: مروج الذهب ٣٠٦/١ ـ ٣١٧

النويري: نهاية الأرب ٤٣١/١٥ وما بعد.

جواد تاريخ العرب ١٠٣/٤

الحوفي: الحياة العربية ١١٩

علي حسن: التاريخ الإسلامي ٨٤ ـ ٨٥

سالم: تاريخ العرب في الجاهلية ٢٨٣ وما بعد

سعد: تاريخ العرب قبل الإسلام ص٢٣ وما بعد

فروخ: تاريخ الجاهلية ٧٨ وما بعد

برو: تاريخ العرب القديم ص٢٢٥ وما بعد

مروة: النزعات المادية ٣٠٤/١ وما بعد

النص: اختيارات من كتاب الأغاني ٢٩٧/١ وما بعد

الشطي: الحضارة العربية ص٥١

رابعاً: الآثار الثقافية

إذا كان للصراعات المختلفة آثار اجتماعية واقتصادية وسياسية، فقد كان تأثيرها الثقافي أعمق، وذلك لأن:

١- الشعر واللغة أعمق ارتباطاً بتاريخ الجزيرة القديم، فقد كان أكثر تأثراً من سائر الظاهرات الثقافية في مجتمع ما قبل الإسلام[١].

فأهل الحجاز مثلاً وبسبب اختلاطهم بالروم والفرس والأحباش تعلم فريق منهم الكتابة من الحيرة ونشروها لما رجعوا إلى بلادهم[٢].

حيث حملت القافلة شيئاً أعظم وأهم قيمة من التجارة، هو حروف الهجاء والحروف التي أخذ منها الخط الذي كتب به القرآن الكريم، فصار الخط الرسمي للمسلمين، الخط الذي لم يقتصر استعماله على العرب، بل صار خطاً لملايين المسلمين الذين تربطهم بالعرب رابطة الدين.

وقد وصلوا إلى مستوى فكرى لم يصل إليه البدو وسكان الواحات، فحسنت إدارتهم للكعبة، وسهلو ا على الناس القدوم إليها، وشجعوهم على الحج إلى بلدهم[٣].

هذا على الرغم من أن الحجاز لم يكن قبيل الإسلام واقعاً في مجرى التيار العالمي من ناحية الثقافة، إلا أنه لم يكن بمنأى عنها، فقد تخلل لغته أسماء رومية وفارسية وغيرها[٤].

وتسربت إليه من بلاد العرب الجنوبية بعض الآثار الثقافية مما لفحت به لغة العرب الشمالية أي لغة قريش التي تمكنت في القرن السابق للإسلام من أن تسود لغات العرب أجمعين، وتصبح لها الصدارة بين كل لهجاتهم. فقد نزل القرآن الكريم بلغة قريش، فألفاظ الرحمن والرحيم وشرك وكفر وغيرها هي ألفاظ جنوبية سلكت السبيل إلى

---

(١) مروة: النزعات المادية ٣٢٤/١.

(٢) الألوسي: بلوغ الأرب ٣٦٨/٣ وما بعد

أفغاني: أسواق ص١١٣

هل: الحضارة العربية ص١٧

(٣) خاني: تاريخ العرب والإسلام ص٤٠

(٤) افغاني: أسواق ص٤٤.

هبو: تاريخ العرب ص٣٠٣

الحجاز واستعملت في المعاني التي كانت تطلق عليها في الجنوب[1].

فمن الطبيعي والوضع كذلك وجود عدد يسير في مكة والطائف يحسنون الكتابة. كالأعشى الذي كان يجالس أساقفة نجران، فأخذ عنهم الحكمة ورحل إلى فارس فعرف كلمات فارسية كثيرة استخدم بعضها في شعره[2].

وكعدي بن زيد الذي تعلم الكتابة العربية والفارسية، و كالمرقش الأكبر الذي تعلم الكتابة عن نصراني من أهل الحيرة ، و كلقيط بن يعمر الأيادي الذي كتب لكسري وترجم له[3].

وكحرب بن أمية الذي تعلم الكتابة عن بشر أخي أكدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل لأنه كانت له تجارة عنده في بلاد العراق، ثم سافر بشر معه إلى مكة فتعلم جماعة من أهل مكة، وبهذا كثر من يكتب بمكة من قريش قبل الإسلام ولقد طور العرب أبجديتهم الجديدة على أساس الكتابة الآرامية الشمالية، أما خط المسند الذي دونت به النقوش العربية الجنوبية فقد أهمل ولم يلبث أن طوته ذيول النسيان.

" فنصارى الشمال من أهل العراق كانوا يترددون إلى اليمن وإنهم أدخلوا بين أخواتهم في الدين الكتابة السريانية بدلاً من الخط المسند الشائع هناك قبلهم[4] ".

فالحيرة من العوامل التي نشرت الثقافة الفارسية في بلاد العرب كما كان لها أثر في نقل بعض مظاهر الثقافة الآرامية النسطورية قبل أيام الرسول، ولما كان النساطرة أنفسهم متأثرين بالحضارة الآرامية فقد كانوا أيضاً واسطة في نقلها مع ثقافتهم، والثقافة الفارسية إلى قلب بلاد العرب الوثنية[5].

وعرف العرب بعض أخبار، الفرس، و قصصهم كقصة رستم واسفندياز[6].

---

(١) نافع: عصر ما قبل الإسلام ص٢١٨

(٢) حوفي: تيارات ثقافية ص٢٤

(٣) البكري: معجم ما استعجم ١/٧٥

حوفي تيارات ثقافية ص٢

(٤) شيخو: النصرانية وآدابها ١/٥٩

جواد: تاريخ العرب ٣/٢٠٧

(٥) نافع: عصر ما قبل الإسلام ص٢١٩

(٦) قصة فارسية قديمة: أعادها الفردوسي في الشاهنامة تدور حول الحرب التي نشبت بين رستم بطل إيران

ولا ينكر في هذا المجال دور الرقيق خاصة الأبيض الذي كان على درجة من حسن الفهم والمعرفة، وإتقان الكتابة والقراءة، ولهم اطلاع على شؤون دينهم ومعارف ذلك العهد ولهذا أو كل إليهم، القيام بالأعمال التي تحتاج إلى مهارة وخبرة[1].

٢- وكانت المعارف قبل الإسلام محصورة بحصيلة متفرقة غير منتظمة من التجارب الحسية المباشرة والمحاكمات الفكرية البسيطة خلال التعامل اليومي الحي مع أشياء الطبيعة والظاهرات الكونية المكشوفة لديهم والمؤثرة في حياتهم اليومية، خلال مجرى العلاقات الاجتماعية المعينة، وما تخلقه هذه العلاقات من نوعية محددة للعادات التقاليد والأشكال الحقوقية العفوية التي كانت تقوم عندهم مقام القوانين في المجتمعات الحضارية[2].

فقد ساعد على انتشار الثقافات، هجرة أبناء الجزيرة، وتنقلهم من مكان لآخر[3]، مثل الهند والحبشة والبلاد الإفريقية، والأسيوية الأخرى[4].

فانتقلت فنون فارس الحربية إلى الحجاز عن طريق اليمن، كما انتقلت أيضاً عن طريق الحيرة، فسلمان الفارسي نفسه هو الذي أشار على الرسول(ص) بحفر الخندق حول المدينة في غزوة الأحزاب[5].

ولقد تعلموا الطب من الحيرة، " كان الحارث بن كلدة طبيب العرب أصله من ثقيف من أهل الطائف رحل إلى أرض فارس وأخذ الطب على أهل جند يسابور وغيرها قبل الإسلام وطبب بأرض فارس، وحصل مالاً، ثم إن نفسه اشتاقت إلى بلاده، فرجع إلى الطائف واشتهر وأدرك الإسلام[6] ".

القديم الذي كفل لها النصر على أعدائها أكثر من ثلاثمائة سنة. وبين اسفندياز البطل واظهر أسفنديار بطولة تشبه بطولة رستم، لكن المبارزة بينهما انتهت بمقتل اسفندياز.

حوفي: تيارات ثقافية ص٥٦.

(١) جواد: المفصل ٦/٦٠٣

(٢) مروة: النزعات المادية ١/٣٢٥

(٣) نيلسن: التاريخ العربي القديم ص١١٤

(٤) الندوي: تاريخ الصلات ص١٨

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية ٢٢٤ وما بعد

الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/٥٦٤ وما بعد

(٦) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ١٥٦.

ينظر شيخو: النصراينة وآدابها ١/٣٦٥.

كذلك رحل ابنه النضر إلى الحيرة، وإلى فارس فأتقن الفارسية، واقتنى بعض كتبها[1].

ولقد مثل الشعر الشعبي للقبائل العربية عنصراً أساسياً في تكوين الأدب العربي كما تردد صداه خاصة في أيام العرب التي تغنت بالوقائع والمعارك التي جرت بين القبائل العربية وقد ارتبط ظهور الشعر العربي بأسماء الشعراء الأوائل من أمثال الحارث بن حلزة ووعمرو بن كلثوم وامرئ القيس.

٣- أما الظاهرات الدينية فتبقى أكثر ظاهرات الوعي قبل الإسلام تأثراً بعملية النشاط البشري المادي، فحين كان النظام القبلي البدائي لا يزل سائداً قبل الإسلام، ويقسم مجتمعاتهم القبلية على أساس رابطة الدم والنسب بأضيق حدودها، كانت الوثنية وحدها هي ديانتهم السائدة، ذلك لأنها كانت تمثل في وعيهم صورة عالمهم القبلي نفسه، فهو عالم العلاقات البشرية بأبسط تكويناتها التاريخية وأكثرها تجزؤاً وتعداداً[2].

وهي، أي الوثنية، مثلت تصور علاقة الإنسان بالطبيعة وظاهراتها الكونية، وصورت هذه العلاقة كعلاقة سيطرة مطلقة قدرية ثابتة، ونهائية على الإنسان وعكست الوضع السائد آنذاك، فقد كانت تعددية تبعاً لتعددية الجماعة القبلية ذاتها.

لكن وكما لوحظ حين بدأ المجتمع يتمخض قبل الإسلام بتحولات تؤدي إلى تغيير في تركيبه الاجتماعي وفي اتجاه علاقاته الاجتماعية نحو الانقسام على أساس جديد يمهد للأساس الطبقي، أخذت الظاهرات الدينية تتأثر بهذا التمخض الاجتماعي فظهرت الوجهة التوحيدية تبرز في هذه الظاهرات، برزت في التوحيد اليهودي: وبرزت في التوحيد بمفهومه المسيحي، حيث وجدت في بعض المناطق قاعدة للديانة المسيحية، وكانت قد ظهرت بالمفهوم الذي سيصبح مفهوم التوحيد الإسلامي وهذا هو دين الحنفاء، هذا الذي كان التعبير الناضج على صعيد الوعي الديني، وعن اتجاه المجتمع العربي قبل الإسلام نحو الصراع مع نظامه القبلي البدائي التعددي[3].

حوفي: تيارات ثقافية ص٢٤

(١) حوفي: تيارات ثقافية ص٢٤

حوفي: الحياة العربية ١٢٠

شيخو: النصرانية وآدابها ٣٦٥/١

(٢) مروة: النزعات المادية ٣٢٥/١

(٣) مروة: النزعات المادية ٣٢٥/١

ولا يخفى أن القبائل العربية خاصة بني حنيفة، مذ حج، كندة تعرضت للأفكار النصرانية ومزجتها مع ثقافتها[1].

وقامت قبيلة بني الحارث بن كعب بن مذ حج ببناء دير او بيعة لها سميت كعبة نجران يحجون هم وخثعم وطوائف من العرب إليها[2].

فكان للنصرانية أثر في نصارى عرب قبل الإسلام، فقد أثر من ناحية الفن، إذ أدخلت النصرانية بين العرب فناً جديداً في البناء، هو بناء الكنائس والأديرة والمذاحج، والمحاريب، والزخرفة، كما أدخلت النحت والتصوير المتأثرين بالنزعة النصرانية[3].

وقد أفرد شيخو فصلاً خاصاً في التعرف على تأثير النصرانية " في ترقية الجمال، ونشر أصحابها لأخص فنونه بين العرب، وأشهر هذه الفنون أربعة، هندسة البناء، والتصوير والحفر، والموسيقى[4] ". وأفرد لكل منها باباً خاصاً.

وبهذا فإن للصراعات أثراً في الناحية الثقافية فمن حيث اللغة تعلم فريق من العرب الكتابة ونشورها لما رجعوا إلى بلادهم، فكان الفضل في ذلك للحيرة وللرقيق الأبيض الذي كان على درجة من حسن الفهم والمعرفة، وإتقان الكتابة والقراءة.

وتأثرت الظاهرات الدينية كذلك بالصراعات المختلفة فظهرت الوجهة التوحيدية التي مهدت لظهور الإسلام، وكان لهذه الظاهرات الدينية وخاصة المسيحية أثر في ترقية الجمال ونشر لأخص فنونه بين العرب.

---

(١) حتي: تاريخ العرب المطول ١/١١٣.

روم لاندو: الإسلام والعرب ٢٥

شكري: الأوضاع القبلية ص١٦٤

(٢) البكري: معجم ما استعجم ٢/٦٠٣.

ياقوت: معجم البلدان مادة ديرو مادة نجران

شكري: الأوضاع القبلية ص١٦٤

(٣) شيخو: النصرانية وآدابها ١/٣٤٣-٣٤٤.

جواد: المفصل ٦/٦٩٠

(٤) شيخو: النصراينة وآدابها ١/٣٤٣

بعض المصادر العربية

❖ - ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم)

١- الكامل في التاريخ - دار صادر - بيروت ١٩٧٩. أشير إليه في البحث ابن الأثير الكامل في التاريخ.

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة - دار أحياء التراث العربي - بيروت - لبنان أشير إليه في البحث أبن الأثير - أسد الغابة.

❖ - الأزرقي (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد)

٣- أخبار مكة - تحقيق رشدي الصالح ملحس- دار الأندلس، مدريد أسبانيا ، أشير إليه في البحث الأزرقي - أخبار مكة.

❖ - الاصبهاني (أبو الفرج علي بن الحسين)

٤- الأغاني - مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت - لبنان مصور عن طبعة دار الكتب أشير إليه في البحث الاصبهاني: الأغاني.

❖ - الاضطخري (ابراهيم بن محمد)

٥- المسالك والممالك - تحقيق محمد جابر الحسيني - القاهرة ١٩٦١

أشير إليه في البحث الاصطخري المسالك والممالك.

❖ - الأصفهاني (حمزة بن الحسن)

٦- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - أشير إليه في البحث أصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء.

❖- الأصمعي (عبد الملك بن قريب)

٧- تاريخ العرب قبل الإسلام تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين.. منشورات المكتبة العلمية ط١، مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٩ أشير إليه في البحث _ الأصمعي:تاريخ العرب قبل الإسلام.

٨- النبات والشجر- باعتناء خضر- المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٨ أشير إليه في البحث الأصمعي: النبات والشجر.

❖- الأصمعي (محمد عبد الجواد)

٩- العرب وأطوارهم ـ مطبعة الجمالية ـ مصر، أشير إليه في البحث الأصمعي: العرب وأطوارهم.

❖- بتنويني (محمد لبيب)

١٠- الرحلة الحجازية ـ المطبعة الجمالية بمصر ط٢، ١٣٢٩ أشير إليه في البحث بتنويني الرحلة الحجازية.

❖- البخاري (أبي عبد الله محمد بن إسماعيل)

١١- صحيح البخاري - مطبعة الهندي: أشير إليه في البحث صحيح البخاري.

❖- برصوم (إغناطيوس إفرام الأول)

١٢- اللؤلؤ المنثور ـ تقديم ونشر غريغوريوس يوحنا إبراهيم متروبوليت حلب ط٥ ١٩٧٨ أشير إليه في البحث اللؤلؤ المنثور.

١٣- مقالات برصوم.

❖- البغدادي السويدي (محمد أمين)

١٤- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب- دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ط١ ١٩٨٦ أشير إليه في البحث البغدادي: سبائك الذهب.

❖- ابن بكار (إسكندري بن يعقوب)

١٥- نهاية الأرب في أخبار العرب- مرسيليا ١٨٥٣ أشير إليه في البحث ابن بكار: نهاية الأرب.

❖- البكري (ابي عبد الله عبد الله بن عبد العزيز)

١٦- معجم ما استعجم ـ تحقيق مصطفى السقا ـ عالم الكتب ـ بيروت أشير إليه في البحث البكري ـ معجم ما استعجم.

❖- البلاذري (أبي الحسن)

١٧-فتوح البلدان ـ عني بمراجعته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٧٨ أشير إليه في البحث البلاذري: فتوح البلدان.

❖- البلاذري (أحمد بن يحيى)

١٨-أنساب الأشراف ـ تحقيق محمد حميد الله ـ دار المعارف بمصر ـ أشير إليه في البحث البلاذري: انساب الأشراف.

❖- التوراة

١٩-دار المشرق- المكتبة الشرقية ـ بيروت ١٩٨٦ أشير إليه في البحث التوراة.

❖- التيمي (ابي عبيدة معمر بن المثنى)

٢٠-الخيل ـ دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد ط١، ١٣٥٨ أشير إليه في البحث:التيمي الخيل.

٢١-النقائض ـ مكتبة المثنى بغداد ١٩٥٠ أشير إليه في البحث إلى نقائض أبي عبيدة التيمي.

❖- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل)

٢٢ ـ غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، وأشير إليه في البحث غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم.

❖- ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني)

٢٣-الصبح المنير في شعر أبي بصير طبع في مطبعة أدولف هلزهوسن فيينا ١٩٢٧ أشير إليه في البحث ثعلب الصبح المنير.

❖- الجاحظ (أبي عثمان عمرو بن بحر)

٢٤- الحيوان ـ دار إحياء التراث العربي أشير إليه في البحث ـ الجاحظ الحيوان.

❖- الحارث

٢٥- استشهاد الحارث ملحق بكتاب كوبيشانوف، الشمال الشرقي الأفريقي أشير إليه في البحث استشهاد الحارث.

❖- ابن حبيب (أبي جعفر محمد)

٢٦ المحبر ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ١٣٦١ هـ١٩٤٢ أشير إليه في البحث ابن حبيب:المحبر.

٢٧- المنمق ـ صححه وعلق عليه خورشيد محمد فارق عالم الكتب ط١ ١٩٨٥ أشير إليه في البحث ابن حبيب: المنمق.

❖- ابن حزم الأندلسي (أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد)

٢٨- جمهرة انساب العرب ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون دار المعارف بمصر ١٩٦٢ أشير إليه في البحث: جمهرة انساب العرب.

❖- الحلي (أبي البقاء هبة الله)

٢٩- المناقب المزيدية ـ تحقيق صالح إدراركة ومحمد خريسات عمان ١٩٨٤ أشير إليه في البحث الحلي: المناقب المزيدية.

❖- الحموي

٣٠- الحموي (ياقوت)

معجم البلدان ـ دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٩٧٩ أشير إليه في البحث ياقوت: معجم البلدان.

❖- الحميري (نشوان بن سعيد)

٣١- ملوك حمير وأقيال اليمن تحقيق إسماعيل بن أحمد الجرافي وعلي بن إسماعيل المؤيد دار العودة بيروت ط٢، ١٩٧٨ أشير إليه في البحث ـ حميري ـ ملوك حمير.

٣٢- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ـ عالم الكتب ـ بيروت أشير إليه في البحث ـ حميري: شمس العلوم.

٣٣- منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم اليمن ـ وزارة الإعلام ط٢ مصورة ١٩٨١ أشير إليه في البحث حميري: منتخبات في أخبار اليمن.

❖- ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي)

٣٤-صورة الأرض ـ مكتبة الحياة ـ دون تاريخ أشير إليه في البحث ابن حوقل ـ صورة الأرض.

❖- ابن خرداذبة (أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله)

٣٥- المسالك والممالك ـ دار المدينة ـ مطبعة بريل ١٨٨٩ أشير إليه في البحث ابن خرداذبة المسالك والممالك.

❖- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)

٣٦- المقدمة ـ دار العودة ـ بيروت ١٩٨١ أشير إليه في البحث ابن خلدون ـ المقدمة.

٣٧- العبر وديوان المبتدأ والخبر منشورات مؤسسة الأعلمي أشير إليه في البحث ابن خلدون: العبر.

❖- الديار بكري (حسين بن محمد بن الحسن)

٣٨- تاريخ الخميس في أنفس نفيس أشير إليه تاريخ الخميس.

❖- الدينوري (أبو حنيفة)

٣٩- الأخبار الطوال ـ مراجعة حسن الزين ـ دار الفكر الحديث بيروت ١٩٨٨ أشير إليه في البحث- الدينوري الأخبار الطوال.

٤٠- النبات باعتناء محمد خير الله ـ نشر المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ـ القاهرة ١٩٧٣ أشير إليه في البحث دينوري النبات.

❖- ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم)

٤١- الأنواء ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن (الهند) ١٩٥٦ أشير إليه في البحث ابن قتيبة الدينوري، الأنواء.

٤٢- المعارف: طبعة دار الكتب المصرية وطبعة المطبعة الإسلامية بمصر الأزهر ١٣٥٣هـ-١٩٣٤ م أشير إليه في البحث الدينوري المعارف.

❖- الأعشى بن ميمون

٤٣- ديوان الأعشى، دار صادر ـ بيروت ـ أشير إليه في البحث ديوان الأعشى.

❖- امرؤ القيس

٤٤- ديوان امروء القيس ـ دار صادر ـ بيروت أشير إليه في البحث ديوان امرؤ القيس.

❖- أمية بن أبي الصلت

٤٥- ديوان أمية بن أبي الصلت دار مكتبة الحياة ـ بيروت لبنان أشير إليه في البحث ديوان أمية بن أبي الصلت.

❖- سلامة بن جندل

٤٦- ديوان سلامة بن جندل / صنعه محمد بن الحسن الأحول ـ تحقيق فخر الدين قباوة ـ دار الكتب العلمية بيروت ط٢، ١٩٨٧ أشير إليه في البحث ديوان سلامة بن جند ل.

❖- طرفة بن العبد

٤٧- ديوان طرفة بن العبد ـ دار صادر بيروت ـ أشير إليه في البحث ديوان طرفة بن العبد

❖- عروة بن الورد

٤٨- ديوان عروة بن الورد، دار صادر بيروت أشير إليه في البحث عروة بن الورد

❖- ابن رسته (ابي علي أحمد بن عمر)

٤٩- الأعلاق النفيسة ـ ليدان ١٨٩١ أشير إليه في البحث ابن رسته الأعلاق النفيسة.

❖- الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني)

٥٠- تاج العروس ـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ـ مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٥ أشير إليه

في البحث تاج العروس.

❖- الزبيري (عبد الله بن المصعب)

٥١- نسب قريش ـ دار المعارف ط٣ ١٩٥١ أشير إليه في البحث الزبيري نسب قريش.

❖- زوزني

٥٢- شرح المعلقات السبع ـ دار صادر بيروت أشير إليه في البحث زوزني شرح المعلقات السبع.

❖- السالمي (نور الدين بن عبد الله بن حميد)

٥٣- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ـ علق عليه إبراهيم طفيش ط٢ مطبعة الشباب القاهرة ١٣٥٠ أشير إليه في البحث السالمي تحفة الأعيان.

❖- ابن سعد (أبو عبد الله محمد)

٥٤- الطبقات الكبرى ـ لجنة نشر الثقافة الإسلامية القاهرة ١٣٥٨ أشير إليه في البحث طبقات ابن سعد.

❖- سمهودي: (نور الدين علي بن أحمد)

٥٥- وفاء الوفا ـ دار أحياء التراث العربي ط٤، ١٩٨٤ أشير إليه في البحث سمهودي: وفاء الوفا.

❖- سهيلي (أبي القاسم بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي)

٥٦- الروض الأنف ـ مكتبة الكليات الأزهرية أشير إليه في البحث السهيلي: الروض الأنف.

❖- ابن سيدة (أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي)

٥٧- المخصص- المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر ١٣١٦ وطبعة المكتب التجاري بيروت أشير إليه في البحث ابن سيدة المخصص.

❖- ابن شبه (أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري)

٥٨ ـ تاريخ المدينة المنورة تحقيق فهيم محمد شلتوت ط٢ أشير إليه في البحث ابن شبه تاريخ المدينة.

❖- الضبي (المفضل بن محمد بن يعلي)

٥٩- المفضليات ـ مكتبة المثنى بغداد ـ مطبعة الأباء اليسوعيين بيروت ١٩٢٠ أشير إليه في البحث الضبي المفضليات.

❖- الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير)

٦٠- تاريخ الرسل والملوك ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف بمصر ط٤ أشير

إليه في البحث الطبري: تاريخ الرسل والملوك.

٦١- جامع البيان في تأويل آي القرآن

٦٢- تاريخ ملوك العرب والفرس مطبعة محمد مصر ١٣٣٧- ١٩١٩ أشير إليه في البحث الطبري: تاريخ ملوك العرب والفرس.

❖- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد)

٦٣- العقد الفريد ـ تحقيق مفيد محمد قمحية ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان اشير إليه في البحث ابن عبد ربه: العقد الفريد.

❖- ابن العبري (غريغوريوس أبي الفرج بن هارون الطبيب الملطي)

٦٤- تاريخ مختصر الدول ـ المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت ١٨٩٠ أشير إليه في البحث ابن العبري: تاريخ مختصر الدول.

❖- العسكري (أبي هلال)

٦٥- التلخيص تحقيق عزة حسن دمشق ١٩٧٠ أشير إليه في البحث العسكري التلخيص.

❖- الفاسي (أبي الطيب تقي الدين أحمد بن علي)

٦٦- شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام ــ تحقيق عمر عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي ط١ ١٩٨٥ أشير إليه في البحث الفاسي: شفاء الغرام.

٦٧- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ــ مطبعة السنة المحمدية ـ أشير إليه في البحث الفاسي: العقد الثمين.

❖- أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل)

٦٨-تقويم البلدان ـ دار الطباعة السلطانية باريس ١٨٤٠ أشير إليه في البحث أبو الفدا تقويم البلدان.

٦٩- المختصر في أخبار البشر مكتبة المتنبي ــ القاهرة أشير إليه في البحث أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر.

❖- الفيروز أبادي (مجد الدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب)

٧٠- المغانم المطابة في معالم طابة ـ تحقيق حمد الجاسر ١٩٦٩ أشير إليه في البحث الفيروز أبادي ـ المغانم المطابة.

❖- القرآن الكريم

٧١- بعض آيات القرآن الكريم

❖- القلقشندي (أبي العباس أحمد بن علي)

٧٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ـ وزارة الثقافة المؤسسة المصرية العامة أشير إليه في البحث القلقشندي: صبح الأعشى.

٧٣- قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان، حققه إبراهيم الأبياري ط١ ١٩٦٣. دار الكتب الحديثة ـ القاهرة أشير إليه في البحث القلقشندي: قلائد الجمان.

❖- ابن كثير (إسماعيل أبي الفدا)

٧٤- البداية والنهاية تحقيق علي شيري ـ دار إحياء التراث العربي ط١ ١٩٨٨ أشير إليه في البحث ابن كثير: البداية والنهاية.

❖- ابن الكلبي (هشام بن محمد بن السائب)

٧٥- الأصنام ـ تحقيق أحمد زكي ـ القاهرة ١٩٢٤ دار الكتب المصرية أشير إليه في البحث ابن الكلبي: الأصنام.

٧٦- أنساب الخيل تحقيق أحمد زكي باشا القاهرة ١٩٤٦، مطبعة دار الكتب المصرية أشير إليه في البحث ابن الكلبي أنساب الخيل.

٧٧- جمهرة النسب ـ دار اليقظة العربية أشير إليه في البحث ابن الكلبي جمهرة النسب.

❖- لغدة (الحسن بن عبد الله الأصفهاني)

٧٨- بلاد العرب- تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي ـ الرياض ١٩٦٨، أشير إليه في البحث لغدة بلاد العرب.

❖- أبي مخرمة (أبي محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد)

٧٩- تاريخ ثغر عدن مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندي والأهدل ـ مكتبة المثنى بغداد ١٩٣٦، مطبعة بريل أشير إليه في البحث أبي مخرمة ـ ثغر عدن.

❖- المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين بن علي)

٨٠- مروج الذهب- دار الأندلس ـ بيروت ط١ ١٩٨٤ أشير إليه في البحث المسعودي: مروج الذهب.

٨١- التنبيه والأشراف ـ ليدن ١٨٩٣ أشير إليه في البحث: المسعودي التنبيه والأشراف.

❖- المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد)

٨٢- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ ليدن ١٩٠٦ أشير إليه في البحث مقدسي: أحسن التقاسيم.

❖- المقدسي (المطهر بن طاهر)

٨٣- البدء والتاريخ ـ طبعة مصورة ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ١٩٠٣ أشير إليه في البحث مقدسي: البدء والتاريخ.

❖- ابن منظور (أبي الفضل جلال الدين محمد بن مكرم)

٨٤- لسان العرب ـ دار صادر ـ بيروت أشير في البحث ابن منظور لسان العرب.

❖- موسل (أ.)

٨٥- شمال الحجاز تعريب عبد المحسن الحسيني مؤسسة الثقافة الجامعية أشير إليه في البحث موسل شمال الحجاز.

❖- الميداني (أبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم)

٨٦- مجمع الأمثال ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد أشير إليه في البحث الميداني: مجمع الأمثال.

❖- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)

٨٧- نهاية الأرب في فنون الأدب ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة أشير إليه في البحث النويري: نهاية الأرب.

❖- الواقدي (محمد بن عمر)

٨٨- المغازي ـ تحقيق مارسدن جونز- مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان ـ أشير إليه في البحث مغازي الواقدي.

❖- وهب بن منبه

٨٩- التيجان في ملوك حمير ـ دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن ط١ ١٣٤٧ أشير إليه في البحث وهب بن منبه: التيجان.

❖- ابن هشام (ابو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري)

٩٠- السيرة النبوية ـ تحقيق مصطفى السقا وغيره أشير إليه في البحث ابن هشام: السيرة النبوية.

❖- الهمداني (ابن الفقيه)

٩١- مختصر كتاب البلدان ـ ليدن ١٨٨٥ أشير إليه في البحث الهمداني ـ مختصر البلدان.

❖- الهمداني (ابو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب)

٩٢- الإكليل في أخبار اليمن وأنساب حمير

ح١+ح٢ تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ـ مطبعة السنة الحميرية القاهرة ١٩٦٧.

ح٨ ـ تحقيق نبيه أمين فارس ـ دار العودة بيروت دار الكلمة صنعاء.

ح١٠- تحقيق محب الدين الخطيب ـ المطبعة السلفية القاهرة ١٣٦٨ أشير إليه في البحث الهمداني: الإكليل.

٩٣- صفة جزيرة العرب ـ تحقيق محمد بن علي الاكوع الحوالي دار اليمامة ـ الرياض ـ أشير إليه في البحث الهمداني: الصفة.

❖- يعقوب الثالث (اغناطيوس)

٩٤- الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية بطركية السريان دمشق ١٩٦٦ أشير إليه في البحث: الشهداء الحميريون.

❖- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح)

٩٥- تاريخ اليعقوبي ـ دار صادر ـ بيروت أشير إليه في البحث تاريخ اليعقوبي.

* * * * * * *

بعض المراجع العربية والمعربة

❖- أرياني (مطهر)

١- نقوش مسندية ـ مركز الدراسات والبحوث اليمني ط٢، ١٩٩٠ أشير إليه في البحث: أرياني: نقوش مسندية.

❖- الأعظمي (علي ظريف)

٢- تاريخ الدول الفارسية في العراق ـ مطبعة الفرات ـ بغداد ١٩٢٧ أشير إليه في البحث الأعظمي: الدول الفارسة في العراق.

❖- الأفغاني (سعيد)

٣- أسوا ق العرب في الجاهلية والإسلام ـ دار الفكر ط٣، ١٩٧٤ أشير إليه في البحث أفغاني: أسواق.

❖- الألوسي (محمود شكري)

٤- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ـ صححه محمد بهجة الأثري دار الشرق العربي ـ بيروت لبنان أشير إليه في البحث الألوسي: بلوغ الأرب.

❖- امين (احمد)

٥- فجر الإسلام ـ مكتبة النهضة المصرية ط٩، ١٩٦٤ ـ أشير إليه في البحث أمين فجر الإسلام.

❖- باشميل (محمد احمد)

٦- العرب في الشام قبل الإسلام ـ دار الفكر ط٢، ١٩٨٧، أشير إليه في البحث باشميل: العرب في الشام قبل الإسلام.

❖- بافقيه (محمد عبد القادر)

٧- تاريخ اليمن القديم ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٣ أشير إليه في البحث بافقيه تاريخ اليمن القديم.

❖- برو (توفيق)

٨- تاريخ العرب القديم - دار الفكر ط١ ١٩٨٤ أشير إليه في البحث برو: تاريخ العرب القديم.

❖- بروكلمان (كارل)

٩- تاريخ الشعوب الإسلامية ـ ترجمة نبيه أمين فارس- منير البعلبكي دار العلم للملايين ـ بيروت ط٣ ١٩٦٠ أشير إليه في البحث بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الإسلامية.

❖- بلاشير (د.ر)

١٠- تاريخ الأدب العربي ـ ترجمة إبراهيم الكيلاني ـ دار الفكر ط٢ دمشق ١٩٨٤، أشير إليه في البحث بلاشير تاريخ الأدب العربي.

❖- بليايف (ي.م)

١١- العرب والإسلام والخلافة العربية في القرون الوسطى ترجمة أنيس فريحة ـ الدار المتحدة للنشر ـ بيروت ١٩٧٣ أشير إليه في البحث بليايف: العرب والإسلام.

❖- بيضون (إبراهيم)

١٢- الحجاز والدولة الإسلامية ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان ط١، ١٩٨٣ أشير إليه في البحث بيضون: الحجاز.

❖- بيغولفسكيا (ن.ف)

١٣- العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع حتى السادس الميلادي ترجمة صلاح الدين عثمان الكويت ١٩٨٥ المجلس الوطني للثقافة يختصر إلى بيغوليفسكيا ـ العرب على حدود بيزنطة وإيران.

❖- بينز (نورمان)

١٤- الإمبراطورية البيزنطية ـ تعريب حسين مؤنس ـ محمود يوسف زايد ط٢، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧ أشير إليه في البحث- بينز: الإمبراطورية البيزنطية.

❖- بيوتروفسكي (م.ن)

١٥- اليمن قبل الإسلام تعريب محمد الشعيبي ـ دار العودة ط١، ١٩٨٧ بيروت أشير إليه في البحث بيوتروفسكي: اليمن قبل الإسلام.

❖- ترسيسي (عدنان)

١٦- اليمن وحضارة العرب- منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت أشير إليه في البحث ترسيسي: اليمن وحضارة العرب.

❖- توني (يوسف)

١٧- معجم المصطلحات الجغرافية ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٦٤ أشير إليه في البحث: توني: معجم المصطلحات الجغرافية.

❖- جاد المولى (محمد أحمد)

١٨- أيام العرب في الجاهلية ـ دار إحياء التراث العربي- أشير إليه في البحث جاد المولى أيام العرب.

❖- الجارم (محمد نعمان)

١٩- أديان العرب في الجاهلية ـ مطبعة السعادة بمصر ط١، ١٩٢٣ وأشير إليه في البحث الجارم ـ أديان العرب.

❖- جانار (أولندر)

٢٠- ملوك كندة من بني آكل المرار ـ ترجمة عبد الجبار المطلبي المكتبة الوطنية بغداد ـ ١٩٧٣، أشير إليه في البحث جانار: ملوك كندة.

❖- جمعة (محمد محمود)

٢١-النظم الاجتماعية والسياسة عند قدماء العرب، والأمم السامية مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٩٤٩ أشير إليه في البحث جمعة النظم الاجتماعية.

❖- جميلي (رشيد)

٢٢- محاضرات في تاريخ العرب ط١، ١٩٧٢ بيروت لبنان ـ أشير إليه في البحث جميلي: محاضرات.

❖- جيورجيو (كونستانس)

٢٣- نظرة جديدة في سيرة الرسول ـ تعريب محمد التونجي ـ ط١، الدار العربية للموسوعات ـ بيروت ١٩٨٨ أشير إليه في البحث جيورجيو نظرة جديدة في سيرة الرسول

❖- حاطوم (نور الدين)

٢٤- المدخل إلى التاريخ ـ دمشق ١٩٦٤- أشير إليه في البحث: حاطوم: المدخل إلى التاريخ.

❖- حتي (فيليب)

٢٥- تاريخ العرب- دار غندور ط٧ ١٩٨٦ أشير إليه في البحث: حتي: تاريخ العرب.

٢٦- تاريخ العرب المطول ـ دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ١٩٤٩ ـ أشير إليه في البحث حتي: تاريخ العرب المطول

❖- حديثي (نزار عبد اللطيف)

٢٧- أهل اليمن في صدر الإسلام ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، أشير إليه في البحث حديثي: أهل اليمن.

❖- حسن (إبراهيم حسن)

٢٨- النظم الإسلامية ط١ مكتبة النهضة المصرية ١٩٣٩ ـ أشير إليه في البحث حسن النظم الإسلامية

٢٩- تاريخ الإسلام السياسي ـ مكتبة النهضة المصرية ط٦، ١٩٦١ ـ أشير إليه في البحث حسن: تاريخ الإسلام السياسي.

❖- حسن (علي إبراهيم)

٣٠- التاريخ الإسلامي العام ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٧٢ أشير إليه في البحث علي حسن التاريخ الإسلامي.

❖- حسني (عبد الرزاق)

٣١- الصابئون ـ مطبعة العرفان ـ صيدا- بيروت ١٩٧٠، أشير إليه في البحث حسني الصابئون.

❖- حمور (عرفان)

٣٢- أسواق العرب، عرض أدبي تاريخي للأسواق الموسمية العامة عند العرب ـ دار الشورى ـ بيروت أشير إليه في البحث حمور أسواق.

❖- حوراني (جورج فضلو)

٣٣- العرب والملاحة في المحيط الهندي ـ ترجمة يعقوب بكر مطابع دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٥٨ أشير إليه في البحث حوراني: العرب والملاحة.

❖- حوفي (أحمد)

٣٤- تيارات ثقافية بين العرب والفرس ـ دار النهضة للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٨ أشير إليه في البحث حوفي تيارات ثقافية.

٣٥- الحياة العربية ـ دار القلم بيروت ط٤ ١٩٦٢ أشير إليه في البحث حوفي: الحياة العربية.

❖- الحيدر أبادي (محمد حميد الله)

٣٦- مجموعة الوثائق السياسية ـ القاهرة ١٩٤١ أشير إليه في البحث الحيدر أبادي مجموعة الوثائق السياسية.

❖- الحيمي (الحسن بن أحمد)

٣٧- سيرة الحبشة ومقدمته للدكتور مراد كامل القاهرة ١٩٥٨ أشير إليه في البحث الحيمي ـ سيرة الحبشة.

❖- خان (محمد عبد المعين)

٣٨- الأساطير والخرافات عند العرب ـ دار الحداثة ط٢، ١٩٨١ بيروت ـ لبنان أشير إليه في البحث خان الأساطير والخرافات.

❖- خاني (علاء الدين)

٣٩- محاضرات في تاريخ العرب والإسلام ـ الجامعة السورية ـ كلية الآداب أشير إليه في البحث: خاني: محاضرات.

❖- خربوطلي (شكران)

٤٠- الحياة الاجتماعية في الحجاز قبيل ظهور الإسلام القرن السادس- مكتبة الدراسات الطلابية ١٩٩٠ ـ رسالة ماجستير غير منشورة أشير إليه في البحث خربوطلي الحياة الاجتماعية.

❖- خشاب (يحيى)

٤١- التقاء الحضارتين العربية والفارسية ـ معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٩-١٩٧٠ أشير إليه في البحث خشاب ـ التقاء الحضارتين.

❖- الخضري (محمد بك)

٤٢- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ط٣ مصر، المكتبة التجارية أشير إليه في البحث:الخضري محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية.

❖- خليف (يوسف)

٤٣- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ـ دار المعارف بمصر ١٩٥٩ أشير إليه في البحث خليف: الشعراء الصعاليك.

❖- خليل (أحمد خليل)

٤٤- مضمون الأسطورة في الفكر العربي دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٣ أشير إليه في البحث خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي.

❖- دائرة المعارف الإسلامية

٤٥- ترجمة أحمد الشنتاوي ـ إبراهيم زكي ـ خور شيد عبد الحميد يونس مراجعة محمد مهدي علام ١٩٣٣ أشير إليه في البحث دائرة المعارف الإسلامية.

❖- داوود (جرجس)

٤٦- أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي ـ ط١، ١٩٨١ المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع أشير إليه في البحث جرجس: أديان.

❖- الدبس (الياس)

٤٧- تاريخ سورية ـ بيروت ١٨٩٩ أشير إليه في البحث: الدبس: تاريخ سورية

❖- دراسات تاريخية

٤٨- العدد ١١ جامعة دمشق ١٩٨٣ "الردافة" صالح درادكة ـ أشير إليه في البحث دراسات تاريخية.

٤٩- العدد ١٥-١٦ جامعة دمشق ١٩٨٤ "لمحات من تاريخ آيلة " صالح درادكة، أشير إليه في البحث: دراسات تاريخية

❖- دارسات في تاريخ الجزيرة العربية

٥٠- مصادر تاريخ الجزيرة العربية ـ مطابع جامعة الرياض ١٩٧٩ الجزء الأول أشير إليه في البحث دراسات في تاريخ الجزيرة العربية.

٥١- مصادر تاريخ الجزيرة العربية ـ مطابع جامعة الملك سعود ١٩٨٤ أشير إليه في البحث دراسات في تاريخ الجزيرة العربية.

❖- دراود (الليدي)

٥٢- الصابئة المندائيون ـ ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي ـ مكتبة خياط ـ بيروت ١٩٦٤، أشير إليه في البحث دراود: الصابئة المندائيون.

❖- دروزة (محمد عزة)

٥٣- عصر النبي وبيئته قبل البعثة ط٢، دار اليقظة العربية بيروت ١٩٦٤ أشير إليه في البحث دروزة عصر النبي.

❖- دلو (برهان)

٥٥-جزيرة العرب قبل الإسلام الفارابي ١٩٨٩ أشير إليه في البحث دلو:جزيرة العرب.

❖- دوري (عبد العزيز)

٥٦- مقدمة في التاريخ الاقتصادي بيروت ١٩٦٩ أشير إليه في البحث دوري مقدمة في التاريخ الاقتصادي.

٥٧- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٠ أشير إليه في البحث دوري بحث في نشأة علم التاريخ

❖- ديسو (رينيه)

٥٨- العرب في سورية قبل الإسلام ـ ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد مصطفى زيادة دار الحداثة ط٢، ١٩٨٥ أشير إليه في البحث ديسو العرب في سورية.

❖- رستم (أسد)

٥٩- الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب دار المكشوف بيروت ١٩٥٦ أشير إليه في البحث رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم.

❖- رفاعي (أنور)

٦٠- الإسلام في حضارته ونظمه ١٩٧٣ أشير إليه في البحث رفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه.

❖- زيدان (جرجي)

٦١- العرب قبل الإسلام ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان ـ أشير إليه في البحث زيدان العرب قبل الإسلام.

❖- ساكا (اسحق)

٦٢- السريان إيمان وحضارة ـ مطرانية السريان الأرثوذكس ـ حلب ١٩٨٣ أشير إليه في البحث ساكا: السريان إيمان وحضارة

❖- سالم (عبد العزيز)

٦٣- دراسات في تاريخ العرب ـ عصر ما قبل الإسلام- دار المعارف بمصر أشير إليه في البحث سالم: دراسات في تاريخ العرب.

٦٤- تاريخ العرب في عصر الجاهلية ـ دار النهضة العربية ١٩٧١ أشير إليه في البحث سالم: تاريخ العرب.

❖- سرور (محمد جمال الدين)

٦٥- قيام الدولة العربية الإسلامية ط١- دار الفكر العربي مطبعة الاعتماد بمصر ـ يختصر إلى سرور- قيام الدولة العربية.

٦٦- تاريخ الإسلام السياسي مصر مطبعة عيسى البابي الحلبي أشير إليه في البحث سررو سعيد تاريخ الإسلام السياسي

❖- سلام (شافعي محمود سلام)

٦٧- النشاط التجاري في خيبر ـ منشأة المعارف بالإسكندرية أشير إليه في البحث سلام النشاط التجاري في خيبر.

❖- سوسة (أحمد)

٦٨- العرب واليهود في التاريخ دمشق العربي للإعلان ط١ ، أشير إليه في البحث: سوسة: العرب واليهود.

❖- الشاعر (محمد فتحي)

٧٠- السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩ أشير إليه في البحث الشاعر السياسة الشرقية

❖- شريف (أحمد إبراهيم)

٧١- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول دار الفكر العربي مطبعة مخيمر أشير إليه في البحث: شريف: مكة والمدينة.

❖- الشطي (أحمد شوكت)

٧٢- مجموعة أبحاث في الحضارة العربية الإسلامية جامعة دمشق ١٩٦٣ أشير إليه في البحث شطي ـ مجموعة أبحاث

❖- شكري (محمد سعيد)

٧٣- الأوضاع القبلية في اليمن مكتبة الدراسات الطلابية ١٩٨٦ رسالة ماجستير غير منشورة

أشير إليه في البحث شكري: الأوضاع القبلية.

❖- الشلبي (أحمد)

٧٤- التاريخ الإسلامي مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة القاهرة ١٩٦٦ أشير إليه في البحث: شلبي التاريخ الإسلامي

❖- شهاب (حسن صالح)

٧٥- فن الملاحة عند العرب مركز البحوث صنعاء دار العودة بيروت ط١ ١٩٨٢ أشير إليه في البحث شهاب: فن الملاحة

❖- شيخو (لويس)

٧٦- النصرانية وآدابها ـ مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩١٢ أشير إليه في البحث: شيخو: النصرانية وآدابها.

٧٧- الديورة في مملكتي الفرس والعرب ـ مطبعة الآباء اليسوعيين أشير إليه في البحث شيخو: الديورة في مملكتي الفرس والعرب

❖- ضرار(ضرار صالح)

٧٨- العرب من معين إلى الأمويين ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت أشير إليه في البحث ضرار: العرب من معين إلى الأمويين

❖- ضيف (شوقي)

٧٩- العصر الجاهلي ـ دار المعارف مصر أشير إليه في البحث ضيف: العصر الجاهلي

❖- طلس (محمد أسعد)

٨٠- تاريخ العرب- دار الأندلس ط٢ ١٩٧٩ أشير إليه في البحث طلس: تاريخ العرب

❖- عاقل (نبيه)

٨١- دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية جامعة دمشق ١٩٦٧ أشير إليه في البحث عاقل: دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية.

٨٢- تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي جامعة دمشق ١٩٨٠ أشير إليه في البحث عاقل تاريخ العرب.

❖- عابدين (عبد المجيد)

٨٣- بين الحبشة والعرب دار الفكر العربي أشير إليه في البحث عابدين بين الحبشة والعرب.

❖- عبد الحميد (سعد زغلول)

٨٤- تاريخ العرب قبل الإسلام دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٦ أشير إليه في البحث سعد: تاريخ العرب قبل الإسلام.

❖- عثمان (فتحي)

٨٥- الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري الدار القومية للطباعة والنشر أشير إليه في البحث عثمان: الحدود الإسلامية.

❖- العزيز (حسين قاسم)

٨٦- موجز تاريخ العرب والإسلام منشورات مكتبة النهضة بيروت بغداد ١٩٧١ مطابع دار العلم للملايين أشير إليه في البحث العزيز: موجز تاريخ العرب والإسلام.

❖- عقيلي (محمد رشيد)

٨٧- اليهود في شبه جزيرة العرب ط١ عمان ١٩٨٠ أشير إليه في البحث عقيلي: اليهود في شبه جزيرة العرب.

❖- عوض الله (أحمد أبو الفضل)

٨٨- مكة في عصر ما قبل الإسلام ط٢، ١٩٨١ ومطبوعات دار الملك عبد العزيز أشير إليه في البحث عوض الله مكة في عصر ما قبل الإسلام.

❖- عليان (رشدي) وغيره

٨٩- الأديان دراسة تاريخية مقارنة وزارة التعليم العالي جامعة بغداد ط١ ١٩٧٦ أشير إليه في البحث: عليان: الأديان.

❖- علي (جواد)

٩٠- تاريخ العرب قبل الإسلام ـ مطبعة التفيض ١٣٧٩ ومطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٥ أشير إليه في البحث جواد: تاريخ العرب.

٩١- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام- دار العلم للملايين بيروت مكتبة النهضة بغداد ١٩٧٦ أشير إليه في البحث جواد: المفصل.

❖- العلي (صالح احمد)

٩٢- محاضرات في تاريخ العرب ط٣ مطبعة الإرشاد بغداد ١٩٦٤ أشير إليه في البحث العلي: محاضرات.

❖- غنيم (عبد الله يوسف)

٩٣- أقاليم جزيرة العرب الكويت ١٩٨١ م أشير إليه في البحث غنيم: أقاليم.

❖- فخري (احمد)

٩٤- اليمن ماضيها وحاضرها جامعة الدول العربية ١٩٥٧ أشير إليه في البحث فخري اليمن ماضيها وحاضرها.

❖- فرح (نعيم)

٩٥- تاريخ بيزنطة مطبعة طربين دمشق ١٩٧٨ أشير إليه في البحث فرح: تاريخ بيزنطة

❖- فروخ (عمر)

٩٦- تاريخ الجاهلية دار العلم للملايين بيروت ط٢ ١٩٨٤ أشير إليه في البحث فروخ: تاريخ الجاهلية

٧٩- العرب في حضارتهم وثقافتهم دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٦ أشير إليه في البحث فروخ: العرب في حضارتهم

٩٨- تاريخ الأدب العربي دار العلم للملايين بيروت ط١ ١٩٦٥ أشير إليه في البحث فروخ تاريخ الأدب العربي.

❖- قاسمية (خيرية) وعبده علي إبراهيم

٩٩- يهود البلاد العربية مركز الأبحاث الفلسطيني بيروت ١٩٧١ أشير إليه في البحث: قاسمية: يهود البلاد العربية.

❖- القيس (نوري)

١٠٠- الطبيعة في الشعر الجاهلي مطبعة دار الإرشاد بيروت ١٩٧٠ أشير إليه في البحث قيس: الطبيعة في الشعر الجاهلي.

❖- كامل (مراد) ومحمد حمدي وزاكية محمد رشدي

١٠١- تاريخ الأدب السرياني ـ دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ١٩٨٧ أشير إليه في البحث كامل وغيره: تاريخ الأدب السرياني.

❖- كحالة (عمر رضا)

١٠٢ ـ العرب قبل الإسلام ـ مطبعة الهاشمية دمشق ط٢، ١٩٥٨ أشير إليه في البحث كحالة: العرب قبل الإسلام.

١٠٣ ـ معجم قبائل العرب ـ المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٤٩ أشير إليه في البحث كحالة: معجم قبائل العرب.

❖- كريستنسن (ارثر)

١٠٤- إيران في عهد الساسانيين ـ ترجمة يحيى الخشاب- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر دمشق ١٩٥٧ أشير إليه في البحث كريستنسن إيران في عهد الساسانيين.

❖- كستر (م.ح)

١٠٥- الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ترجمة يحيى الجبوري جامعة بغداد ١٩٧٦ أشير إليه في البحث كستر الحيرة ومكة.

❖- كلود كاهن

١٠٦- تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ترجمة بدر الدين القاسم دار الحقيقة للطباعة والنشر ط١ ١٩٧٢ أشير إليه في البحث كاهن:تاريخ والعرب والشعوب الإسلامية

❖- كوبيشانوف (ب.م)

١٠٧- الشمال الشرقي الأفريقي ترجمة صلاح هاشم عما ن ١٩٨٨ أشير إليه في البحث كوبيشانوف: الشمال الشرقي الأفريقي

❖- لاندو (روم)

الإسلام والعرب تعريب منير البعلبكي دار العلم للملايين بيروت ط١ ١٩٦٢ أشير إليه في البحث لاندو الإسلام والعرب.

❖- لوبون (غوستاف)

١٠٩- حضارة العرب- ترجمة عادل زعيتر مطبعة الحلبي ١٩٦٩ أشير إليه في البحث لوبون: حضارة العرب.

❖- مروة (حسن)

١١٠- النزعات المادية ـ دار الفارابي بيروت ١٩٧٨ أشير إليه في البحث ـ مروة النزعات المادية

❖- المشرق

١١١- السنة ٣٤ كانون الثاني آذار ١٩٣٦ أشير إليه في البحث: المشرق

❖- مصطفى (شاكر)

١١٢- التاريخ العربي والمؤرخون ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ط٣ ١٩٨٣ أشير إليه في البحث شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون

❖- مقدادي (درويش)

١١٣- تاريخ الأمة العربية ـ مطبعة الحكومة بغداد ١٩٣٩ أشير إليه في البحث مقدادي: تاريخ الأمة العربية

❖- موسكاتي (سبتينو)

١١٤- الحضارات السامية القديمة ترجمة يعقوب بكر دار الرقي بيروت ١٩٨٦ أشر إليه في البحث موسكاتي الحضارات السامية القديمة.

❖- نافع (محمد مبروك)

١١٥- عصر ما قبل الإسلام ط٢ مطبعة السعادة مصر ١٩٥٢ أشير إليه في البحث نافع: عصر ما قبل الإسلام

❖- الندوي (محمد إسماعيل)

١١٦- تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية ط١ دار الفتح للطباعة والنشر بيروت أشير إليه في البحث الندوي: تاريخ الصلات

❖- النص (إحسان)

١١٧- اختيارات من كتاب الأغاني العصر الجاهلي مؤسسة الرسالة بيروت ط١ ١٩٧٨ أشير إليه في البحث النص: اختيارات من كتاب الأغاني.

❖- نولدكه (ثيودور)

١١٨- أمراء غسان ـ ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٣٣ أشير إليه في البحث نولدكه أمراء غسان

❖- نيكتيا (ايليسيف)

١١٩ ـ الشرق الإسلامي في العصر الوسيط ترجمة منصور أبو الحسان مؤسسة دار الكتاب الحديث بيروت لبنان أشير إليه في البحث نيكتيا: الشرق الإسلامي

❖- نيلسن ـ ديتلف)

١٢٠- التاريخ العربي القديم ترجمة فؤاد حسنين مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ أشير إليه في البحث نيلسن: التاريخ العربي القديم

❖- وافي (علي عبد الواحد)

١٢١- الأسرة والمجتمع دار إحياء الكتب العربية ط٢ ١٩٤٨ أشير إليه في البحث وافي: الأسرة والمجتمع

❖- ولفنسون (إسرائيل)

١٢٢- تاريخ اليهود في بلاد العرب القاهرة ١٩٢٧ أشير إليه في البحث ولفنسون: تاريخ اليهود

❖- وهبة (حافظ)

١٢٣- جزيرة العرب في القرن العشرين مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٧ اشير إليه في البحث وهبة جزيرة العرب.

❖- هبو (احمد رحيم)

١٢٤- تاريخ العرب قبل الإسلام ١٩٧٩ ـ١٩٨٠ أشير إليه في البحث هبو: تاريخ العرب قبل الإسلام.

❖- هل (ي)

١٢٥- الحضارة العربية ترجمة إبراهيم أحمد العدوي وحسين مؤنس مكتبة الانجلو المصرية أشير إليه في البحث هل: الحضارة العربية

❖- يحيى (لطفي عبد الوهاب)

١٢٦- العرب في العصور القديمة دار النهضة العربية ـ بيروت ط٢ ١٩٧٩ أشير إليه في البحث يحي: العرب في العصور القديمة.

❖- يونس (محسن)

١٢٧- كندة في الإسلام حتى نهاية العصر الأموي كلية الآداب بجامعة دمشق ١٩٨٥ رسالة ماجستير غير منشورة أشير إليه في البحث يونس: كندة.

بعض المراجع الأجنبية

١. BURY,(JB), HISTORY OF THEIATER ROMAN EMPIRE LONDON ١٩٢٣

٢. GRAETEZ ; THE HISTORY OF THE JEWS

٣. MOCATI (SADATINO) HISTOIRE ET CIVIiISATION DES PEUPLES SEMITIQUES, PARIS, ١٩٥٤.

٤. O'LEARY, (DELACY), ARABIA BEFORE MUHAMMAD, LONDON, ١٩٢٧.

٥. PIGULEVSKIA (N.V.) VIZANTIA NA PUTIAKN, L, ١٩٥١.

٦. RICHARD, (BELL), THE ORIGIN OF ISLAM IN ITS CHRISTIAN ENVIRONMENT, LONDON, ١٩٢٠.

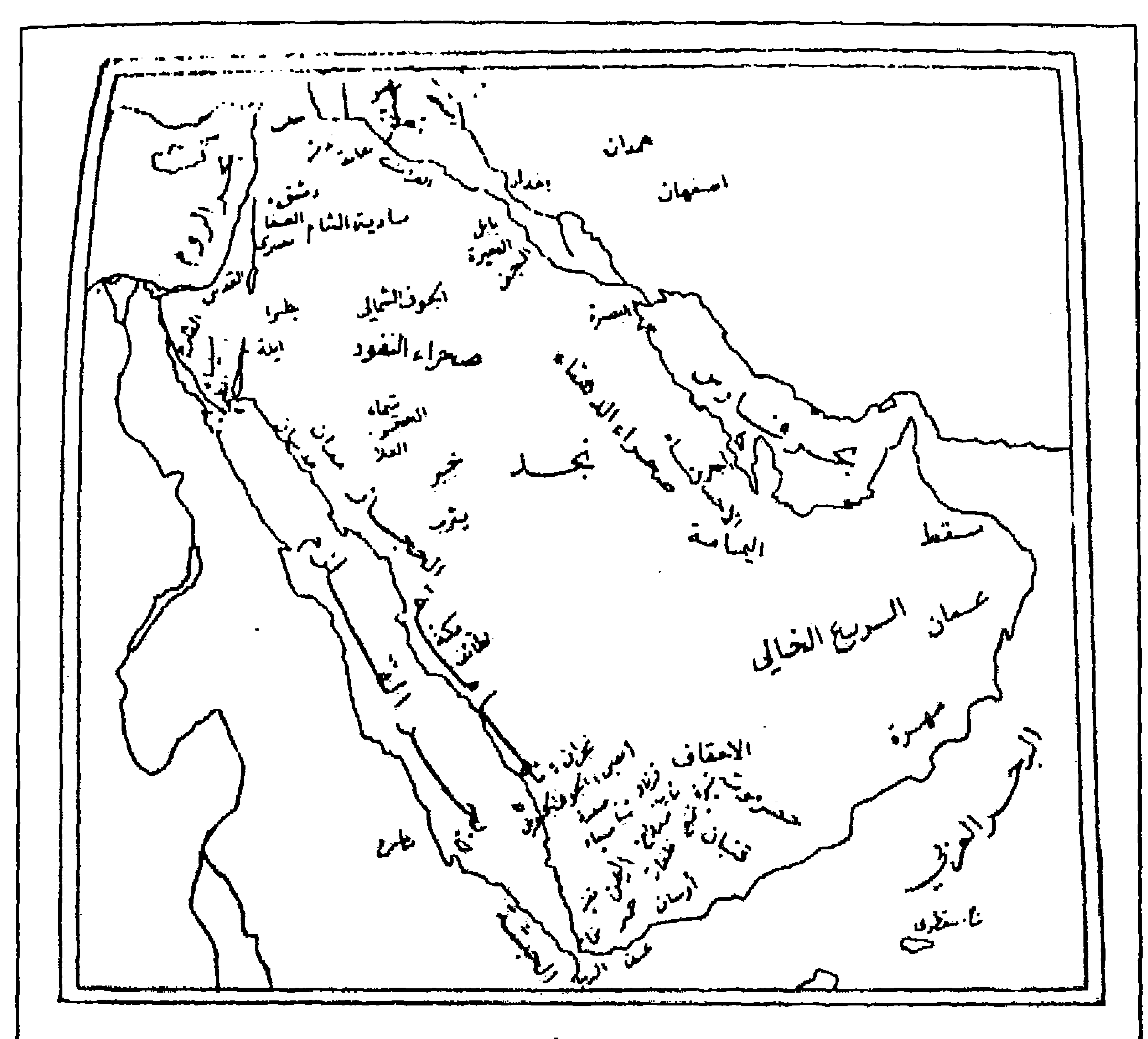
٧. RUNCIMAN: BYZANTINE CIVILISATION. LONDON, ١٩٥٩.

٨. فرعون ـ محمود السياسة الساسانية في شبه الجزيرة العربية من القرن الثالث حتى السابع الميلادي الروحة دكتوراه باللغة الروسية غير منشورة بإشراف ميخائيل بتروفسكي وآيل يكاليسنيكوف ليننغراد ١٩٩٠-



جغرافية جزيرة العرب

مصور رقم (١)



جزيرة العرب ـ الأقاليم والبلاد

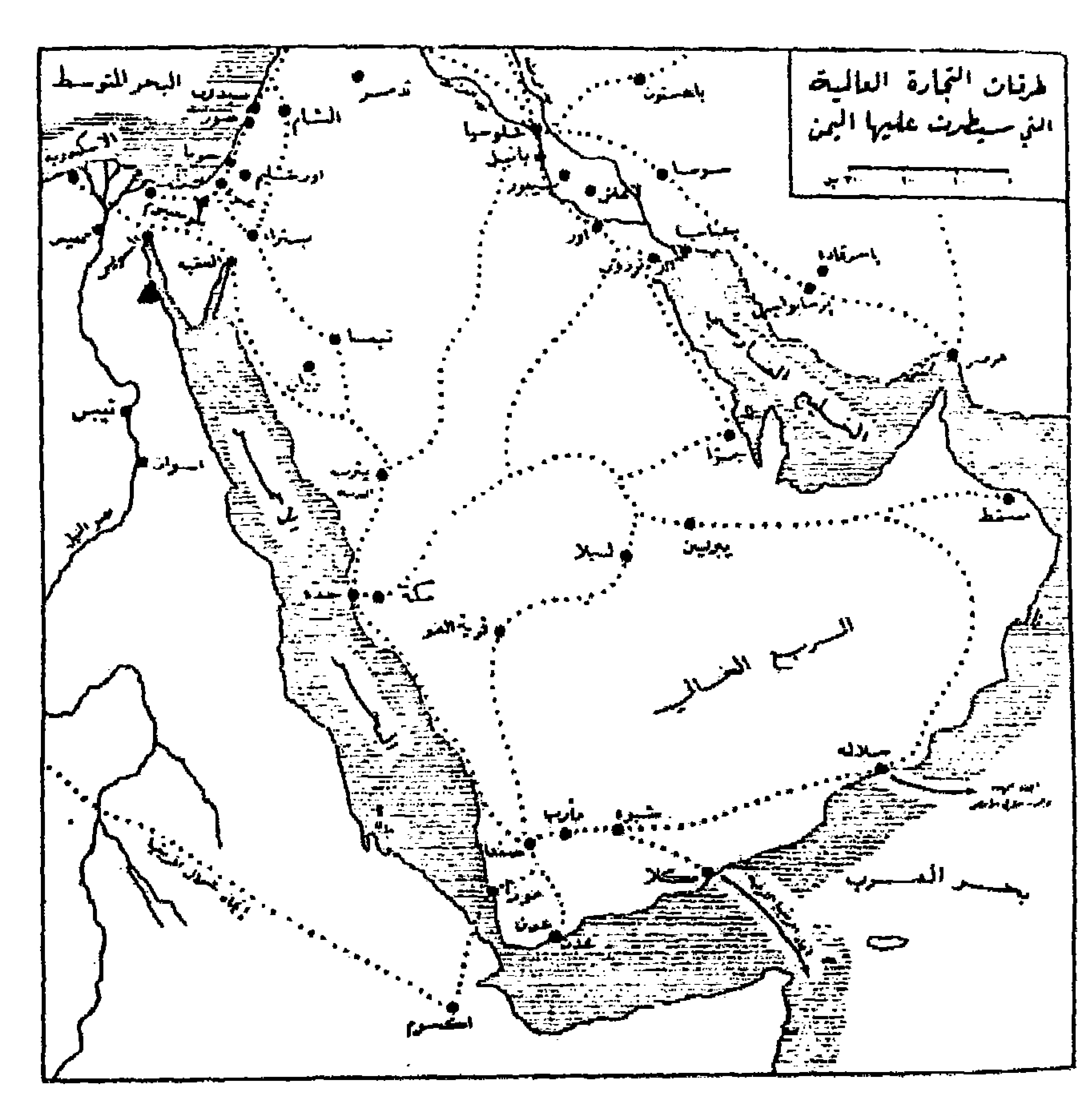
عن سعد زغلول: تاريخ العرب قبل الإسلام

مصور رقم (٢)



عن علي ابراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام

مصور رقم (٣)

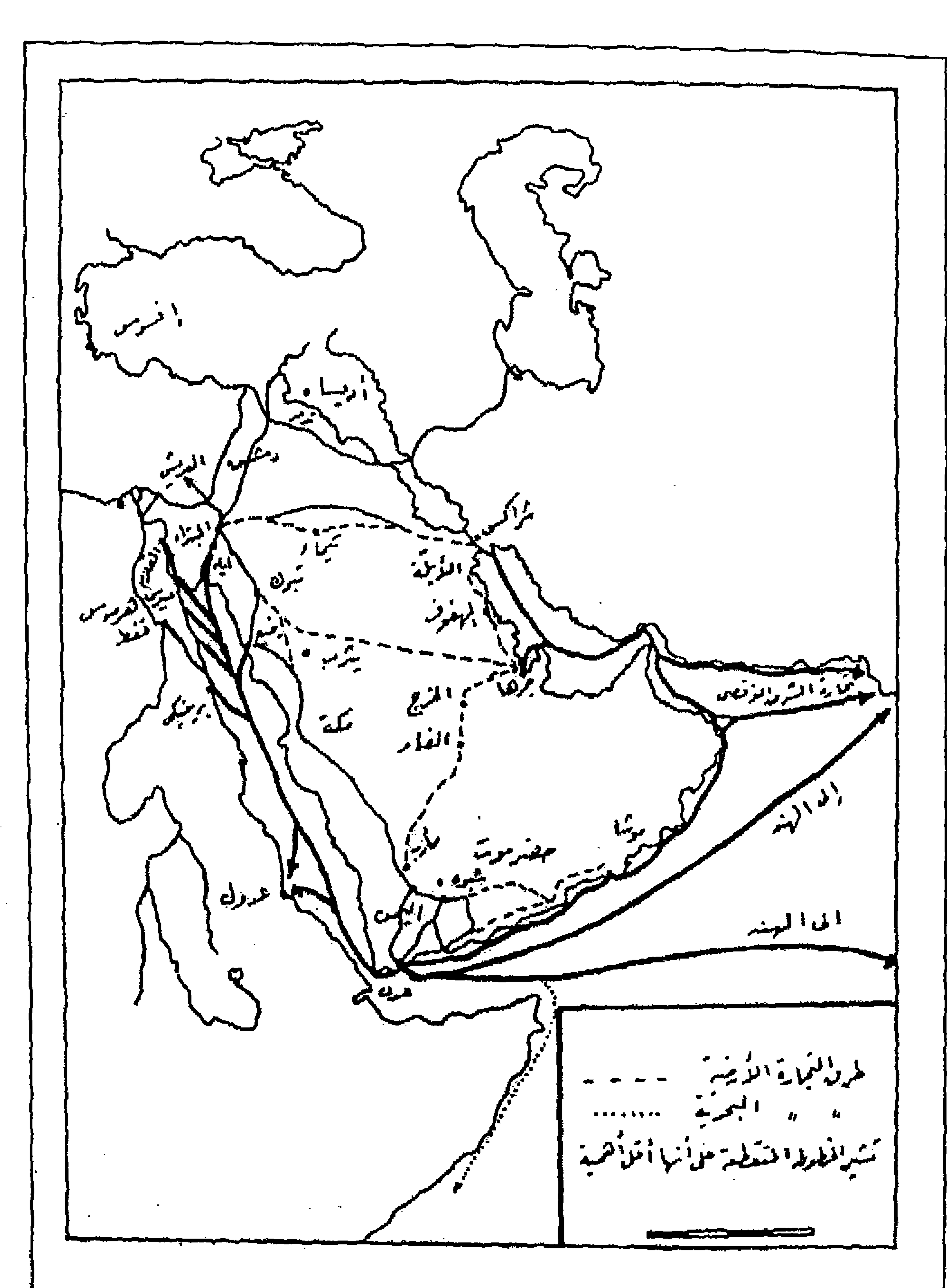


عرف اليمني كيف يحافظ على أسرار تجارته ويسيطر على

طرقاتها وتنظيم أمورها

عن ترسيسي اليمن وحضارة العرب ص٣٩

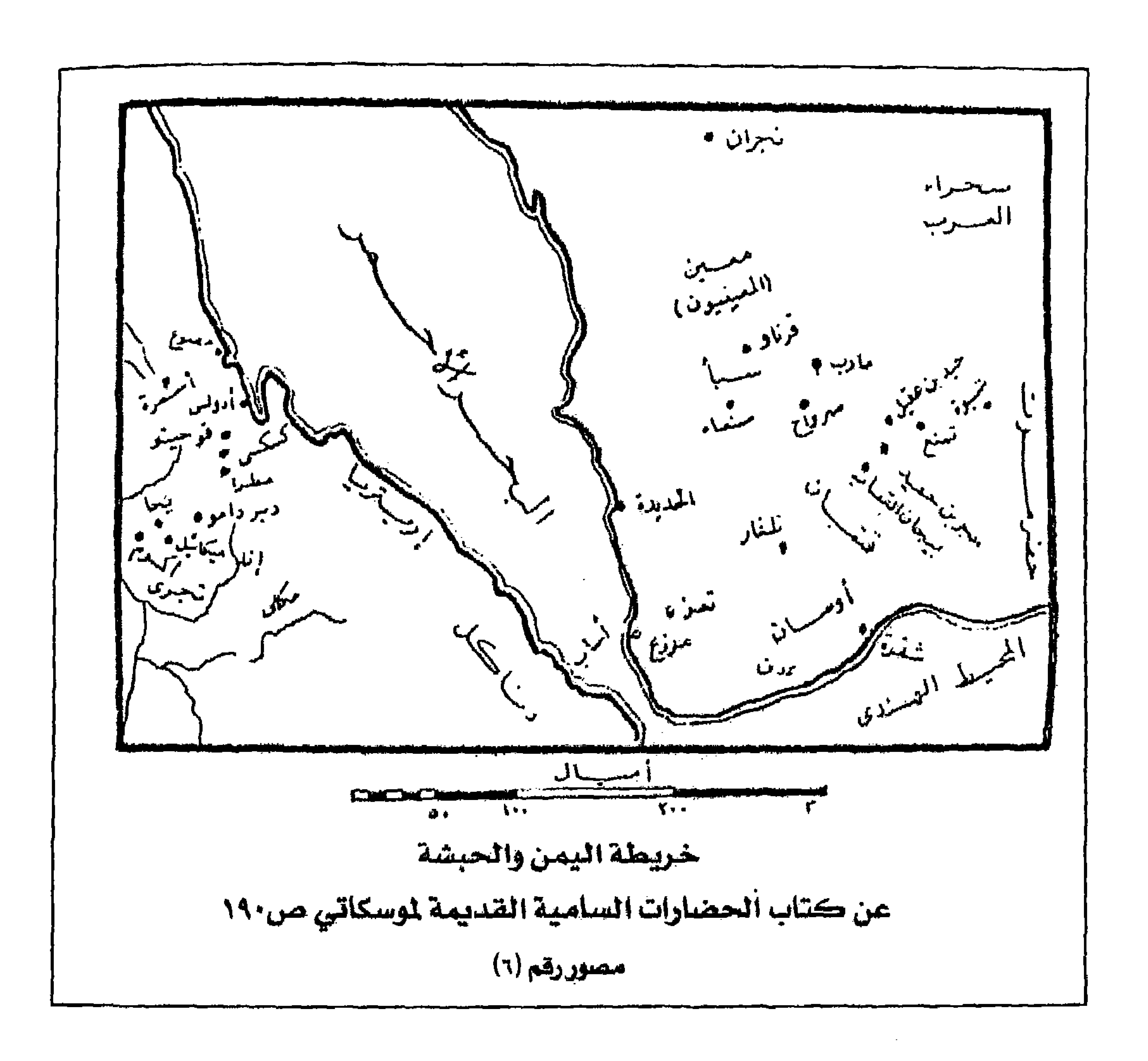
مصور رقم (٤)



الطرق التجارية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

عن دراسات تاريخ الجزيرة العربية ج٢ ص١٩٢

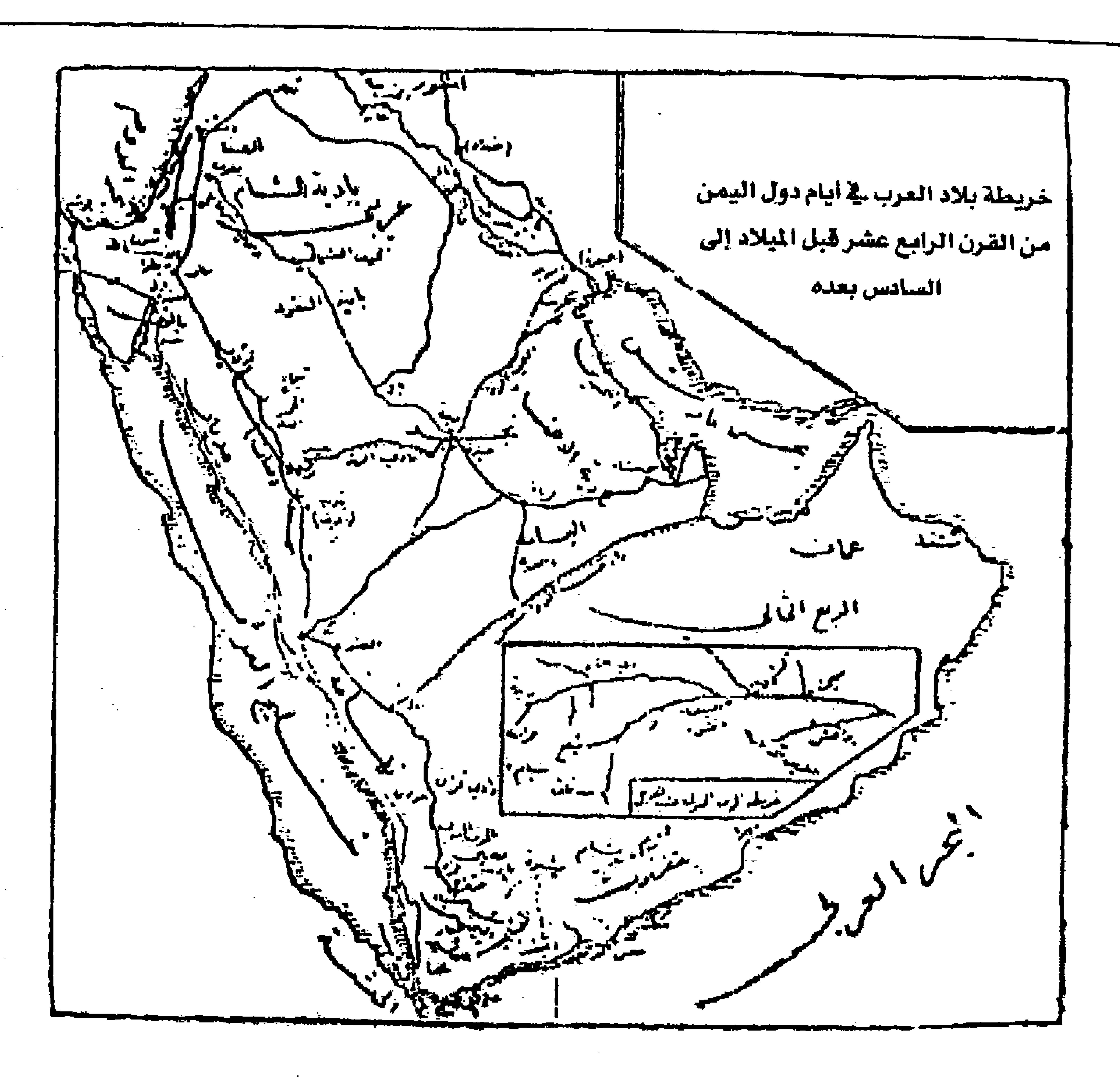
مصور رقم (٥)



خريطة اليمن والحبشة

عن كتاب الحضارات السامية القديمة لموسكاتي ص١٩٠

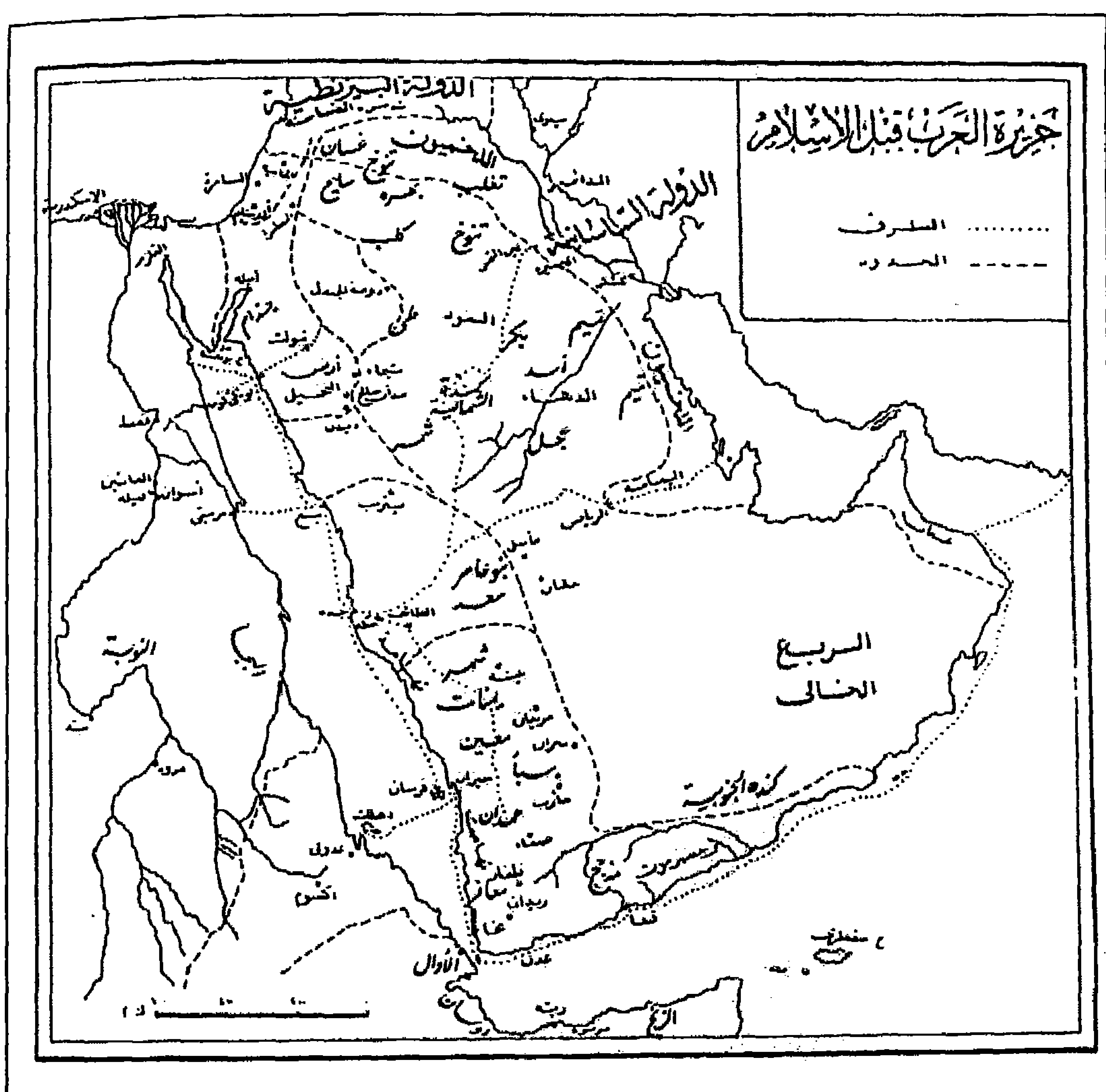
مصور رقم (٦)



بلاد العرب في أيام دول اليمن من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى السادس بعده

عن الأصمعي "العرب وأطوارهم" ث

مصور رقم (٧)



عن بيغولسفسكيا العرب على حدود بيزنطة وإيران ص٣٣٩

مصور رقم (٨)

١- نسخة الرقيم

٢- قالب الرقيم

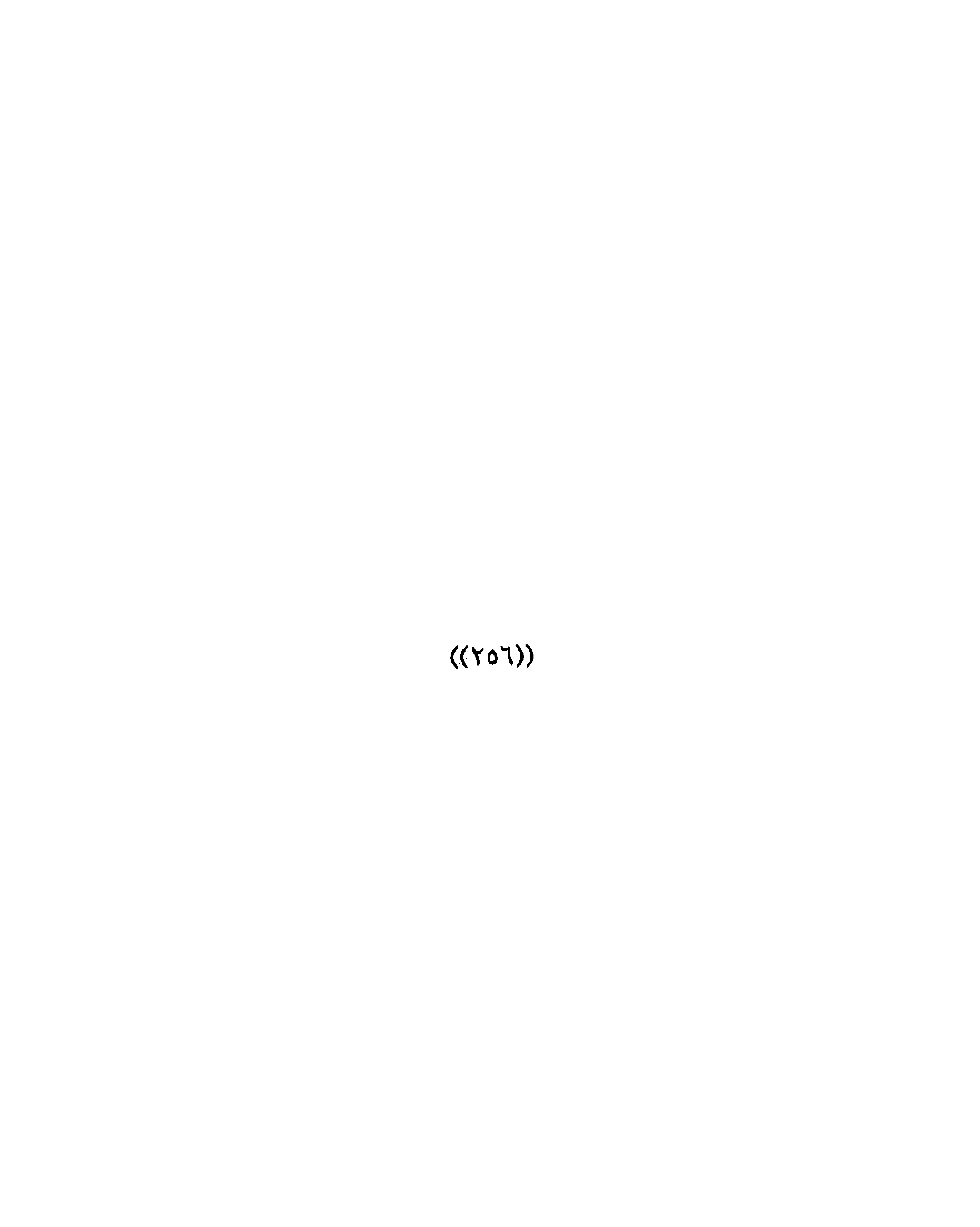
(١) تى نفس امرء القيس بر عمرو ملك العرب كلّه ذو أسر التاج (٢)
وملك الأسدين ونزارو وملوكهم وهرّب مذحج عكدى وجاء (3) بزجاى
فى حبج نجران مدينت شمّر وملك معدّو وبيّن بنيه (4) الشعوب
ووكّلهن فارسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه (5) عكدى هلك سنت ٢٢٣
يوم ٧ بكسلول بالسعد ذو ولده

Répertoire chronologique, t. I.

٣- الرقيم بالحروف العربية

رقيم النمارة

عن بيغولفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وايران ص٤١ رقم (٩)



((٢٥٦))

الفهرس

شبه جزيرة العرب

والصراع الدولي عليها

يقدم هذا الكتاب دراسة تاريخية معمقة في موضوع شديد الأهمية والتشويق ألا وهو الصراعات الدولية ما قبل ظهور الإسلام وتداعياتها في منطقة الجزيرة العربية.

ماهي الحالة المناخية والحالة الحضارية للجزيرة العربية في ذلك الوقت؟

ماهو سر صداقات بيزنطة مع رؤساء بعض القبائل؟

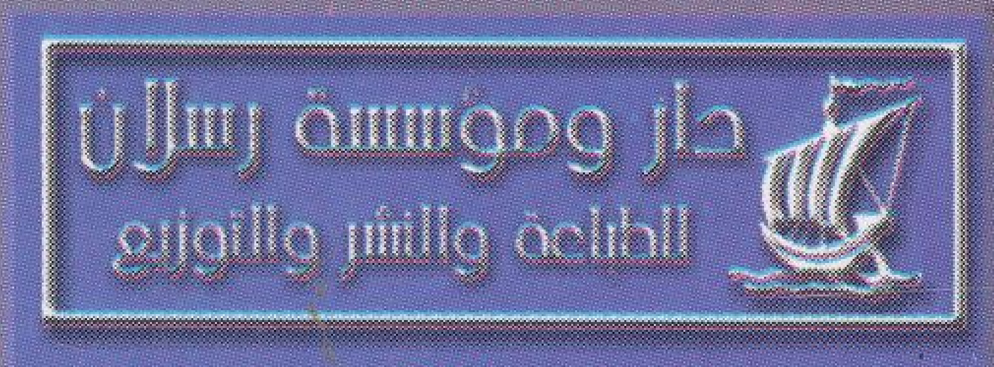
ما هي أسرار حملة أبرهة الحبشي على اليمن ومكة.

ما دور البحر الأحمر في السيطرة على التجارة العالمية؟

لقد تصادمت مصالح إمبراطورية الفرس والبيزنطيين وكانت شبه جزيرة العرب بموقعها الاستراتيجي ساحة هذا الصراع.

كيف تفاعلت القبائل العربية مع هذا الصراع الذي لم يقتصر على الأدوات السياسية بل تعداها إلى أدوات الدين كسلاح للهيمنة؟

يجيب الكتاب على كثير من الأسئلة التي تشغل أذهان المفكرين العرب كما يفيد كافة شرائح القراء والدارسين للتاريخ العربي.



هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ - فاكس: ٥٦٣٢٨٦٠